
مجموع فتاوى
ومقالات متنوعة
تأليف الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله
جمع وترتيب
د. محمد بن سعد الشويعر

كتاب العلم(٢)

كتاب التفسير

الجزء الرابع

والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بقية كتاب العلم

١-الوصية بكتاب الله وسنة رسوله(١)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من خير ما بذلت فيه الأعمار والأوقات والأموال، هو العلم بكتاب الله وسنة رسوله؛ إذ عليهما مدار السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وإن ما يؤلف من كتب في الأصول والفروع والتفسير والحديث، وما يصدر من مجلات وصحف إسلامية، إنما هو بيان وشرح لكتاب الله وسنة رسوله حسب اجتهاد المؤلفين والمصدرين، وحسب ما منحهم الله من العلم.

وحينما قامت (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) بإصدار (مجلة البحوث الإسلامية)، إنما كانت تهدف من وراء ذلك إلى بيان حكم الله في كثير من القضايا التي لا غنى للمسلمين عنها، والتي لم يغفلها الشرع المطهر؛ وذلك في صورة بحوث تصدر عن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، مدعَّمة بالأدلة من الكتاب والسنة

(١) افتتاحية (مجلة البحوث الإسلامية)، العدد: الخامس، عام ١٤٠٠ هـ، ص: ٧.

والإجماع، مع ما يضاف إلى ذلك من المقالات المفيدة والبحوث النافعة التي ترد إلى المجلة من أهل العلم. وإن هذه المجلة بجانب زميلاتها - المجلات الإسلامية في الدول الإسلامية؛ كالمجتمع، والبلاغ، والدعوة، والاعتصام، ورابطة العالم الإسلامي، والبعث الإسلامي، والوعي الإسلامي، ومنبر الإسلام، والإرشاد، والتضامن الإسلامي، وغيرها - كلها تمثل منهجاً ملتزماً في مجال الفكر الإسلامي، وتعبر عن يقظة ووعي الإسلاميين في زمن اضطربت فيه الموازين، واختلت فيه المقاييس والمعايير، وبدا الباطل وكأنه هو الواقع الذي لا مفر منه، وجندت قوى الباطل كل ما تملك من وسائل اقتصادية وإعلامية وثقافية لتكون لها الهيمنة والنفوذ، ولكن قوة الله أعظم: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[١].

إن (مجلة البحوث الإسلامية) - وهي تصدر عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد من هذا البلد، الذي شرفه الله بالإسلام، ووجود الحرمين الشريفين، ومنه انطلقت دعوة الإسلام إلى أرجاء الدنيا - لَتدعو كل فكر إسلامي نيِّر أن يساهم بالكتابة في هذه المجلة وفي المجلات الإسلامية الأخرى، وأن يرد على الأقلام المأجورة؛ التي تحاول النيل من الإسلام والإساءة إلى المسلمين - سواءً

(١) سورة الأنفال، الآية ٨.

من الأعداء، أو السائرين في ركابهم -، وأن يوضح ما للشريعة الإسلامية من مزايا وحسنات، وما لعلماء الإسلام؛ أولئك الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ومؤلفاتهم، وخدموا الشريعة خدمة جليلة، وأثروا المكتبة الإسلامية بروائع إنتاجهم في: التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والأصول، والتاريخ، واللغة العربية، والعلوم الأخرى التي اضطر الغرب للاستفادة منها، وتدريسها في معاهده وجامعاته.

إن (مجلة البحوث الإسلامية) وهي تلتقي مع قرائها في عددها الخامس، لَتأمل أن تكون على المستوى المأمول فيها، وأن يستمر صدورها دون عائق - مع علمنا بأن القراء الكرام سيقبلون العذر في تأخر أعدادها إذا ما رأوا الجهد المبذول في إخراجها - وإن كنا نود أن تخرج في موعدها المقرر لها، بل ونسعى جادين بأن تخرج كما أريد لها كل ثلاثة أشهر، مستلهمين العون من الله تعالى.

إنني أطالب العلماء والمفكرين أن يمدوا أيديهم بالكتابة في (مجلة البحوث الإسلامية)؛ إذ ما يكتبونه من جملة زاد المجلة الذي يجعلها تقف على قدميها، وتخطو الخطوات المرسومة لها.

وفي الختام، أشكر كل من ساهم بقلمه وجهده ووقته في إخراج هذه المجلة الفتية، وغيرها من المجلات والصحف الإسلامية المفيدة، وأرجو لها ولزميلاتها التوفيق والنجاح، وأن يستمر عطاؤها

الخير لعموم المسلمين. والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

٢- العلم بأحكام الله تعالى أمر ضروري[١]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد؛ عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وعلى آله وصحبه، ومن نهج نهجه وسار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن العلم بأحكام الله أمر ضروري؛ ليسير العبد المسلم في عبادته لربه على هدى وبصيرة، ولا يمكن للإنسان المسلم أن يفهم دينه ويعمل به، إلا إذا عرف أحكام هذا الدين، وأولاها: اهتمامه وعنايته وبذل جهده وطاقته للإلمام بها؛ لتكون عبادته لربه مبنية على أساس صحيح ومتين.

ومن وفقه الله لمعرفة أحكام هذا الدين والأخذ بها، فقد هدي إلى صراط مستقيم، وحصل على خير كثير، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٢]. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله:

(١) نشر في مجلة (البحوث الإسلامية)، العدد: السادس، عام ١٤٠٢هـ، ص: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء﴾؛ يعني: المعرفة بالقرآن - ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله -. وروى جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً: " الحكمة: القرآن – يعني تفسيره –"، قال ابن عباس: فإنه قد قرأه البر والفاجر. رواه ابن مردويه. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يعني بالحكمة: الإصابة في القول. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء﴾ ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن. وقال أبو العالية: الحكمة: خشية الله؛ فإن خشية الله رأس كل حكمة. وقد روى ابن مردويه من طريق بقية، عن عثمان بن زفر الجهني، عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود مرفوعاً: ((رأس الحكمة مخافة الله)). وقال أبو العالية في رواية عنه: الحكمة: الكتاب والفهم. وقال إبراهيم النخعي: الحكمة: الفهم. وقال أبو مالك: الحكمة: السنة. وقال وهب عن مالك، قال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل. قال مالك: (إنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي: الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه، عالماً بأمر دينه بصيراً به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا؛ فالحكمةُ: الفقه في دين الله). اهـ. ولكي ندرك أهمية الفقه في دين الله، وأنه نور لحامله والعامل به في الدنيا والآخرة، ولكي ندرك أهميته

وجدواه، نجد النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))[١] متفق عليه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس؛ فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها، إنما هي قيعان؛ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[٢] رواه البخاري ومسلم.. ويقول صلى الله عليه وسلم: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من طرق متعددة، عن إسماعيل بن أبي خالد به.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٨٨٤ (كتاب فرض الخمس)، باب (قول الله - تعالى -: (فإن لله خمسه))، ومسلم برقم: ١٧١٩ (كتاب الزكاة)، باب (النهي عن المسألة).

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٧٧ (كتاب العلم)، باب (فضل من علم وعلّم)، ومسلم برقم: ٤٢٣٢، (كتاب الفضائل)، باب (بيان مثل ما بعث به النبي - صلى الله عليه وسلم -).

ولقد برز حبر الأمة وترجمان القرآن، الصحابي الجليل: عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - في معرفة الدين فقهاً وتفسيراً، وتوسع بعلوم الشريعة، ووعاها ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له: ((اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)) إنها دعوة مباركة من رجل مبارك تقبلها الله من نبيه، ونعمة أنعم الله بها على ابن عباس - رضى الله عنهما وأرضاهما -. وبرز في عهده وبعده أئمة أفذاذ في أصول الدين وفروعه، يحملون أمانة التبليغ والدعوة، ويؤدونها أحسن ما يكون الأداء، ويبصرون الناس بدين الإسلام، سواء في حلقات الدرس والمذاكرة والإرشاد المنتشرة في بيوت الله، أو فيما خلفوه من تراث علمي ومؤلفات قيمة في شتى فروع العلم الشرعي، وغيره من العلوم الأخرى التي تخدم الشريعة وترتبط بها، وهيأ الله ولاة صالحين يبذلون بسخاء في سبيل نشر العلم، وتشجيع العلماء وطلاب العلم.

إن التفقه في الإسلام وما اشتمل عليه من أحكام، يقتضي البحث والاطلاع لمعرفة حكم الله في كل قضية تعرض للمسلم في حياته، فلا يتجاوز هذه القضية دون بحث واستقصاء؛ ليصل إلى الحكم بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس الجلي. والدين الإسلامي – بحمد الله – واضح، لا غموض فيه ولا التباس في أحكامه وتشريعاته، قد بينها الله في

كتابه المبين، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وحمل لــواء هــذه السنة وبينها ونافح عنها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وسلف الأمة، وأئمة الشريعة وعلماؤها جيلاً بعد جيل، ثم تقاعس الكثير من الناس عن البحث والطلب والتحصيل، واكتفــوا بالتقليــد لغيرهــم؛ فوقعوا في أغلاط كثيرة في العقيدة والأحكام. ولقد أمرنــا الله أن نــسأله الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين علموا فعملوا، وأن يجنبنا طريــق المغــضوب عليهم، وهم الذين عرفوا الحق واتبعوا أهواءهم، وهم: اليهود ومن علــى شاكلتهم، وأن يجنبنا طريق الضالين، وهم الذين جهلــوا الحــق، وهــم: النصارى ومن على شاكلتهم.

أيها الإخوة المسلمون: كيف نعرف أن هذا الماء طاهر أو نجــس؟ أو أن هذا الشراب أو الطعام أو الإناء أو الصيد أو السوار أو اللباس مبــاح، أو حرام، أو مكروه، أو مستحب؟ كيف نعرف أن اقتناء هــذا المــال أو إنفاقه حلال أو حرام؟ كيف نهتدي إلى العبادات؛ نعرف أوقاتها، وطريقة أدائها؟ كيف نعرف قسمة المواريث والفرائض؟

كيف تقام الحدود؟ وكيف نقيم المعاملات فيما بيننا؟ إلى غير ذلك مــن تفاصيل العبادات والمعاملات، وما يسمى اليوم بــالأحوال الشخــصية؛ كالنكاح والطلاق وغيرهما؟ وقد استوعبت

ذلك كله شريعتنا المطهرة – ولله الحمد -. إن دين الإسلام الحنيف قد أكمله الله، وما من شأن من شئون الدنيا والآخرة، إلا وفي هذا الدين له حكم وبيان واضح جلي، فهو دين كامل شامل، ليس قاصرا على النواحي التعبدية ولا شأن له بالنواحي المعاشية – كما يرميه بذلك أعداؤه ومن نهج نهجهم -.

إن دين الإسلام يربط المخلوق بخالقه برباط متين، كما يقيم أفضل علاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ قائمة على المحبة والترابط والتسامح، والتعاون على البر والتقوى.. أوضح كيف تعامل الحيوان الأعجم بالرفق والرحمة والإحسان، قبل أن تتظاهر أوربا بالرفق بالحيوان من خلال جمعيات أنشاتها لهذا الغرض، وهي لم ترفق بعد بالإنسان، ولم ترع حقوقه.. فالواجب على المسلمين التفقه في دينهم، وأن لا يتجاوزوا حدود ما أنزل الله، وأن يحرصوا على فهم أحكام دينهم قبل أي شيء، فإن بعض الناس – هداهم الله ووفقهم – قد يحيط بعلوم كثيرة من علوم الحياة ويبرز فيها، ولكنه لا يعلم شيئاً من أحكام دينه وأسرار شريعته. وهذا هو الجهل الفاضح والمصيبة العظمى، فإن العلم بأحكام الله يجب أن يكون مقدماً على المعارف الأخرى، ولا مانع من التزود بالعلوم والمعارف الأخرى، ولكن لابد من تقديم الأصل الأصيل والركيزة الأساسية للعلوم كلها؛ وهو معرفة الدين عقيدة وسلوكاً وعبادة وأحكاماً مما لا يسع المسلم

جهله. كما أن الواجب على المسلمين أن يتمسكوا بدينهم بصدق، ويتقبلوا ما يأمرهم به؛ فيعملوا به ويطبقوه في شئون حياتهم كلها دون تمييز، وليعلموا انهم إن فعلوا ذلك سيسعدون ويفلحون في الدنيا والآخرة، وهذه الأمة شرفها الله بهذا الدين، وأعزها به، فإذا تخاذلت عن ذلك فلا قيمة لها ولا عزة ولا سعادة.

فنسأل الله أن يوفقنا والمسلمين جميعاً لما فيه رضاه، وأن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وأصحابه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣- افتتاحية
مجلة (الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا هو العدد الأول من مجلة (الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة، نقدمه إلى القراء الكرام؛ راجين أن يجدوا فيه ما يفيدهم

(١) افتتاحية مجلة (الجامعة الإسلامية)، العدد: الأول، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، قدم لها سماحته عندما كان نائباً لرئيس الجامعة.

وينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وما يزيدهم بصيرة وفقها في كتـــاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما نرجو أن تكون هذه المجلة نبراســـا لحل مشاكلهم، وإنارة السبيل لهم.

ولقد تأخر صدور مجلة (الجامعة الإسلامية)، وكان هناك بعض الآراء تقول بأنه لا ينبغي ذلك، بل ينبغي أن تصدر مجلة (الجامعة) مـــع إفتتـــاح الجامعة نفسها؛ حتى تكون تلك المجلة لساناً ناطقاً للجامعة؛ يشرح أهدافها ومراميها، ويوضح سير أمورها إلى غايتها.

إلا أن الرأي الأغلب قد استقر، على أن يترك الحديث لأعمال الجامعة في مرحلة تأسيسها، لأقوالها، وأن تكون ثمرتها ملموسة لا موصوفة.

وهكذا أوعزنا إلى المسئولين عن المجلة، بأن تكون ميدانا تجـــري فيـــه أقلام المنتمين إلى الجماعة الإسلامية، وغيرهم من رجال العلم والفكـــر في جميع الأقطار؛ لتكون بمثابة نقطة الالتقاء تتجمع حولها تلك الأقـــلام، لا سيما وهي المجلة التي تصدر عن المدينة المنورة؛ عاصمة المـــسلمين الأولى، ومنطلق الغزاة الفاتحين والدعاة المصلحين. وأن هذه المجلـــة تـــستهدف أن تكون ذات مستوى، يتمكن من فهمه أغلبية القراء في البلدان الإســـلامية وغيرها، فهما يمكنهم من متابعة ما ينشر فيها وهـــضمه، ولـــن تكـــون مقصورة على الصفوة من العلماء والفقهاء والباحثين، قصراً يمنع ســـواهم من ذوي الثقافات المتوسطة أو المستويات العلمية المحدودة

أن يفهموها، وينتفعوا بما ينشر فيها. الشيء الذي ستتجنبه المجلة إنما هـو لغو القول وسفاسف الأمور، وكل ما في نشره ضرر للمسلمين، أو خطر على وحدتهم وتضامنهم، وستكون – بإذن الله – مجلة إسلامية ثقافية، لا مجلة سياسية حزبية، تلك هي خطتها، وذلك هو هدفها.

إن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مؤسسة حديثة التكوين بالنسبة إلى عمر الجامعات والمؤسسات العلمية الكبرى، فهي لم تستكمل من عمرها السابعة، ولكنها – بحمد الله – قد قطعت شوطاً، بل أشواطاً طيبة إلى الهدف المقصود من إنشائها، فتخرج منها مئات من الطلاب الذين ينتسبون إلى عشرات من أوطان المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وأخذوا أماكنهم في تلك الأوطان وغيرها؛ يعلمون الناس الخير، ويرشدونهم إلى الصواب.

ولن أفيض هنا بالتحدث عن هذه الجامعة؛ فذلك له مكان آخر من المجلة، وإنما القصد هنا الإشارة إلى هدف هذه المجلة.

وأسال الله - مخلصاً - أن يأخذ بأيدينا إلى مواقع الحق والصواب، وأن يرزقنا جميعاً صادق القول وصالح العمل، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه.

٤- لقاء مع طلبة كلية الشريعة[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أولاً: أوصيكم بتقوى الله تعالى والاستقامة على أمره؛ لأن المقصود من العلم هو طاعة الله، واتباع شريعته: ((فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))[٢]. ومعلوم عند الجميع أن المقصود من العلم هو العمل، ومن علم ولم يعمل صار أشبه باليهود وبإبليس – نعوذ بالله من ذلك – ونسأل الله - تعالى – أن يجعلنا وإياكم ممن يعلم ويعمل. فوصيتي لكم - مرة أخرى - تقوى الله، والحرص على التفقه في الدين، والإخلاص لله في العمل، وأن تكون النية لوجه الله تعالى؛ لأجل أن يخلِّص المسلم نفسه من الجهل، وينفع الناس أيضاً؛ فطالب العلم يجمع بين أمرين: ينفع نفسه، وينفع الناس،ولاسيما في هذا العصر الذي انتشر فيه الجهل، وانتشرت فيه - أيضاً - المبادئ الهدامة والشرور الكثيرة، والدعاوى

---

(١) لقاء سماحته مع طلاب كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٨٤٦٧ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).

المضللة، فأنتم الآن على خير في كلية الشريعة، نرجو لكم من الله التوفيق.

وأوصيكم - أيضاً - أن تستمروا في الدراسة بإخلاص وصدق، ونية صالحة، وصبر، والوصية - كذلك - بالمذاكرة فيما بينكم في المشاكل؛ لأن المشكلة قد تنحل بالزميل والزميلين، والمذاكرة بين الزملاء يحصل بها حلّ لمشاكل كثيرة، ويستغنى بذلك عن الحاجة إلى الأستاذ؛ لئلا يحتاج إلى الأستاذ إلا في الشيء المشكل الذي تعجزون عنه، ولا يتيسر لكم حله في المذاكرة والمطالعة، فتكون مراجعة الأستاذ في الشيء الذي لم تستطيعوا حله بهذه المطالعة، ولا بهذه المذاكرة فيما بينكم.

والأمر الآخر هو: الحرص على العمل؛ فما علمتم أنه واجب فكونوا من أحرص الناس على أدائه، وما علمتم أنه محرم فكونوا من أحرص الناس على تركه، وما علمتم أنه مستحب فكونوا من أسبق الناس إليه - حسب الطاقة - وما علمتم أنه مكروه فكونوا من أبعد الناس عنه - حسب التيسير -.

الأسئلة

س١: ما حكم السترة؟ وهل مرور الكلب والمرأة والحمار يقطع الصلاة؟ وما موقفنا من كلام عائشة – رضوان الله عليها – عندما قالت: " أجعلتمونا كالكلاب والحمير"! !

ج: السترة سنة مؤكدة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة، ولْيدنُ منها))[١] رواه أبو داود بإسناد جيد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره إذا سافر تنقل معه العترة، وكان يصلي إليها عليه الصلاة والسلام فهي سنة مؤكدة وليست واجبة؛ لأنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى في بعض الأحيان إلى غير سترة.

وأما ما يقطع الصلاة فهو: الحمار والكلب والأسود والمرأة البالغة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: ((يقطع صلاة المرء المسلم إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل: المرأة، والحمار، والكلب الأسود))[٢] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بدون ذكر

(١) أخرجه أبو داود برقم: ٥٩٦ (كتاب الصلاة)، باب (الدنو من السترة)، والنسائي برقم: ٧٤٠ (كتاب القبلة)، باب (الأمر بالدنو من السترة).

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٧٨٩ (كتاب الصلاة)، باب (قدر ما يستر المصلي).

الأسود، والقاعدة: أن المطلق يحمل على المقيد، وفي حديث ابن عباس: المرأة الحائض (أي البالغة). والصواب ما دل عليه الحديث: أن هذه الثلاث تقطع.

وأما قول عائشة، فهو من رأيها واجتهادها، قالت: "بئس ما شبهتمونا بالحمير والكلاب"، وذكرت أنها كانت تعترض بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وهذا ليس بمرور؛ لأن الاعتراض لا يسمى مروراً، وقد خفيت عليها رضي الله عنها السنة في ذلك.

ومن حفظ حُجة على من لم يحفظ، فلو صلى إنسان إلى إنسان قدامه جالس أو مضطجع لم يضره ذلك، وإنما الذي يقطع هو المرور بين يدي المصلي من جانب إلى جانب، إذا كان المار واحداً من الثلاثة المذكورة – بين يديه، أو بينه وبين السترة –.

وإذا كانت المرأة صغيرة لم تبلغ، أو الكلب ليس بأسود، أو مر شيء آخر؛ كالبعير والشاة ونحوها، فهذه كلها لا تقطع. لكن يشرع للمصلي ألا يدع شيئاً يمر بين يديه، وإن كان لا يقطع الصلاة؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله؛ فإنه شيطان))[1]. متفق على صحته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٧٩ (كتاب الصلاة)، باب (يرد المصلي من مرّ بين يديه)، ومسلم برقم: ٨٧٢ (كتاب الصلاة)، باب (منع المرور بين يدي المصلي).

س٢: طالب كلية الشريعة وطالب العلم الشرعي، الكل ينظر إليه نظرة خاصة لحصيلته العلمية، وهكذا ما يفتي به، لكن قد تكون الدراسة منهجية تحصر الطالب في أشياء محددة، فلو كان هناك روافد أخرى تعين طالب العلم الشرعي أكثر، والدلالة عليها تكون ميسرة للطالب بحيث لا تتناقض مع الدراسة المنهجية، لكان ذلك أولى، فما رأي سماحتكم؟

ج: طالب الشريعة لا شك أن يُقتدى به ويُحسن به الظن، وهذا مما يوجب عليه الحرص والحذر، فعليه أن يطالع الكتب ويسمع السنة، ويذاكر مع إخوانه ومع زملائه، لكن ما دام في الدراسة لا يكثر حتى ينهي الدراسة؛ حتى لا ينشغل فكره بما يضعفه في الدراسة، ولكن مع ذلك كلما تيسر له فرصة طالع المشكل عليه، وسأل أهل العلم، ويبحث مع إخوانه وزملائه ومع بعض الأساتذة، فتكون عنده همة عالية؛ فلا يكتفي بالدروس، لكن على قدر المستطاع حتى يتم وحتى يتخرج – إن شاء الله – ثم بعد ذلك يتوسع في المطالعة.

فالدراسة في كلية الشريعة ليست كل شيء، بل هي تمهيدية، وهكذا الماجيستير والدكتوراة ليستا بكافيتين، بل لابد من مزيد الدراسة بعدهما، والمطالعة في كتب أهل العلم،

والعناية؛ حتى يموت الإنسان وهو مستمر في طلب العلم حتى ولو بلغ مائة سنة.

س٣: يلاحظ على بعض الطلبة أنهم يغلبون جانب العلم على جانب الدعوة إلى الله. نرجو توجيه الإخوان في ذلك؟

ج: طالب العلم يجمع بين الأمرين؛ بين العلم وبين الدعوة، وبين العمل وبين الإصلاح بين الناس وبين النصيحة، لا يقف عند حد، لكن على قدر طاقته على وجه لا يشغله عن الواجب، فهو طالب علم وهو داعية إلى الله، وهو ناصح، وهو معلم أيضا، ومصلح بين الناس يكون له آثار صالحة. طالب العلم - خصوصا الطالب في كلية الشريعة، وكلية أصول الدين، أو في حلقات المشايخ، يجب أن تكون عنده همة عالية، فلا يقتصر على شيء دون شيء، بل يجتهد في كل خير حسب علمه وقدرته؛ فهو مع المصلحين ومع الدعاة، ومع المعلمين ومع الناصحين، ومع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وهكذا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يدخلون في كل شيء مما ينفع الناس، ولا يتأخرون عن شيء فيه خير للناس، حتى فيما يتعلق بالأمور الأخرى الدنيوية؛ كالطب والهندسة وغير ذلك مما ينفع الناس - إذا أمكنهم أن يكون لهم نصيب فيها، بحسب الطاقة والعلم - فلا يشغله عن الأمر الأهم

ما دونه، بل يبدأ بالأهم فالأهم حسب الطاقة، مع إخلاص النية والصبر. والله ولي التوفيق.

س٤: كيف يمكن أن يحقق طالب العلم الشرعي دوره في المجتمع؛ من إصلاح وتوجيه في المشاكل على كافة مستويات المجتمع؟

ج: عليه أن يتعاطى المستطاع، يقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[١]، ويقول سبحانه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٢]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))[٣].

فطالب العلم لا يقف عند حد - كما تقدم - بل يكون من المصلحين في بيته ومع جيرانه ومع غيرهم، ومن الناصحين لله ولعباده أينما كان، ويكون من المرشدين في مسجده وفي بيته وفي سفره بالطائرة وفي المطار والسيارة، وفي كل مكان، ويكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أينما كان بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفق – حسب طاقته، لكن يجب

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري برقم: ٦٧٤٤ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)، ومسلم برقم: ٢٣٨٠ (كتاب الحج)، باب (فرض الحج مرة في العمر).

عليه التثبت، وأن يكون على علم وبصيرة فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه، ويحذر القول على الله بغير علم؛ لأن ذلك من أعظم الكبائر، وقد جعل الله سبحانه القول عليه بغير علم في مرتبة فوق الشرك في قوله سبحانه في سورة (الأعراف): ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(١).

وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر الناس بالقول على الله بغير علم، كما قال الله سبحانه في سورة (البقرة): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقال - عز وجل - في سورة (فاطر): ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

نسأل الله أن يوفق المسلمين جميعاً لكل ما يرضيه، وأن يعيذهم من القول بغير علم، ومن نزغات الشيطان؛ إنه سميع قريب.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ١٦٨، ١٦٩.

(٣) سورة فاطر، الآية ٦.

س٥: إذا خرَّج الترمذي وقال: إسناده ليس بقوي، وكان الحديث في فضائل الأعمال، فما رأي سماحتكم؟

ج: الترمذي - رحمه الله – الغالب على تصحيحه وتحسينه أنه جيد، ولكنه قد يضعف بعض الأحاديث وهي عند غيره قوية لكن سندها عنده ضعيف، وقد يحسن بعض الأحاديث ويصححها وهي ليست كذلك عند غيره من أئمة الحديث. مثل: حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في المرأة التي دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب، فقال لها صلى الله عليه وسلم: ((أتعطين زكاة هذا؟))، الحديث في باب الزكاة، وهو عند الترمذي ضعيف؛ لأنه من طريق المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب، وهو ضعيف - أعني: المثنى - وهو عند أبي داود والنسائي جيد؛ لكونه من رواية بعض الثقات عن عمرو بن شعيب، وحكم عليه الحافظ في البلوغ بأن إسناده قوي.

فالمقصود: أنه عند أبي داود والنسائي جيد، وحكم عليه الحافظ في البلوغ بأن إسناده قوي؛ فالمقصود أنه عند أبي داود والنسائي جيد، وأما عند الترمذي فضعيف؛ لكونه من رواية المثنى بن الصباح - كما تقدم - ولديه أحاديث أخرى رحمه الله صححها أو حسنها وهي ضعيفة.

والمقصود من هذا: أنه لا يكفي تصحيحه ولا تحسينه، بل لابد من

مراجعة الأسانيد وكلام أهل العلم في ذلك، حتى يكون الطالب على بينة، وهكذا رواية أبي داود والنسائي وابن ماجة والدارمي والإمام أحمد – رحمهم الله جميعاً – يروون الضعيف والصحيح.

فإذا سكت أبو داود أو النسائي أو ابن ماجه والدارمي أو غيرهم ممن لم يلتزم الصحة فيما يرويه، فراجع الأسانيد وناقلها – إن كان عندك دراية ومعرفة – وإلا راجع كلام أهل العلم؛ كالحافظ في (التلخيص)، و(نصب الراية) للزيلعي، و(فتح الباري)، وغيرهم.

ولا تتعجل في التصحيح ولا التضعيف حتى يكون عندك أهلية؛ لأن هذه أمور خطيرة، بخلاف الصحيحين، فأحاديثهما متلقاة بالقبول عند أهل العلم، وقد صرح أبو داود – رحمه الله – أنه إذا سكت عن شيء فهو صالح للاحتجاج به عنده، يقول عنه – رحمه الله – الحافظ العراقي في ألفيَّته ما نصه:

وما من وهن شديد قلته   وحيث لا فصالح خرَّجته

يعني الذي فيه وهن شديد يبينه، والذي يسكت عنه صالح، ولكن ليس على إطلاقه، فقد يكون ضعيفاً عند غيره وإن كان صالحاً عنده، كما أوضح ذلك أهل العلم؛ كالحافظ ابن حجر وغيره.

٥- بعض الانطباعات عن المعاهد العلمية(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد بين فضل العلم وحث عليه في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٤). والمقصود بالعلم: هو العلم الشرعي الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وأنه الإله الحق، الذي لا يستحق أحد أن يعبد سواه، وأنه الربّ الخالق الرازق والمتصرف بهذا الكون، والمنعم على جميع العالمين.

والموصل - أيضاً - إلى معرفة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه الرسول الخاتم، المبلغ عن الله

---

(١) جواب لخطاب معالي مدير (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، حول تدوين بعض الانطباعات عن المعاهد العلمية، ونشر في المجموع ج٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٣) سورة الزمر، الآية ٩.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

شرعه ووحيه، والموصل إلى معرفة هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله، وبلغنا به في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما يشمل جميع نواحي حياتنا في: الاعتقاد والسياسة والاجتماع وفي القضاء والتشريع والاقتصاد، وجميع ما يحتاجه المسلمون في أمور حياتهم ومعادهم.

فهذا هو العلم الحقيقي الذي أثنى الله على حملته، ورفع قدرهم، وجعلهم من الشهداء على وحدانيته، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]، ووصفهم سبحانه بأنهم أخشى الناس لله سبحانه فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

والمعنى: الخشية الكاملة، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، بأن تنفر طائفة منهم للتعلم والتفقه في هذا الدين؛ ليكونوا على بصيرة ونور من الله، وليعلموا أحكامه وشرائعه، ويبلغوا أقوامهم ويوجهوهم إلى الصراط المستقيم بسلوك هذا الدين والالتزام به، قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ومن نعم الله العظيمة على المسلمين في هذه المملكة – أعني المملكة العربية السعودية – وفي جميع بلاد المسلمين، أن قيض لهم من يقوم بهذا الدين كلما خبا نوره وتزاحمت عليه قوى الكفر، وخيم على المسلمين الجهل، فيبعث الله من القادة الصالحين والعلماء والأفاضل والحكام المخلصين من يقوم بنصر هذا الدين، وإحياء ما أماته الجهلاء من رسومه، ونشر العلم وتعليمه، وتحكيم شريعة الله، وكبت الباطل وأهله.

ومن فضل الله على هذه الجزيرة، أن قام فيها الإمام الشيخ / محمد بن عبد الوهاب، والإمام / محمد بن سعود – رحمة الله عليهما – وتعاهدا على نصرة هذا الدين، وصدقا في ذلك؛ فنصرهما الله، ومكن لهم في الأرض؛ وقامت بذلك حلق العلم بالمساجد وانتشر التدريس فيها، وأخذ العلماء أماكنهم في توعية الناس بدينهم، وتعليمهم أحكامه وشرائعه، واستمرت على ذلك حتى انتشر العلم في أرجاء هذه البلاد والبلدان المجاورة، وفتحت المدارس والمعاهد العلمية، وانتشرت في عدة قرى ومدن في هذه الجزيرة العربية، وكذا الكليات وغيرها من وسائل نشر العلم.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

ولقد كان للمعاهد العلمية التابعة لـ (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) الأثر العظيم في نشر علوم العقيدة والشريعة، وتربية الأجيال الناشئة على فهم كتاب الله وفقهه، ومعرفة علوم اللغة العربية - لغة القرآن والسنة -.

وإن ثمار هذه المعاهد وما حصل بها من الخير العظيم والنفع العميم، لتظهر واضحة جلية على ناشئة شباب هذه البلاد، وغيرها من البلاد التي فتحت فيها معاهد تابعة لهذه الجامعة.

فنسأل الله أن يوفق القائمين عليها للزيادة من كل خير، وأن يعينهم، وأن يضاعف من جهودهم في الإكثار منها والحرص عليها.

كما أنه من فضل الله، أن وفق ولاة الأمر للأمر بفتح بعض هذه المعاهد خارج المملكة العربية السعودية؛ لتقوم بإبلاغ الحق والخير، ونشر العقيدة الصحيحة الصافية الخالية من شوائب الشرك والوثنية، وتعليم أحكام الشريعة الغراء.

ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم للإكثار منها في جميع البلدان، وأن يوفق القائمين عليها لاختيار الأشخاص الأتقياء، والدعاة المخلصين لإدارة هذه المعاهد والتعليم فيها - كما هو الواقع الآن - وهذا هو سبيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه بإحسان، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ

اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))، رواه مسلم، وفي الحديث المتفق عليه عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).

فنحمد الله سبحانه وتعالى أن يسر هذه الأماكن لنشر العلم - وهيأ أسبابها - ونسأله أن يوفق القائمين عليها، وأن يكلل جهودهم بالتوفيق والنجاح. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

٦- حكم من يقلل من شأن القسم الشرعي في التعليم

س: فضيلة الشيخ: هناك بعض المدرسين في الأقسام العلمية يقللون من شأن القسم الشرعي، وأنه قسم للفاشلين والمهملين في دروسهم؛ لأنه أسهل الأقسام، فما رد فضيلتكم على هذا الكلام؟[(١)]

ج: هذا غلط ممن يقوله، والواجب: التشجيع على القسم الشرعي، وتشجيع الطلبة على العناية به مع بقية الأقسام التي يحتاجها الطالب، والقسم الشرعي هو أهم العلوم؛ لأن الطالب يجب أن يتعلم دينه، وأن يعرف ما أوجب الله عليه؛ حتى يؤدي العبادة التي خلقه الله لها وأوجبها عليه على بصيرة، والقسم الشرعي مما يعينه على ذلك، إذا اجتهد فيه، ووفقه الله للأستاذ الصالح.

والواجب على المدرسين والمسئولين التشجيع على العناية بهذا القسم والاستفادة منه؛ حتى يتفقه الطالب في دينه فينفع نفسه وينفع المسلمين؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) متفق على صحته.

(١) نشر في مجموع الفتاوى لسماحته ج٨.

فمن علامات السعادة أن يتفقه العبد في الدين، وأن يتعلم ويتبصر، والواجب التشجيع للطلبة على العناية بهذا القسم وعلى جميع الأقسام، وأن يكونوا مثالاً في الجد والنشاط والصبر في جميع الأقسام.

٧- التعلم والتفقه في الدين واجب إذا تيسر في المدرسة

س: تركت الدراسة ووالدتي غير راضية. هل أكون آثمة؟[١]

ج: الدراسة فيها خير عظيم وفائدة كبيرة، والواجب على المسلم والمسلمة التعلم والتفقه في الدين؛ لأنه يجب على المسلم أن يتفقه في دينه ويتعلم ما لا يسعه جهله، ومن أسباب السعادة: التفقه في الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).

فمن علامات الخير والسعادة التفقه في دين الله، والتفقه في الشريعة؛ حتى يعرف المسلم ما يجب عليه وما يحرم عليه، وحتى يعبد الله على بصيرة، يقول صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)).

---

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ١٢، ونشر في المجموع ج٩.

فالواجب عليك التعلم والتفقه في الدين - إذا تيسر ذلك في مدارس إسلامية طيبة أمينة - وإذا أكدت عليك أمك، فهذا مما يوجب مزيد من العناية والحرص على التفقه في الدين؛ لأنها تريد لك الخير، والمصلحة العاجلة والآجلة، فلا ينبغي منك أن تعصيها في ذلك، إلا أن تكون المدرسة فيها اختلاط، أو فيها أمور أخرى تضرك في دينك، فلا بأس بترك الدراسة فيها – ولو لم ترض أمك – لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: ((إنما الطاعة في المعروف))(١)، وقال: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))(٢).

٨- نصيحة لأولياء أمور الطلبة

س: فضيلة الشيخ: يقول البعض: إن من أسباب ضعف مستوى الطالب الديني والعلمي: إهمال الآباء لأبنائهم، واهتمامهم بمشاريعهم الخاصة وعدم متابعتهم، فهل من نصيحة من فضيلتكم لهؤلاء الأولياء؟(٣)

(١) رواه البخاري في (الأحكام)، برقم: ٦٦١٢، ومسلم في (الإمارة)، برقم: ٣٤٢٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الجهاد، برقم: ١٥٥٦٤، والسيوطي في (الدر المنثور) ٢ / ١٧٧، من طريق ابن أبي شيبة.

(٣) نشر في مجموع الفتاوى لسماحته ج٨.

ج: لا شك أن إهمال الآباء والأمهات لأولادهم وعدم تشجيعهم على طلب العلم، من الأسباب المؤدية إلى ضعفهم.

والواجب على الآباء والأمهات والإخوة الكبار، أن يكونوا عوناً لأولادهم على التفقه في الدين، والتعلم والعناية بطلب العلم، والمحافظة على أوقات الدراسة، هذا هو الواجب عليهم.

وأما إهمالهم والتساهل معهم فهو من أسباب فشلهم، ومن أسباب قلة علمهم، ومن أسباب تكاسلهم.

فالواجب على الآباء والأمهات والإخوة الكبار أن يؤدبوا من يتخلف ويتساهل، وأن يعتنوا بهذا الأمر، وأن يشجعوا الأولاد على الجد والنشاط والمواظبة على الدروس، والمحافظة على أوقات الدراسة، والمحافظة على الصلاة في الجماعة؛ صلاة الفجر وغيرها، هذا هو الواجب على الجميع.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لأداء ما يجب عليهم لأولادهم وغيرهم. إنه خير مسئول وأقرب مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

٩- مسألة في فضل التفقه في الدين

س: أرغب ترك العمل والاتجاه للدراسة، فهل هذا حسن؟ وهل في الإمكان إلحاقي بالجامعة الإسلامية، والدراسة والتفقه في الدين؟[١]

ج: إن الاتجاه للدراسة والتفقه في الدين من أفضل الأعمال، وقد يجب ذلك إذا كان المسلم لم يتمكن من معرفة الأمور التي لا يسعه جهلها – أعني: أمور دينه – فطلب العلم حينئذ واجب؛ حتى يعرف ما أوجب الله عليه وما حرم عليه، ويعبد ربه على بصيرة، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)).

والجامعة الإسلامية ترحب بأمثالكم، إذا كان لديكم مؤهل غير دبلوم الصناعة، فإذا رأيتم إرسال صورة من مؤهلاتكم للنظر فيها وإفادتكم فلا بأس، مع العلم بأن الطالب في الجامعة يعطى مكافأة نقدية مقدارها: ٢٥٠ ريال لطالب المرحلة المتوسطة والثانوية، و ٣٠٠ ريال لطالب المرحلة العالية، مع إعداد السكن المجهز بما يلزم، ووسائل النقل من الجامعة إلى المدينة ومن المدينة إلى الجامعة.

---

(١) نشر في مجلة (الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة.

١٠ - حكم دراسة الاقتصاد الربوي

س: ما حكم الإسلام في دراسة الاقتصاد الربوي؟ وما حكم العمل في البنوك الربوية؟(١)

ج: دراسة الاقتصاد الربوي إذا كان المقصود منها معرفة أعمال الربا، وبيان حكم الله في ذلك فلا بأس، أما إن كانت الدراسة لغير ذلك فإنها لا تجوز.

وهكذا العمل في البنوك الربوية لا يجوز؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

١١- حكم دراسة النساء للهندسة والكيمياء

س: هل يجوز للفتاة أن تدرس في بعض تخصصات العلوم الطبيعية مثل: الكيمياء والفيزياء وغيرها؟(٣)

---

(١) سؤال مقدم من مجلة (الدعوة)، أجاب عنه سماحته بتاريخ ٦/٣/١٤١٩هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع / محمد المسند، ج٤، ص: ٣٣٥.

ج: ليس للمرأة التخصص فيما ليس من شأنها، وأمامها الكثير من المجالات التي تتناسب معها، مثل: الدراسات الإسلامية، وقواعد اللغة العربية.

أما تخصصات: الكيمياء والهندسة والعمارة والفلك والجغرافيا فلا تناسبها، وينبغي أن تختار ما ينفعها وينفع مجتمعها، كما أن الرجال يعدون لها ما يخصها مثل: الطب النسائي، والولادة، وغيرها.

١٢- لا تجوز الدراسة في مدارس مختلطة

س: شاب يدرس في بلد إسلامي، ويقول: إن في الكلية العديد من الطالبات المتبرجات، فما واجبه نحوهن؟[(١)]

ج: لا تجوز الدراسة المختلطة بين الذكور والإناث؛ لما في ذلك من الفتنة العظيمة والعواقب الوخيمة، والواجب أن يكون تدريس الذكور على حدة والإناث على حدة، أما الاختلاط فلا يجوز؛ لما ذكرنا من الفتنة العظيمة والعواقب الوخيمة في ذلك. والله ولي التوفيق.

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٦٩، ٧ شعبان ١٤١٩هـ.

١٣- الاختلاط في الدراسة من أسباب الفتنة

س: الأخت / س. س. تقول في سؤالها: أنوي العمل في مدرسة يدرس فيها الطلاب والطالبات جميعاً، وهم فوق الخامسة عشرة من العمر، وهذا هو السبيل الوحيد للحصول على المال الذي أستطيع به مواصلة دراستي الجامعية العليا؟ أفتوني - جزاكم الله خيراً -.[١]

ج: لا يجوز الاختلاط بين الطلبة والطالبات في الدراسة، بل يجب أن يكون تدريس البنين على حدة وتدريس البنات على حدة؛ حماية للجميع من أسباب الفتنة.

ولا يجوز لك العمل في المدارس المختلطة؛ حماية لدينك وعرضك، وحذراً من أسباب الفتنة، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا.وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٣] والله ولي التوفيق.

---

(١) سؤال مقدم لسماحته من الأخت / س. س، أجاب عنه سماحته بتاريخ ٢٦/١٠/١٤١٩هـ.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية ٤

١٤- مسألة في حكم المدارس المختلطة

س: حكم تدريس البنات في المدارس المختلطة؟[١]

ج: المدارس المختلطة فيها خطر عظيم، والواجب عدم إدخال البنات فيها لعدم صيانتهن.

والذي أرى: أن عدم إدخالهن المدارس المذكورة هو الصواب، وأحسنت كثيراً في تدريس ابنتك في المترل، وينبغي أن تختار لها المدرسة الصالحة.

١٥- حكم التعلم في الجامعات المختلطة

س: وضحوا لنا حكم التعليم في الجامعات المختلطة؛ لأن البعض يُجوِّز ذلك للضرورة - جزاكم الله عنا خيراً -؟ [٢]

ج: لا يجوز التعلم في الجامعات المختلطة؛ لما في ذلك من الخطر العظيم وأسباب الفتنة.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لترك ذلك، وأن يعلموا كل جنس على حدة؛ سداً لذريعة الفتنة، واحتياطاً للدين، وتعاوناً على البر والتقوى. والله ولي التوفيق.

---

(١) سؤال أجاب عنه سماحته في ١٤١٨/٨/٥هـ.

(٢) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٥٦٦، في ١٤١٧/٦/٢٦هـ.

١٦- مسألة في الدراسة المختلطة

س: أنا طالب جامعي، وفي بعض الأحيان أسلم على الفتيات، فهل سلام الطالب على زميلته في الكلية حلال أم حرام؟[١]

ج: أولا لا يجوز الدراسة مع الفتيات في محل واحد وفي مدرسة واحدة، بل هذا من أعظم أسباب الفتنة، فلا يجوز للطالب ولا الطالبة هذا الاشتراك؛ لما فيه من الفتن.

أما السلام، فلا بأس أن يسلم عليها سلاما شرعياً، ليس فيه تعرض لأسباب الفتنة،ولا حرج أن تسلم عليه أيضا من دون مصافحة ، لأن المصافحة لا تجوز للأجنبي،بل السلام من بعيد مع الحجاب ومع البعد عن أسباب الفتنة ومع عدم الخلوة، فالسلام الشرعي الذي ليس فيه فتنة لا بأس به.

أما إذا كان السلام عليها مما يسبب الفتنة، أو سلامها عليه كذلك؛ أي كونه عن شهوة وعن رغبة فيما حرم الله، فهذا ممنوع شرعاً. وبالله التوفيق.

---

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٤٦، في ١٤١٩/٢/٢٤هـ.

١٧ – حكم دراسة الرجل عند امرأة

س: ما حكم الدراسة عند امرأة متبرجة غاية في التبرج؟[١]

ج: لا يجوز للرجل الدراسة عند امرأة غير محتجبة، ولا يجوز له الخلوة بها مطلقاً، لكن إذا دعت الحاجة إلى أخذ العلم منها فلا بأس، بشرط الحجاب وعدم الخلوة. والله ولي التوفيق.

١٨- حكم السفر إلى بلاد الكفار للدراسة

س: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار للدراسة؟[٢]

ج: الوصية: الحذر من ذلك. إلا إذا كان المسافر عنده علم وبصيرة؛ يدعو إلى الله ويعلم الناس، ولا يخشى على دينه؛ لأنه صاحب علم وبصيرة؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنا

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٦٨، في ١٤١٩/٧/٣٠هـ.

(٢) سؤال موجه إلى سماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها تحت عنوان (الوصية بكتاب الله - القرآن الكريم -) في أحد مساجد مدينة جدة، في ١٤١٦/٨/١٣هـ، ونشر في المجموع ج٩ ص ٣٤.

بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين))[1]، والله - جل وعلا - قال في كتابه الكريم عن المسلمين المقيمين بين المشركين، وهم لا يستطيعون إظهار دينهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[2]. الآية.

وفي الحديث الصحيح: ((لا يقبل الله - عز وجل - من مشرك بعدما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين))[3]؛ والمعنى: حتى يفارق المشركين.

فالوصية مني لجميع المسلمين: الحذر من الذهاب إلى بلاد المشركين والجلوس بينهم - لا للتجارة ولا للدراسة - إلا من كان عنده علم وهدى وبصيرة؛ ليدعو الله، ويتعلم أشياء أخرى تحتاجها بلاده، ويظهر دينه، فهذا لا بأس به؛ كما فعل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من الصحابة لما هاجروا إلى الحبشة من مكة المكرمة؛ بسبب ظلم

(١) رواه الترمذي في (كتاب السير)، برقم: ١٥٣٠، وأبو داود في (الجهاد)، برقم: ٢٢٧٤.
(٢) سورة النساء، الآيتان ٩٧، ٩٨.
(٣) رواه النسائي في (الزكاة)، برقم: ٢٥٢١، باب (من سأل بوجه الله – عز وجل -).

المشركين لهم، وعجزهم عن إظهار دينهم بمكة، حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة.

١٩ – مسألة في السفر إلى بلاد الكفار من أجل الدراسة

س: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار من أجل الدراسة فقط؟(١)

ج: السفر إلى بلاد الكفار خطير، يجب الحذر منه إلا عند الضرورة القصوى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين))، وهذا خطر فيجب الحذر.

فيجب على الدولة – وفقها الله – أن لا تبعث إلى بلاد المشركين إلا عند الضرورة، مع مراعاة أن يكون المبعوث ممن لا يخشى عليه؛ لعلمه وفضله وتقواه، وأن يكون مع المبعوثين من يلاحظهم ويراقبهم، ويتفقد أحوالهم.

وهكذا إذا كان المبعوثون يقومون بالدعوة إلى الله سبحانه ونشر الإسلام بين الكفار لعلمهم وفضلهم، فهذا مطلوب ولا حرج فيه أما إرسال الشباب إلى بلاد.

(١) سؤال موجه لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في أحد مساجد مكة المكرمة في شهر رجب عام ١٤١٢هـ، ونشر في المجموع ج٧ ص ٢٩١

الكفار على غير الوجه الذي ذكرنا، أو السماح لهم بالسفر إليهـا فهـو منكر، وفيه خطر عظيم.

وهكذا ذهاب التجار إلى هناك فيه خطر عظيم؛ لأن بـلاد الـشرك، الشرك فيها ظاهر، والمعاصي فيها ظاهرة، والفساد منتشر، والإنسان على خطر من شيطانه وهواه، ومن قرناء السوء؛ فيجب الحذر من ذلك.

٢٠- حكم حوار اليهود والنصارى في عقيدتهم

س: نتيجة لدراستنا في أمريكا، تطرح علينا مواضيع عـن الـدين المسيحي والدين اليهودي، فهل يجوز لنا الحديث عنهما؟[١]

ج: نعم، يجوز لكم الكلام في ذلك بحسب علمكم، ولا يجوز الكلام فيها ولا في غيرها بغير علم.

ومعلوم أن شريعة التوراة والإنجيل، من جملة الشرائع التي أنزلهـا الله على رسله، على حسب ما يليق بأهلها في زمانهم وظروفهم، والله سبحانه هو الحكيم العليم في كل ما يشرعه ويقدره، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]، وذلك بعد ما ذكـر إنزالـه التـوراة والإنجيل والقرآن

---

(١) نشر في مجلة (الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

في سورة (المائدة)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثم إن اليهود والنصارى حرفوا وبدلوا، وأدخلوا في شرائعهم ما ليس منها، ثم بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم برسالة عامة لجميع أهل الأرض - من جن وإنس - وشرع له شريعة عامة، وبذلك نسخ بها شريعة التوراة والإنجيل، وأوجب على جميع أهل الأرض أن يتحاكموا إلى الشريعة التي بعث الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم وأن يأخذوا بها دون كل ما سواها.

كما قال - عز وجل - يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة (المائدة): ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2] الآية. وقال سبحانه: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٠.

والآيات في هذا كثيرة، ومن تدبر القرآن الكريم وأكثر من تلاوته؛ لقصد الاستفادة والعمل، هداه الله إلى سبيل الحق، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1] الآية من سورة (الإسراء).

٢١- حكم قيام الطلاب للمدرسين

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم / معالي وزير المعارف - وفقه الله -.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: [2]:

فقد بلغني: أن كثيراً من المدرسين يأمرون الطلبة بالقيام لهم إذا دخلوا عليهم الفصل، ولاشك أن هذا مخالف للسنة الصحيحة، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار))[3] أخرجه الإمام

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٢) نشر في مجلة (البحوث الإسلامية)، العدد: ٢٦، عام ١٤١٠هـ، ص: ٣٤٧.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ١٦٣١١ (مسند الشاميين)، باب (حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه)، وأبو داود برقم: ٤٥٥٢ (كتاب الأدب)، باب (في قيام الرجل للرجل) والترمذي برقم (٢٦٧٩)كتاب الأدب باب(ماجاء في كراهية قيام الرجل للرجل)

أحمد وأبو داود والترمذي عن معاوية رضي الله عنه بإسناد صحيح.

وخرج الإمام أحمد والترمذي بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: ((لم يكن شخص أحب إليهم – يعني الصحابة - رضي الله عنهم – من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يقومون له إذا دخل عليهم؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك))[1].

فأرجو من معاليكم التعميم على المدارس، بأن السنة عدم القيام للمدرسين إذا دخلوا على الطلبة في الفصول؛ عملاً بهذين الحديثين الشريفين وما جاء في معناهما.

ولا يجوز للمدرس أن يأمرهم بالقيام؛ لما في حديث معاوية من الوعيد في ذلك، ويُكره الطلبة أن يقوموا؛ عملاً بحديث أنس المذكور.

ولا يخفى أن الخير كله في اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والتأسي به وأصحابه رضى الله عنهم.

جعلنا الله وإياكم من أتباعهم بإحسان، ووفقنا جميعاً للفقه في دينه والثبات عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ١١٨٩٥ (باقي مسند المكثرين)، (مسند أنس بن مالك - رضي الله عنه -)، والترمذي برقم: ٢٦٧٨ (كتاب الأدب)، باب (ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل).

٢٢- تنبيه حول القيام للمدرس[(١)]

أما القيام عند دخول الأستاذ، فظاهر الأحاديث الصحيحة يدل على كراهته أو تحريمه؛ كحديث أنس رضي الله عنه قال: " لم يكن أحب إليهم – يعني الصحابة – من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يقومون إذا رأوه؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك ". رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث صحيح غريب.

ولا ينبغي للأستاذ أن يرضى من الطلبة بذلك؛ لحديث معاوية رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال: ((من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي بإسناد جيد، وقد حسنه الترمذي.

وأخرج أبو داود بإسناد فيه ضعف، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكأً على عصى، فقمنا إليه، فقال: ((لا تقوموا كما تقوم الأعاجم؛ يعظم بعضهم بعضاً))[(٢)]

---

(١) نشر في هذا المجموع، في ج٢ ص ٩١.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: ٤٥٥٣ (كتاب الأدب)، باب (في قيام الرجل للرجل)، وأحمد برقم: ٢١١٥٨ (باقي مسند المكثرين)، باب (حديث أبي أمامة الباهلي).

وأخرجه أيضاً أحمد وابن ماجة، وذكر هذه الأحاديث الحافظ محمد بن مفلح، في (الآداب الشرعية)، ص: ٤٦٤، ٤٦٥، المجلد الأول.

وقد استثنى بعض أهل العلم من هذه الأحاديث القيام للقادم من السفر؛ للسلام عليه ومصافحته أو معانقته، وكذا من طالت غيبته، واستثنى بعضهم قيام الولد لأبيه؛ لإكرامه والأخذ بيده، وقيام الوالد لولده إذا كان أهلاً لذلك، والمراد: القيام للسلام والمصافحة.

وهذا الاستثناء صحيح، وقد دلت عليه السنة الصحيحة، منها ما في الصحيحين، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للصحابة لما قدم سعد بن معاذ للحكم في قريظة: ((قوموا إلى سيدكم))، والمراد: القيام للسلام عليه، وإنزاله عن دابته.

وفي الصحيحين، عن كعب بن مالك: " أنه لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والناس حوله - لما أنزل الله توبته - قام إليه طلحة بن عبيد الله يهرول، فصافحه وهنأه بتوبة الله عليه، و لم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم"(١)، وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كانت فاطمة رضي الله عنها إذا دخل

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٠٦٦ (كتاب المغازي)، باب (حديث كعب بن مالك)، ومسلم برقم: ٤٩٧٣ (كتاب التوبة)، باب (حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه).

عليها النبي صلى الله عليه وسلم قامت إليه، فأخذت بيده، وقبلته، وأجلسته في مجلسها، وإذا دخلت عليه قام إليها النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه"[1].

فهذه الأحاديث صريحة في جواز مثل هذا، وأنه لا يدخل في القيام المكروه. وأما ما يفعله بعض الناس اليوم؛ من القيام للأستاذ ونحوه كلما دخل عليهم لتعظيمه، لا للمصافحة ونحوها، وإنما يقومون ثم يجلسون؛ تعظيماً له واحتراماً، فلا شك في كراهة ذلك وإنكاره، وأنه لا يجوز للأستاذ ونحوه أن يرضى بذلك؛ لما تقدم في حديث معاوية وغيره.

وأحق الناس بامتثال السنة والتأدب بآدابها هم العلماء والمعلمون وطلاب العلم، ورؤساء الناس وأعيانهم؛ لأن الناس يقتدون بهم، فإذا عظموا السنة عظمها الناس، وإذا تهاونوا بها تهاون بها الناس.

ونبينا صلى الله عليه وسلم هو خير الناس وأفضلهم، وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وكان لا يرضى أن يقام له، بل كره ذلك، ونهى الصحابة عنه؛ خوفاً عليهم من الغلو، ومشابهة الأعاجم في القيام لرؤسائهم وعظمائهم، والله سبحانه يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: ٥٤٠ (كتاب الأدب)، باب (ما جاء في القيام)، والترمذي برقم: ٣٨٠٧ (كتاب المناقب)، باب (ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم -).

في رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. وفقنا الله وإياك للعلم النافع، والعمل به والدعوة إليه، والله يتولانا وإياك. والسلام.

٢٣- حكم قيام الطالبات للمدرِّسة

س: ما حكم قيام الطالبات للمدرِّسة احتراماً لها؟[2]

ج: إن قيام البنات للمدرسة والبنين للمدرس أمر لا ينبغي، وأقل ما فيه الكراهة الشديدة؛ لقول أنس رضي الله عنه: " لم يكن أحب إليهم يعني الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يكونوا يقومون له إذا دخل عليهم؛ لما يعلمون من كراهته لذلك".

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)).

وحكم النساء حكم الرجال في هذا الأمر. وفق الله الجميع لما يرضيه، وجنبنا جميعاً مساخطه ومناهيه، ومنح الجميع العلم النافع والعمل به؛ إنه جواد كريم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٣٣٤.

٢٤- ضرب الطالبات لغرض التعليم

س: ما حكم ضرب الطالبات لغرض التعليم، والحث على أداء الواجبات المطلوبة منهن؛ لتعويدهن على عدم التهاون فيها؟(١)

ج: لا بأس في ذلك؛ فالمعلم والمعلمة والوالد كل منهم عليه أن يلاحظ الأولاد، وأن يؤدب من يستحق التأديب إذا قصر في واجبه؛ حتى يعتاد الأخلاق الفاضلة، وحتى يستقيم على ما ينبغي من العمل الصالح؛ ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))(٢).

فالذكر يضرب والأنثى كذلك، إذا بلغ كل منهما العشر وقصر في الصلاة، ويؤدب حتى يستقيم على الصلاة، وهكذا الواجبات الأخرى في: التعليم، وشئون البيت، وغير ذلك.

فالواجب على أولياء الصغار من الذكور والإناث، أن يعتنوا

---

(١) نشر في (مجموع الفتاوى) لسماحته، ج٦.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٦٤٦٧ (مسند المكثرين من الصحابة)، باب (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -)، وأخرجه الترمذي برقم: ٣٧٢ (كتاب الصلاة)، باب (ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة)، وأبو داود برقم: ٤١٧ (كتاب الصلاة)، باب (متى يؤمر الغلام بالصلاة)، والدارمي برقم: ١٣٩٥ (كتاب الصلاة)، باب (متى يؤمر الصبي بالصلاة).

بتوجيههم وتأديبهم، لكن يكون الضرب خفيفاً لا خطر فيه؛ ولكي يحصل به المقصود.

٢٥- مسألة في فضل نشر العلم

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أرجو التكرم بالإجابة على السؤالين التاليين:

س١: يقوم بعض زملائنا في مدرستنا بتوزيع بعض الأشرطة والكتيبات النافعة، التي تحتوي على توجيهات وفتاوى هيئة كبار العلماء بالمملكة؛ من أجل نشر الخير بين زملائهم.

ولكن حصل أن انزعج بعض الإخوة من هذا الأمر، وقالوا: إن هذا تشديد وتضييق عليهم؛ لأنه يجعلهم يطلعون على أحكام شرعية يصعب عليهم تطبيقها، ويخشون من الإثم، وصار بعضهم يمتنع عن أخذ الكتيب أو الشريط للسبب نفسه، ووصل الحال ببعضهم إلى أن قال: ليتنا نبقى على جهلنا؛ فهو أفضل، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ

أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١]. فنرجو منكم التفضل بتوجيه هــؤلاء الإخوة حول هذا الأمر بما ترونه مناسباً؟

س٢: رزق أحد الزملاء بمولودة وأراد تسميتها (ريناد) أو (رناد)؛ على أساس أن هذا الاسم مأخوذ من الرند؛ وهو: شجر طيب الرائحة، وقد اعترض عليه بعض الإخوة؛ بحجة أن هذا الاسم أجنبي، فهل تجوز التسمية بهذا الاسم أم لا؟ - وجزاكم الله خيراً -[٢].

ج: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بعده:

توزيع الكتب والأشرطة النافعة الصادرة من علماء السنة من أفــضل القربات؛ لأن ذلك من نشر العلم، والدعوة إلى الخير، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٣]. الآيــة، ويقول عز وجل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَــسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]. الآية، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من دل على خير فله مثل أجر

(١) سورة المائدة، الآية ١٠١.
(٢) سؤالان مقدمان من السائل / أ. م. من الطائف، أجاب عنهما سماحته عام ١٤١٨هـ.
(٣) سورة فصلت، الآية ٣٣.
(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

فاعله))[1] أخرجه مسلم في الصحيح.

أما التسمية بـ (ريناد) أو (رناد)، فلا أعلم به بأساً، لكن اختيار بعض الأسماء المعروفة الطيبة أولى منها. وفق الله الجميع. والسلام.

٢٦ - نصيحة للطلاب بمناسبة الامتحانات المدرسية

س: هذه أيام امتحانات، فهل من نصيحة للطلاب يا سماحة الشيخ؟[2]

ج: ننصح الطلاب جميعاً بالجد والعناية، والمذاكرة في الدروس ليلاً ونهاراً، والتعاون فيما بينهم في حل المشكلات، وسؤال الله التوفيق والعون، والحذر من المعاصي، والحرص على الصلاة، والمحافظة عليها في الجماعة؛ صلاة الفجر وغيرها، وعلى بر الوالدين وصلة الرحم، وأداء حق الزوجة، إلى غير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٣٥٠٩ (كتاب الإمارة)، باب (فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب أو غيره).

(٢) سؤال موجه إلى سماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها تحت عنوان: (الوصية بكتاب الله: القرآن الكريم) في ١٤١٦/٨/١٣هـ بمدينة جدة، ونشر في المجموع ج٩ ص ٤١.

فنوصي الطلاب بتقوى الله، والاستقامة على دينه، والمحافظة على ما أوجب الله، وترك ما حرّم الله، وهذا يعينهم على النجاح في دروسهم، كل واحد عليه أن يتقي الله، وأن يحافظ على ما أوجب الله من صلاة وغيرها، وأن يجتهد في بر والديه وإعطائهم حقوقهم، وإنصاف الزوجة وإعطائها حقوقها — إن كان له زوجة - وحفظ الوقت من القيل والقال الذي لا فائدة فيه، وذلك بالمذاكرة وحده أو مع إخوانه.

٢٧ - كلمة توجيهية للطلاب والطالبات

س: بمناسبة قرب امتحانات النصف الأول، سماحة الشيخ: هل من كلمة للطلاب والطالبات؟[١]

ج: نعم. نوصي الجميع بتقوى الله - جل وعلا - والعناية بالدروس، والاستعداد الكامل، والمذاكرة بينهم، ومراجعة مراجعهم؛ حتى يستفيدوا، وحتى ينجحوا - إن شاء الله —.

ونوصيهم بالحذر من الغش؛ فإن الغش لا يجوز في جميع المواد - لا في المواد الدينية ولا في غيرها - يجب الحذر من الغش، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) نشر في جريدة (الرياض)، العدد: ١٠٧٦٣، في ١٢/٨/١٤١٨هـ.

((من غشنا فليس منا))[1]، فالواجب الحذر؛ ولأن الغش يترتب عليه شر كثير، فنوصي الطلبة جميعاً بالحذر من الغش، ونوصيهم جميعاً بالعناية والإعداد والمذاكرة، ومراجعة الدروس، ومراجعة الكتب التي يختبرون فيها، والمذاكرة بينهم فيما يشكل، وسؤال الأساتذة عما يشكل قبل الاختبار، حتى إذا جاء الاختبار فإذا هو قد هيأ نفسه.

٢٨ - حكم الغش في الاختبارات

الوالد الكريم: سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز - حفظه الله ورعاه -.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

تعلمون – وفقكم الله - تعالى – أنه في نهاية كل فصل دراسي يثار تساؤل بين كثير من الطلاب والمدرسين حول ظاهرة الغش في الاختبارات، وحكم ذلك؟ مما يجعل الكثير منهم يخوضون في المسألة بعلم أو بغير علم. فنرجو من سماحتكم – سلمكم الله - تعالى – بيان حكم الغش في الاختبارات بالنسبة للطلاب الذين يغشون؟ وبالنسبة للمدرسين الذين يتساهلون، أو يساعدون أو

(١) أخرجه مسلم برقم: ١٤٦ (كتاب الإيمان)، باب (قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " من غشنا فليس منا ").

يتغاضون عمن يفعل ذلك؟ وما هي الآثار المترتبة من الناحيتين الشرعية والاجتماعية على المسلمين؟ وما قولكم فيمن يقول: إن الغش حرام فقط إذا كان في المواد والعلوم الشرعية، ويكون مباحاً إذا كان في غيرها؛ كاللغة الإنجليزية أو التاريخ أو الرياضيات أو الهندسة أو نحوها؟

وأيضاً ما هو سند حديث: " من غش فليس منا "؟ وهل هو خاص في الطعام، أم عام؛ يشمل كل ما فيه مضرة على المسلمين؟ أفتونا - أثابكم الله - ليزول الإشكال في هذا الموضوع المهم والحساس. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. (١)

الجواب: الغش في جميع المواد حرام ومنكر؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: ((من غشنا فليس منا)) أخرجه مسلم في صحيحه.

وهذا لفظ عام؛ يعم الغش في المعاملات، وفي النصيحة والمشورة، وفي العلم بجميع مواده الدينية والدنيوية.

ولا يجوز للطالب ولا للمدرس فعل ذلك، ولا التساهل فيه ولا التغاضي عنه؛ لعموم الحديث المذكور، وما جاء في معناه؛ ولما يترتب على الغش من

---

(١) سؤال موجه لسماحته بتاريخ ١٤٠١/٧/٢٦ هـ، أجاب عنه بتاريخ ١٤٠١/٨/٤هـ.

المفاسد والأضرار والعواقب الوخيمة. وفق الله الجميع للفقه في الدين والثبات عليه. إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٢٩- مسألة في الغش في الامتحان

س: ما حكم الغش في أوقات الامتحان، علماً بأني أرى كثيراً من الطلبة يغشون، وأنصح لهم، لكنهم يقولون: ليس في ذلك شيء؟ أفيدوني - جزاكم الله خيراً -. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[(١)].

ج: الغش في الامتحان وفي العبادات وفي المعاملات محرم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من غشنا فليس منا))، ولما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة في الدنيا والآخرة؛ فالواجب الحذر منه والتواصي بتركه.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية) للشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٣٣٠، وفي (كتاب الدعوة)، ج١، ص: ١٥٧.

٣٠- حكم الغش في مادة الإنجليزية

س: أنا طالب في إحدى الكليات في مدينة الرياض، وألاحظ بعض الطلبة يغشون في الامتحانات، وخاصة بعض المواد، منها مثلاً: مادة اللغة الإنجليزية، وعندما أناقشهم في ذلك يقولون: إن الغش في مادة اللغة الإنجليزية ليس حراماً، وقد أفتى بذلك بعض المشايخ. أرجو إفادتي في هذا العمل، وهذه الفتوى؟[1]

ج: قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من غشنا فليس منا))، وهذا يعم الغش في المعاملات والغش في الامتحان، ويعم الإنجليزية وغيرها، فلا يجوز للطلبة والطالبات الغش في جميع المواد؛ لعموم هذا الحديث وما جاء في معناه. والله ولي التوفيق.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من إعداد الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٣٣٠ ، وفي (كتاب الدعوة)، ج١، ص: ١٥٨.

٣١ - قراءة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها فيها أجر عظيم

س: وردت الأدلة على حصول الأجر من الله سبحانه على قراءة القرآن الكريم. فهل يحصل الأجر من الله على قراءة الأحاديث النبوية؟ أفتونا - جزاكم الله خيراً -[١].

ج: قراءة القرآن تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى فيها أجر عظيم، وهكذا قراءة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها فيها أجر عظيم؛ لأن ذلك عبادة لله سبحانه وتعالى وطريق لطلب العلم والتفقه في الدين.

وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب التعلم والتفقه في الدين؛ حتى يعبد المسلم ربه على بصيرة، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرا يفقه في الدين))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)). رواه مسلم في صحيحه.

---

(١) نشر في المجلة العربية، جمادى الاخرة ١٤١٣هـ.

وجاء في قراءة القرآن أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي لأصحابه شفيعاً يوم القيامة))[(١)]. رواه مسلم.

وقال ذات يوم عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ((أيحب أحدكم أن يذهب إلى بطحان (واد في المدينة)، فيأتي بناقتين عظيمتين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ "، فقالوا: كلنا نحب ذلك يا رسول الله، قال: " لأن يذهب أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين عظيمتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)) أخرجه مسلم في الصحيح.

وهذا يدل على فضل قراءة القرآن وتعلمه، ومن ذلك: حديث ابن مسعود المشهور، المخرج في جامع الترمذي بإسناد حسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من قرأ حرفاً من القرآن فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها))[(٢)].

وهكذا السنة، إذا تعلمها المؤمن بقراءة الأحاديث ودراستها وحفظها، ومعرفة الصحيح منها من غيره، يكون له بذلك أجر عظيم؛ لأن هذا

(١) أخرجه مسلم برقم: ١٣٣٧ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل قراءة القرآن).
(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٢٨٣٥ (كتاب فضائل القرآن)، باب (ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر).

من تعلم العلم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) - كما تقدم -.

وهذا يدل على أن قراءة الآيات وتدبرها، ودراسة الأحاديث وحفظها، والمذاكرة فيها؛ رغبة في العلم والتفقه في الدين والعمل بذلك، من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، وهكذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) المتفق على صحته، يدل على فضل العلم وطلبه، وأن ذلك من علامات الخير — كما سبق -.

فالتفقه في الدين يكون عن طريق الكتاب، ويكون عن طريق السنة، فالتفقه في السنة من الدلائل على أن الله أراد بالعبد خيراً، كما أن التفقه في القرآن يدل على ذلك، والأدلة في هذا كثيرة - والحمد لله —.

٣٢ - وصف الأمة بالأمية

س: كثيراً ما نقرأ في الصحف ونرى إعلانات في الشوارع تشجب الأمية، وتعدها من علامات التخلف، والله تعالى وصف هذه الأمة بالأمية، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (١)، فأرجو أن توضحوا ذلك؟ (٢)

ج: كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم من العرب والعجم لا يقرأون ولا يكتبون؛ ولهذا سموا أميين، وكان الذين يكتبون ويقرأون منهم قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الكتابة ولا يكتب، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٣)، وكان ذلك من دلائل صدق رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام لأنه أتى إلى الناس بكتاب عظيم أعجز به العرب والعجم، أوحاه الله إليه، ونزل به عليه الروح الأمين جبرائيل عليه الصلاة والسلام وأوحى إليه سبحانه السنة المطهرة، وعلوماً كثيرة من علوم الأولين، وأخبره سبحانه بأشياء

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٢) نشر في المجموع لسماحته، ج٧، ص: ١٣٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

كثيرة مما كان في غابر الزمان، ومما يكون في آخر الزمان، ومما يكون في يوم القيامة، كما أخبره بأحوال الجنة والنار وأهلهما.

وكان ذلك مما فضله الله به على غيره، وأرشد به الناس إلى مترلته العالية مع وصفه بالأمية؛ لأن ذلك من أوضح الأدلة على نبوته ورسالته؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

أما وصف الأمة بالأمية، فليس المقصود منه ترغيبهم في البقاء عليها، وإنما المقصود الإخبار عن واقعهم وحالهم حين بعث الله إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم وقد دل الكتاب والسنة على الترغيب في التعلم والكتابة، والخروج من وصف الأمية، فقال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4]. الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٤) سورة فاطر، الآية ٢٨.

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " رواه الإمام مسلم في صحيحه. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) متفق على صحته. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وبالله التوفيق.

٣٣- فضل التفقه في الدين للعمل به وتعليم الناس

س: إذا حفظ الإنسان علماً من علوم الدين؛ لكي يقوم بدوره في القرية التي يسكنها، وحفظ القرآن لكي يصلي بالشباب صلاة قيام رمضان. هل يكون هناك نوع من الشرك الأصغر؟[1]

ج: من المعلوم بالأدلة الشرعية أن طلب العلم والتفقه في الدين من أفضل القربات والطاعات، وهكذا دراسة القرآن الكريم، والعناية بالإكثار من تلاوته، والحرص على حفظه أو ما تيسر منه، كل ذلك من أفضل القربات.

فإذا قمت بما ينبغي من تعليم أهل قريتك وتوجيههم، والصلاة بهم، والصلاة بالشباب وغيرهم، فكل هذا عمل صالح تشكر عليه وتؤجر عليه، وليس ذلك من الرياء،

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ١٢. ونشر في المجموع، ج٩، ص: ٣٦٦.

وليس من الشرك، إذا كان قصدك وجه الله والدار الآخرة، ولم ترد رياء الناس، ولا حمدهم، ولا ثناءهم، وإنما أردت بذلك أن تنفعهم، وأن تتزود من العلم والفقه في الدين.

وإنما يكون ذلك شركاً أصغر إذا فعلت ذلك رياءً للناس، وطلباً لثنائهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر))، فسئل عنه، فقال: ((الرياء))[1] ((يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر الناس إليه))[2]. يقول الله سبحانه يوم القيامة للمرائين: ((اذهبوا إلى من كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[3]. فالرياء: أن تعمل العمل وتقصد الناس أن يشاهدوك ويثنوا عليك ويمدحوك، ومن ذلك السمعة، كأن تقرأ ليثنوا عليك ويقولوا: إنه جيد القراءة ويحسن القراءة أو تكثر من ذكر الله ليثنوا عليك ويقولوا يكثر من الذكر، أو تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لتُمدح ويُثنى عليك، وهذا هو الرياء، وهو الشرك الأصغر.

فالواجب الحذر من ذلك، وأن تعمل أعمالك لله وحده، لا لأجل مراءاة الناس وحمدهم وثنائهم، ولكنك تتعلم لتعمل وتعلم إخوانك، وتصلي بهم وترجو

---

(١) رواه أحمد في (باقي مسند الأنصار)، برقم: ٢٢٥٢٣، ٢٢٥٢٨.

(٢) رواه ابن ماجة في (الزهد)، برقم: ٤١٩٤.

(٣) رواه أحمد في (باقي مسند الأنصار)، برقم: ٢٢٥٢٣، ٢٢٥٢٨.

ما عند الله من المثوبة، وتقصد بذلك نفعهم؛ لا رياءً ولا سمعة.

وإذا قرأت من المصحف فلا بأس أن تصلي بإخوانك من المصحف في رمضان، فكان مولى عائشة رضي الله عنها يصلي بها من المصحف، فلا حرج على المصلي أن يقرأ من المصحف في قيام رمضان إذا كان لا يحفظ، وإذا كان يحفظ عن ظهر قلب وقرأه حفظاً فهو أفضل وأحسن، ولكن لا حرج في القراءة من المصحف عند الحاجة إلى ذلك.

٣٤- موقف طالب العلم من اختلاف العلماء

س: نحن شباب نحاول أن نجتهد ونتفقه في أمور الدين، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك، ولقد قمنا بقراءة بعض الكتب الدينية التي تختص بالأحكام والعبادات الموجودة في المكتبات، ولكن صادفتنا مشكلة؛ أنه في بعض الكتب هناك اختلاف بينها وبين بعض؛ مما سبب لنا بعض الاضطراب، ما هي نصيحتكم لنا جزاكم الله خيراً؟[(١)]

ج: الكتب من قديم الزمان لابد أن يكون فيها تخالف؛ لأن الآراء والاجتهادات تختلف في الفروع والأحكام؛ فليس هذا

---

(١) سؤال أجاب عنه سماحته في حج عام ١٤٠٦هـ.

ببدع، بل هو معروف. فالمؤمن وطالب العلم يتحرى الدليل، فما قام عليه الدليل فهو الواجب الاتباع في مسائل الخلاف، أما ما أجمع العلماء، فإجماعهم حجة.

أما إذا وجدت مسألة اختلفوا فيها؛ في الحج أو في الصلاة أو في المعاملات أو في الصيام أو في غير ذلك، فإن طالب العلم ينظر في أدلة الفريقين أو الفرق، فإن وجد أقوالاً عدة، فينظر ويتأمل ولا يعجل؛ ينظر إلى أدلتهم، فمن كان معه الدليل فهو المتبع، ولا يتعصب لأحد، بل ينظر إلى الدليل، فمن كان معه ظاهر القرآن أو ظاهر السنة، أو قواعد الشريعة معه، قدمه على غيره. والله أعلم.

٣٥ - بعض كتب الحديث التي ينصح بها

س: ما أفضل كتب الحديث التي تنصحون بمراجعتها - يا سماحة الشيخ - خصوصاً في المسجد؟[١]

ج: أما للحفظ ولطالب العلم: (بلوغ المرام) من أحسن الكتب؛ لأنه مختصر ومفيد ومحرر، و(عمدة الحديث) كذلك كتاب طيب للشيخ / عبد الغني المقدسي، و(المنتقى) أوسع منهما جميعاً - إذا تيسر حفظه أو مراجعته - وما ذكر فيه أيضاً مهم؛ لأنه كتاب جامع

(١) نشر في جريدة (الرياض)، العدد: ١٠٧٦٣، في ١٢/٨/١٤١٨هـ.

لأبي البركات مجد الدين عبد السلام بن تيمية – رحمه الله -. وكذلك من الكتب النافعة (الخمسون النووية)، التي كملها ابن رجب؛ هي اثنان وأربعون للنووي، كملها بثمانية أحاديث ابن رجب – رحمه الله - صارت خمسين، هي من جوامع الكلم، وهي مفيدة جداً؛ فنوصي بحفظها لكونها من جوامع الكلم، والحاجة ماسة إلى حفظها.

٣٦- مسألة في العلم

س: سماحة الشيخ: هل هناك قدر من العلم يقف عنده المسلم حتى يتعرف على دينه؟[١]

ج: نعم. يلزمه أن يتعلم ما يجب عليه وما يحرم عليه، والبقية سنة؛ يلزمه أن يتعلم ما لا يسعه جهله؛ يعني ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه؛ حتى يعبد ربه على بصيرة؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]. وهذه العبادة التي خلقوا لها لابد أن يعرفوها حتى يؤدوها، ولا طريق إلى معرفتها إلا بالله ثم بالعلم النافع؛ بالنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسؤال أهل العلم، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ

(١) نشر في جريدة (الرياض)، العدد: ١٠٧٦٣، في ١٢/٨/١٤١٨هـ.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]. فليعرف، الواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة أن يتعلم ما لا يسعه جهله، ويتفقه في الدين؛ حتى يعلم ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه، وحتى يعبد الله على بصيرة؛ فهو مخلوق للعبادة، مأمور بها، فلابد أن يتعلم هذه العبادة التي هو مخلوق لها؛ وذلك بمراجعة القرآن العظيم والسنة المطهرة، وسؤال أهل العلم عما أشكل عليه.

٣٧ - طلب العلم
مقدم على الجهاد في سبيل الله

س: ما الأفضل في هذا الوقت: الجهاد في سبيل الله، أم طلب العلم ونفع الناس وإزالة الجهل؟ وما حكم الجهاد لمن لم يستأذن والديه في الجهاد وخرج للجهاد؟[2]

ج: طلب العلم من الجهاد، وهو واجب للتفقه في الدين وطلب العلم، وإذا وجد جهاداً في سبيل الله - الجهاد الشرعي - شارك فيه إذا وجد ذلك، وهو من أفضل الأعمال. ولكن عليه أن يتعلم ويتفقه في الدين، وهو أفضل ومقدم على الجهاد؛ لأنه واجب

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٢) من أسئلة حج عام ١٤١٨هـ، أجاب عنه سماحته بتاريخ ١٤١٨/١٢/٩هـ.

عليه أن يتفقه في دينه، والجهاد مستحب فرض كفاية؛ إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لكن تعلم الإنسان العلم أمر مفترض عليه ليتفقه في دينه، وإذا يسر الله له جهاداً إسلامياً فلا بأس، يشرع له المشاركة إذا قدر، ولكن بإذن والديه. أما الجهاد الواجب؛ الذي يهجم العدو على البلد، فيجب على الجميع الجهاد إذا هجم العدو على بلاد المسلمين، وجب عليهم كلهم أن يجاهدوا، وأن يدفعوا شر العدو كلهم، حتى النساء يجب عليهن أن يدفعن شر العدو بما استطاعوا.

أما جهاد الطلب، فكونه يذهب إلى العدو في بلاده ويجاهد في بلاده، فهذا فرض كفاية على الرجال.

٣٨ - حكم التفرغ لإفتاء الناس

س: ما أشد حاجتنا إلى السؤال عن أمور ديننا. ألا ترون أنه يجب أن يكون هناك أشخاص متفرغون، همهم إفتاء الناس فيما يرد إليهم من أسئلة ولو عبر الهاتف؟[(١)]

ج: هذا من أهم الأمور، وهذا البرنامج وهو (نور على الدرب) من هذا القبيل؛ فإنه - والحمد لله - هو القائم بهذه المهمة، وإذا تيسر من العلماء من يقوم بذلك - كالعون لهذا البرنامج - فهذا من

(١) من أسئلة (نور على الدرب)، الشريط رقم: ١٧.

الخير العظيم. والمقصود: أن هذا البرنامج بحمد الله فيه خير عظيم ونفع كبير، وقد أدى فرض كفاية.

وإذا تيسر من العلماء في المساجد وفي بيوقم من يفتي الناس - إذا كان عنده علم وبصيرة بما قاله الله ورسوله - فهذا خير إلى خير.

فالحاصل: أن هذا البرنامج فيه خير عظيم، والحمد لله قد قام بواجب كبير في إفتاء الناس في الداخل والخارج، وبحل المشاكل بالأدلة الشرعية.

فنسأل الله أن يوفق القائمين عليه وأن يعينهم، وأن يمنحهم البصيرة، والإخلاص والصدق، وأن يوفق الجميع في كل مكان لما فيه رضاه، ولما فيه صلاحهم ونجاتهم، وأن يوفق علماء المسلمين في كل مكان لأداء الواجب، وتوجيه الناس إلى الخير، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، مع العناية بما قاله الله ورسوله، وأن تكون الفتوى على ضوء كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام لا بالآراء المجردة. والله المستعان.

٣٩ - من صفات أهل العلم

س: كثير من طلبة العلم اليوم يعرفون كثيراً من فضائل الأعمال وأجرها، ومنها قيام الليل، ولا يفعلون هذا؛ حيث إنهم يَعْلَمون ولا يَعْمَلون؟[١]

ج: الأعمال التي جاءت النصوص ببيان فضلها قسمان:

قسم واجب: فعلى المرء المسلم - سواء كان عالماً أو غير عالم - أن يعتني به، وأن يتقي الله في ذلك، وأن يحافظ عليه؛ كالصلوات الخمس وأداء الزكاة، وغيرهما من الفرائض.

وقسم مستحب: كالتهجد بالليل وصلاة الضحى، ونحو ذلك.

فالمشروع للمؤمن أن يجتهد في ذلك ويحرص عليه، ولاسيما أهل العلم؛ لأنهم قدوة، ولو شغل عن ذلك أو تركه بعض الأحيان لم يضره ذلك؛ لأنه نافلة، لكن من صفات أهل العلم والأخيار العناية بهذا الأمر، والمحافظة عليه؛ كالتهجد بالليل وصلاة الضحى والرواتب، إلى غير ذلك من وجوه الخير.

---

(١) نشر في (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) لسماحته، ج٨.

٤٠ - حكم من يجمع كتباً ولا يقرأها

س: أنا رجل – ولله الحمد – لدي العديد من الكتب النافعة والمفيدة والمراجع، لكنني لا أقرؤها، بل أختار منها البعض.

هل يلحقني إثم في جمع هذه الكتب عندي في البيت، مع العلم أن بعض الناس يأخذون من عندي بعض الكتب يستفيدون منها ثم يرجعونها؟[١]

ج: ليس على المسلم حرج في جمع الكتب المفيدة، وحفظها لديه في مكتبة لمراجعتها والاستفادة منها، ولتقديمها لمن يزوره من أهل العلم ليستفيدوا منها، ولا حرج عليه إذا لم يراجع الكثير منها.

أما إعارتها إلى الثقات الذين يستفيدون منها، فذلك مشروع، وقربة إلى الله سبحانه لما فيه من الإعانة على تحصيل العلم؛ ولأن ذلك داخل في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))[٣].

---

(١) نشر في جريدة (المسلمون)، العدد: ٤٩٨، في ١٤١٩/٢/٢٦هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٤٨٦٧ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).

٤١- حكم الاستماع إلى برنامج (نور على الدرب) في المسجد

س: هل يصح أن نستمع إلى برنامج (نور على الدرب) في المسجد، بدلاً من الاستماع إلى أحاديث بعض المصلين الفارغة، ومنعاً للأحاديث الدنيوية في المساجد؟[١]

ج: في الاستماع إلى هذا البرنامج خير عظيم، وفيه مصالح جمة، وقد يسر الله للمسلمين هذا البرنامج ليستفيدوا منه، فهو بمثابة حلقات علمية، يستفيد منها الرجال والنساء وهم في بيوتهم ومجالسهم وعلى أَسِرتهم؛ فهو من نعم الله العظيمة، ومن حجة الله القائمة على الناس؛ يصل إليهم في بيوتهم وفي سياراتهم وفي طائراتهم وفي كل مكان.

فينبغي للمسلمين أن يستفيدوا من هذا البرنامج، ويحمدوا الله ويشكروه على ما يسره لهم سبحانه وتعالى.

وكان الناس يسعون للعلم من أماكن بعيدة إلى المساجد، وإلى العلماء في بيوتهم ليطلبوا العلم، وربما سافر الرجل من بلاد بعيدة إلى العَالِم يطلب منه فائدة، فقد سافر جابر بن عبد الله

---

(١) نشر في (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) لسماحته، ج٨ /٣٦٥.

رضي الله عنه إلى الشام، وسافر غيره إلى مصر واليمن في حديث واحد، وهم أصحاب رسول الله، وخير سلف هذه الأمة.

فأنت - يا عبد الله، ويا أمة الله - يسر الله لكما هذا البرنامج بواسطة الأثير، وأنتم في بيوتكم؛ فأنا أوصي وأنصح كل مسلم وكل مسلمة أن يستفيد من هذا البرنامج، وأن يسأل عما أشكل عليه من طريق هذا البرنامج.

فنسأل الله أن يوفق القائمين على هذا البرنامج لإصابة الحق، وأن يعينهم على إبلاغ رسالة الله، وأمره ونهيه للأمة في كل مكان، وأن يوفق المسلمين في كل مكان إلى أن يستمعوا لهذا البرنامج ويستفيدوا منه، ومتى أشكل على أحد شيء من أمور دينه، فما عليه إلا أن يسأل أهل العلم في أي مكان حتى يطمئن؛ لقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولا بأس بفتح الراديو في المسجد لسماع هذا البرنامج، ولسماع العلم من غير هذا البرنامج في الأوقات المناسبة التي تتفق الجماعة عليها، فإذا جاءت أصوات الموسيقى أو شيء لا يُرتَضَى وجب قفله.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧.

٤٢ - مسألة حول اعتماد
طالب العلم على الكتب دون التلقي من العلماء

س: بعض الناس يعتمد على الكتب الفكرية والثقافية ويقرأ منها، ثم بعد ذلك يظن أنه عالم وداعية، مع أنه ضعيف في الفقه في الدين، ولم يقرأ في الكتب الشرعية، فما هو توجيه سماحتكم لمثل هذا؟[(١)]

ج: العلم: قال الله وقال رسوله، وليس قال فلان وفلان، العلم: قال الله وقال رسوله، بعد ذلك قول أهل العلم بما يفسرونه ويوضحونه للناس؛ وأهل العلم هم خلفاء الله في عباده بعد الرسل، قال جل وعلا: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾[(٢)].

والعلم هو: العلم بالله وبدينه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[(٣)]. وهم الرسل وأتباعهم أهل البصائر، أهل الدين، أهل الحق، أهل القرآن والسنة، فالعلماء

(١) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته من صحيفة (المدينة)، نشرتها المدينة في ١٤١٦/١٠/٢٣هـ، عدد: ١٢٠٢٤، ونشر في المجموع ج٩ ص٢٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.

هم خلفاء الرسل، وهم الموضحون والدالون على الله وعلى دينه.

ولا يكون طالب العلم من أهل العلم، إلا بتدبر وتعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ من علماء السنة، هذا هو طريق العلم: أن يقبل على الطاعات، والتدبر والتعقل والاستفادة، ويقرأ قراءة المستفيد، الطالب للعلم من أوله إلى آخره. ويتدبر ويتعقل ويطالع ما أشكل عليه في كتب التفسير المعتمدة؛ كتفسير ابن كثير والبغوي، ونحوهما من التفاسير المعتمدة، ويعنى بكتب الحديث الشريف.

ويأخذ العلم عن علماء أهل السنة والجماعة من أهل البصيرة، لا من علماء الكلام، ولا من علماء البدع، ولا من الجهلة، فالعلم الذي ليس من كتاب الله وسنة رسوله لا يسمى علماً، بل يسمى جهلاً، وإن كان علماً نافعاً في الدنيا، لكن المقصود الذي ينفع في الآخرة، وينقذ من الجهالة، ويتبصر به الإنسان في الدين، ويعرف ما أوجب الله عليه وما حرم عليه، هذا هو العلم الشرعي.

٤٣ - خطورة الاستطالة في أعراض العلماء

س: يلاحظ في هذه الفترة: أن بعض طلبة العلم يتطاولون على كبار المشايخ إذا لم يقولوا ما يتفق مع أهواءهم أو رغباتهم أو معتقداتهم. ما رأي سماحتكم في ذلك؟[١]

ج: نسأل الله لنا ولهم الهداية، والواجب على أهل العلم وعلى غيرهم الحذر من الغيبة، واحترام أعراض المسلمين، والحذر من النميمة، كل هذه يجب الحذر منها، فالغيبة والنميمة من أقبح الخصال، فالواجب على المسلم الحذر منهما جميعاً.

فالغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، والنميمة: نقل الكلام السيء من قوم إلى قوم، أو من شخص إلى شخص؛ لأن هذا يثير العداوة والشحناء.

والواجب على كل مسلم أن يحذر الغيبة والنميمة، وأن يحترم أعراض المسلمين، ولا سيما أهل العلم؛ يحترم أعراضهم، ويحذر من الكلام في أعراضهم، وأما من أظهر المنكر أو البدعة فلا غيبة له فيما أظهر وبين.

---

(١) نشر في (مجلة المجلة)، عدد: ٨٠٦، بتاريخ ١٤١٦/٢/٢٣هـ، ونشر في المجموع، ج٨، ص: ٤٠.

٤٤ - سؤالان عن كتاب (الترغيب والترهيب)، وكتاب (سبل السلام)

س: سائلة تسأل عن كتاب (الترغيب والترهيب)؟[١]

ج: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فكتاب (الترغيب والترهيب)، كتاب مشهور معروف للحافظ المنذري، مشتمل على أحاديث كثيرة، فيها الصحيح وفيها الضعيف وفيها الحسن.

وقد أشار في كتابه إلى الأحاديث الضعيفة بقوله: (وروي)، إذا لم يجزم به، بل حكاه بصيغة التمريض، فذلك إشارة منه إلى أنه من الأحاديث الضعيفة. وهو كتاب مفيد عظيم - رحم الله مؤلفه -.

س: سئل سماحته عن كتاب (سبل السلام)؟

ج: كتاب (سبل السلام) معروف أيضاً، وهو للأمير / محمد بن إسماعيل الصنعاني، وأصله لمؤلف يعرف بـ (المغربي)، وهو كتاب جيد مفيد على كتاب (بلوغ المرام) للحافظ ابن حجر.

---

(١) هذا السؤال والذي بعده، من ضمن أسئلة برنامج (نور على الدرب)، الشريط: الثامن.

٤٥ - جلسات الذكر النسائية

س: هل صحيح أن جلسات الذكر النسائية لا تحضرها الملائكة إذا كانت النساء كاشفات لشعورهن (أي غير متحجبات)؟[(١)]

ج: لا أعلم لهذا أصلاً، ولهن أن يقرأن ويذكرن الله - عز وجل - وإن كن كاشفات رؤوسهن إذا لم يكن عندهن أجنبي، ولا يمنع ذلك من دخول الملائكة. والله ولي التوفيق.

٤٦ - حفظ الكتب والمجلات والجرائد التي فيها صور

س: أنا طالب بالمرحلة الثانوية، وهوايتي القراءة والاطلاع؛ مما دفعني إلى الاشتراك في كثير من المجلات الإسلامية والثقافية والعسكرية، ولكن البعض من هذه المجلات - بل الأغلب - لا يخلو من صور الأشخاص، مع إنني أحتفظ بالمجلات بمكتبة خاصة بي والصور فيها، ونحن نعلم ما قيل في المصورين، وما قيل من عدم

---

(١) سؤال مقدم من: ف. م. الشرقية، أجاب عنه سماحته بتاريخ ١٤١٨/١٢/٢٧هـ.

دخول الملائكة البيت الذي فيه كلب أو صورة من الأحاديث النبوية.. أرجو توضيح المسألة توضيحاً يكشف الغموض، ويكون جامعاً مانعاً؟(١)

ج: لا مانع من حفظ الكتب والصحف والمجلات المفيدة، وإن كان فيها بعض الصور، لكن إن كانت الصور نسائية فالواجب طمسها، أما إن كانت من صور الرجال، فيكفي طمس الرأس؛ عملاً بالأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك.

٤٧ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب صلاح الجميع، وأحذر إخواني المسلمين من المجالس التي تعج بالجدل والخصام(٢)

س: سماحة الشيخ: يكثر في بعض مجالس الناس الجدال العقيم، والكلام في قضايا لا تعنيهم. ما الذي ينبغي عمله في مثل هذه المناسبات وهذه الاجتماعات – جزاكم الله خيراً -؟

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٣٣٣.

(٢) نشر في (جريدة الرياض)، العدد: ١٠٧٦٣، وتاريخ ١٢/٨/١٤١٨هـ.

ج: المشروع للمؤمن الحذر من المجالس التي فيها الجدل والخصام والمراء بدون فائدة، لا يحضرها ولا يشارك فيها؛ لأنها تفضي إلى الباطل أو إلى الكذب، وإلى القول بغير علم.

أما المجالس التي فيها ذكر الله، وفيها التعاون على الخير، وفيها البحث العلمي والتفقه في الدين، هذه مجالس طيبة، أما مجالس الجدل والنزاع والخصومات والمراء، فينبغي الحذر منها وعدم المشاركة فيها.

س: سماحة الشيخ: هل للمؤلف أن يحتكر الكتاب المؤلف الذي ألفه؟ وهل يدخل هذا في كتم العلم؟

ج: إذا كان المؤلف قد اقتنع بأن كتابه مفيد، وأنه قد أدى فيه الواجب، فلا يجوز له عدم نشره بين الناس ولا احتكاره، بل ينشره بين الناس نصحاً لله ولعباده.

أما إذا كان عنده شك وعنده تردد، فله أن يمنع منه حتى يجزم بالشيء، وحتى يزول الإشكال، وحتى يطمئن إلى أن ما قاله صواب وحق؛ لأن العلم يجب نشره بين الناس ويجب تعميمه.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار))(1)، والله يقول سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا

(1) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب العلم)، برقم: ٢٥٧٣.

مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

فإذا كان عنده علم وبصيرة، واقتنع بأن هذا مما شرعه الله، ومما دل عليه الكتاب أو السنة الصحيحة، فلا يكتم ولا يحتكر ولا يحتجز شيئاً، بل يبثه بين الناس وينشره بين الناس؛ رجاء أن ينفع الله به العباد.

س: سماحة الشيخ: عطَّل البعض من الناس فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وُجِد من يُخذِّل من يقوم بهذا العمل. لعل لكم توجيه ونصيحة حول أهمية هذا الغرض؟

ج: نعم. هذه الفريضة من أهم الواجبات. فالله سبحانه أوجب على أهل الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك من أسباب صلاح الجميع، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2]، فجعله من إيماهم؛ كالصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٥٩، ١٦٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧١.

﴿الْمُنكَرِ﴾[1]. وتوعد بني إسرائل ولعنهم على عدم تناهيهم عن المنكر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[2].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم))[3].

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه))[4] نسأل الله العافية.

ويقول جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[5]. يعني فرض كفاية، إذا قام به في المحلة المعينة من يكفي سقط عن الباقين، إذا كان في قرية أو قبيلة أو في هجرة أو في أي محل وقام به هذا الواجب من يكفي، صار من حق

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الملاحم)، برقم: ٣٧٧٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، برقم: ١٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

الباقين سنة من باب التعاون على البر والتقوى؛ لأن المقصود حصل، وهو أن هذا قام به؛ نهاهم فانتهوا، إذا نهاهم عن المنكر فانتهوا حصل المطلوب.

س: سماحة الشيخ / طالب العلم المبتدئ ما هو الأفضل له: أن يلتزم شيخاً واحداً، أم يأخذ عن أكثر من شيخ؟

ج: لا أعلم في هذا شيئاً منصوصاً، لكن طالب العلم يتحرى من هو أقرب على أن يفهم كلامه، ومن هو أعرف بالدين، وأعلم باجتهاده بين المسلمين بأنه صاحب سنة وصاحب بصيرة وصاحب علم؛ يتحرى من العلماء من يظهر بين المسلمين ويشتهر بين المسلمين علمه، وفضله، واتباعه للسنة؛ حتى يستفيد من علمه، ويستفيد من توجيهاته.

ولا يقتصر على واحد إذا عرف أن هذا وهذا من أهل السنة، وأنهم علماء حق، فالحمد لله إذا أخذ عن هذا وعن هذا؛ قد يكون أخذه عن زيد أنفع من عمرو، وقد يكون من عمرو أنفع له من زيد؛ يعني يتحرى ويستفيد من الجميع من زيد وعمرو، يعني من علماء زمنه ووقته وعلماء بلده؛ فقد يستفيد من هذا أكثر من هذا، وقد يكون هذا أحسن بياناً من الآخر؛ فلا يقتصر على واحد مادام من أهل السنة، و أهل الخير، وسمعتهم طيبة، معروفون بالعقيدة الطيبة والسمعة الحسنة، والعلم، فيأخذ

منهم؛ لا بأس أن يحضر هذا ويحضر هذا، يستفيد من هذا ويستفيد من هذا، كله طيب، وهذا من باب الحيطة في الدين؛ كونه يسمع من هذا ومن هذا من أهل السنة والجماعة؛ حتى لا يفوته شيء مما يجب عليه؛ فإن بعض الأساتذة قد يفوت عليه بعض شيء، قد يشغل عن بعض المسائل، فإذا استفاد من هذا وهذا - وهم كلهم من أهل السنة - فهذا أكمل وأحسن.

س: لو وجد موسوعة فقهية شاملة على المذاهب الأربعة. هل تفي بغرض المتعلم يا سماحة الشيخ؟

ج: يوجد موسوعات، لكن ما كل موسوعة تكفي، بل لابد يحتاج إلى الدليل؛ لأن بعض الموسوعات قد يكون فيها الدليل كافياً وقد لا يكفي، فإذا وجدت موسوعة فيها إقامة الدليل استفيد، وذلك خير عظيم.

والمقصود أن طالب العلم لا يكتفي بموسوعة كتاب حتى يقتنع بوجود النص الكافي – إذا كان من أهل العلم – أما إذا كان من العامة، فيسأل أهل العلم، لكن طالب العلم يعتني بالأدلة، ويطالع الكتاب الفلاني والفلاني حتى تتم الفائدة. ولا يكتفي بموسوعة ألفها فلان أو فلان، فقد يكون قصر في الأدلة، وقد يكون تساهل في الأدلة؛ فطالب العلم يعتني، يراجع مثل: صحيح البخاري، صحيح مسلم، السنن الأربعة، مسند أحمد،

حتى يقف على السند الصحيح الذي تبرأ به الذمة، وإذا كان صاحب الموسوعة قد بسط الكلام وأوضح الأدلة الشرعية، فهذا لا بأس به إذا اقتنع به.

س: سماحة الشيخ: انتشرت بين الطلبة هذه الورقة، مكتوب عليها: علاج ضيق الصدر أيام الامتحانات: نضع اليد على الصدر، ونقرأ: (الفاتحة) ثلاث مرات، يقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، يقرأ من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[1] من سورة (البقرة)، إلى آخر الآيات ثلاث مرات، ويقرأ آخر آيتين من سورة (الحشر) ثلاث مرات، ويقرأ أول عشر آيات من سورة (الصافات)، وآخر آيتين من سورة (القلم)، وسورة: (الكافرون)، و(الصمد)، و(المعوذتين)؛ كل واحدة ثلاث مرات. ويقرأ دعاء: " أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك؛ شفاء لا يغادر سقماً " سبع مرات.

والدعاء: " أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيني " لمدة ثلاثة أيام. هذه الدعوات وهذه الأمور هل هي واردة يا شيخ؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

ج: الترتيب ليس على هذا الترتيب، لكن يسأل ربه الشفاء، والحمد لله يسأل ربه، الذي ورد: ((أذهب البأس رب الناس واشف؛ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً))[1]. يكرر ثلاث مرات: ((بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك؛ من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك))[2]، إذا كررها ثلاث مرات لا بأس.

(قل هو الله أحد)، و(المعوذتين)، يكررها ثلاث مرات صباحاً ومساء وعند النوم.

هذا وارد طيب، المقصود أن يتحرى الوارد فقط، أما من كيسه يرتب الأشياء من كيسه. ما عليها دليل، لكن إذا تحرى الوارد بالأدلة الشرعية في كتب الأذكار، وكتب الأدلة فالحمد لله.

س: سماحة الشيخ: حلق جماعات تحفيظ القرآن في هذا البلد المبارك نفع الله بها نفعاً عظيماً. بماذا توجهون معلمي هذه الحلق وطلابها؟

ج: نوجههم ونوصيهم بتقوى الله، والاستمرار في هذا الخير، والصبر على هذا الخير، والإخلاص لوجه الله - جل وعلا - في التعلم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المرضى)، برقم: ٥٢٤٣، ومسلم في صحيحه (كتاب السلام)، برقم: ٤٠٦١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب السلام)، برقم: ٤٠٥٦.

والتعليم؛ لأن تعلم القرآن وحفظ القرآن من أهم القربات ومن أفضل القربات. فنوصي الجميع - المعلم والمتعلم - نوصيهم بتقوى الله، والعمل بما علموا، والإخلاص لله في العمل؛ حتى يبارك الله في أعمالهم، حتى يوفقوا في أعمالهم.

ألا وهي أن الطالب يتعلم لكي يستفيد ويعمل، والمعلم يقصد وجه الله في تعليم الطالب وتوجيهه إلى الخير، يرجو من عند الله المثوبة – وإن أخذ أجرة – يرجو ما عند الله ويحتسب الأجر، وينصح في تعليمه، ويجتهد في الأسباب التي توصل المعلومات إلى الطالب وتستقر في ذهنه.

فهذا يتقي الله، وهذا يتقي الله، يكون عند كل واحد إخلاص ورغبة في الخير، وأن يتعلم ما يرضي الله ويتقرب لديه، وأن يستعين بما أعطاه الله من علم على طاعة الله.

س: وقع كثير من الناس في ديون كثيرة. ما نصيحتكم للتاجر والمدين وغيرهم في هذه الأمور – سماحة الشيخ -؟

ج: النصيحة أن الإنسان يجتهد في الاقتصاد وعدم الدين، ويفرح بما أغناه الله عن الدين مهما أمكن، وإذا احتاج للدين فيكون عنده نية أن يسدد الدين، وأنه يجتهد في سداد الدين إذا اضطر إليه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أخذ أموال الناس

يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله))[1] فليجتهد في النية الصالحة، ولا يستدين إلا إذا دعت إليه الضرورة، ولا يستكثر من الدين؛ فإنه قد يعجز عن الأداء؛ فينبغي له الاقتصاد في أموره، وتحري الاقتصاد في ملبسه ومأكله ومشربه وغير ذلك؛ حتى لا يحتاج للدين الكثير. وإذا احتاج للدين، فليجتهد في أسباب قضاء الدين بالطرق التي يستطيعها، مع النية الصالحة؛ نيته أن يبادر بالدين من حين يتيسر له ذلك، لا يتساهل؛ يعني يكون عنده نية صالحة أنه يعمل ويجتهد لقضاء الدين.

س: سماحة الشيخ: كثير من الناس يكتب في وصيته وقفاً، ثم تتعطل منافع هذا الوقف، ويحصل التراع بين الورثة حول هذا الوقف. بماذا تنصحون المسلم إذا أراد أن يكتب وصيته؛ لاسيما إن كان من أهل الأموال؟

ج: يوصي بالشيء الذي يناسب؛ يوصي بالثلث، بالربع، بالخمس، في وجوه البر وأعمال الخير، وإذا كان من ذريته محتاج، يعطى من الغلة حتى لا يقع التراع، يوصي بالثلث بالربع بالخمس في وجه البر وأعمال الخير، وإذا جعل في أضحية فلا بأس، وإذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس)، برقم: ٢٢١٢.

قال: من احتاج من ذريتي يعطى قدر حاجته فلا بأس أو من أقاربي؛ حتى لا يقع النزاع.

يكون الشيء واضحاً، على بصيرة للناظر الذي يتولى الوقف؛ حتى يفرق غلته على الوجه الذي بينه في الوصية، على وجه واضح ليس فيه شبهة؛ لأن بعض الناس قد يتشدد في وصيته، وقد يقول: للورثة الباقي، ثم يحصل مشقة بينهم؛ قد لا يبقى إلا القليل، ثم يُبطن ويروح بطن، ويتوالى الناس ويكثرون فيحصل مشقة كبيرة.

لكن إذا قال في غلة مثل ما قال الزبير بن العوام رضي الله عنه وجماعة في وصيتهم، وابن عمر: "للمحتاج من الذرية"، إذا قال: المحتاج من الذرية يُعطى من غلة الوقف كذا وكذا، هذا لا بأس.

س: فيما يتعلق في تخريج الأحاديث - يا سماحة الشيخ - وتعديل الرواة وتجريحهم، هناك من يرى أن باب علم الرجال معلّق، أو انتهى من قديم. كيف ترون ذلك يا سماحة الشيخ؟

ج: لا. هذا ليس بصحيح، بل علم الرجال والنظر في الأحاديث باقٍ[1]، ولم يمض، بل لا يزال. فأهل العلم عليهم أن يعتنوا بهذا، ويراجعوا الأحاديث، ويميزوا بين صحيحها وسقيمها،

(١) لكن لا يدخل فيه إلا المختصون بهذا الفن، ممن درسوا مصطلح الحديث على أهل السنن وأهل المعرفة.

ويرشدوا الناس إلى ذلك، ولا يقفوا عند ذكر فلان أو فلان، بل يتابع؛ مثل (المنتقى)، مثل (بلوغ المرام)، مثل (السنن الأربعة)، مثل (مسند أحمد)، يراجع الأسانيد ويعتني بها، ويعرف صحيحها من سقيمها؛ حتى يستفيد من ذلك ويفيد غيره.

هكذا شأن طالب العلم الذي قد وفقه الله لمعرفة الأحاديث ومعرفة أسانيدها، ومعرفة أحوال الرجال، واشتغل بهذا الشيء؛ يكون فيه فائدة عظيمة له ولغيره.

س: الفتوى بغير علم يا سماحة الشيخ. هل من كلمة لأولئك الذين يفتون الناس بغير علم؟

ج: نعم. الواجب على طالب العلم أن يحذر من الفتوى بغير علم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار))[1]. الواجب على الإنسان أن يتحرى العلم ويتحرى الدليل حتى يفتي على بصيرة، ولا يفتي على الله بغير علم. المقصود: أن العلم دين، والفتوى دين؛ فلابد أن الإنسان يتقيد بما أوجب الله عليه، فلا يفتي بغير علم، بل يتحرى وينظر إلى الأدلة من الكتاب والسنة، ويفتي على ضوء الأدلة، وإلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب العلم)، برقم: ١٠٦.

فليرشدهم إلى غيره. ولا يجوز له أن يقول على الله بغير علم، الله يقول جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

فجعل القول عليه بغير علم فوق مرتبة الشرك؛ لما يترتب على القول على الله بغير علم من الفساد الكبير والشر العظيم؛ قد يبيح ما حرم الله، وقد يوجب ما لا يوجبه الله، فقد يقع في شرور كثيرة.

وأخبر - جل وعلا - في آية أخرى أن هذا من أمر الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ – يعني الشيطان – ﴿...وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فالواجب على طالب العلم أن يتحرى الحق، وأن يحذر من القول على الله بغير علم، وإذا كان لا يستطيع ذلك فليرشدهم إلى غيره، ولا يتكلم ولا يقول على الله بغير علم. نسأل الله السلامة.

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٩.

س: الدعوة إلى الله من أَجَلِّ الأعمال ومن أفضلها. بماذا تنصحون الدعاة إلى الله - عز وجل -؟ وهل الدعوة واجبة على كل مسلم؟

ج: نعم. الدعوة واجبة على كل مسلم حسب طاقته؛ على أهل العلم طاقتهم، وعلى الآخرين طاقتهم. الواجب على أهل العلم أن يبلغوا دعوة الله ويرشدوا، كل مسلم عليه نصيبه حسب علمه.

المسلم الذي يرى أن جاره أو قريبه مقصر في الصلاة أو لا يصلي في المسجد ينصحه؛ لأن هذا أمر عام، يعلمه العامي وطالب العلم، يقول: يا أخي اتق الله، أنا ما أشوفك تصلي في الجماعة. اتق الله. بادر إلى الصلاة في جماعة. أو يراه عاقاً لوالده أو لأحدهما ينصحه؛ هذا شيء يعلمه الخاص والعام، ما يختص بأهل العلم، أو يعرف أنه يشرب الخمر ينصحه، أو يتعاطى التدخين ينصحه، وهكذا، أو يعرف منه الغيبة والنميمة؛ ينصحه ويقول له: اتق الله. دع هذه المعاصي وراقب الله - جل وعلا - واحذر غضبه عليك.

المقصود: أن كل إنسان حسب طاقته ينصح ويوجه إلى الخير.

س: الدعاء جماعة بعد الصلاة في الأيام العادية. ما حكمه إذا استمر عليه البعض من الناس؟

ج: هذا من البدع؛ الإنسان يدعو ربه وحده - ما يحتاج يجتمع مع مجموعة - ويدعو بينه وبين ربه. أما يكون لهم إماماً يدعو بهم؛ يرفع يديه ويدعون، ليس له أصل. هذا من المحدثات. والله يهدينا وإخواننا المسلمين.

س: نختم هذا اللقاء يا سماحة الشيخ بسؤال، وهو: أفضل الأدعية التي يجب على المسلم أن يرددها؛ سواء في الصلاة أو في غيرها؟

ج: أفضلها: الذكر؛ لا إله إلا الله، أفضل الدعاء: لا إله إلا الله، لكن هناك دعوات مخصوصة. وأحسن الدعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، يردد هذا في آخر الصلاة، في سجوده، في أوقاته الأخرى؛ لأنه دعاء جامع.

وكذلك: " اللهم اغفر لي ذنبي كله؛ دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره، اللهم إني اسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار "، دعوات جامعة

" اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول

وعمل ". في سجوده يقول: " اللهم اغفر لي ذنبي، واغفر لي وارحمني وارزقني وعافني، اللهم اغفر لي ذنبي كله؛ دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره، اللهم اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء))[1]، والحديث الآخر: ((وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ فقمن أن يستجاب لك))[2].

فينبغي أن يكثر من الدعوات الطيبة؛ سؤال الجنة، التعوذ بالله من النار، سؤال العفو: ((اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني، اللهم أصلح قلبي وعملي، اللهم اغفر لي ولوالدي))؛ يتحرى الدعوات المناسبة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة)، برقم: ٧٤٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة)، برقم: ٧٣٨.

تنويـه

نظراً لرغبة وطلب كثير من أصحاب الفضيلة المشايخ؛ مـــن القـــضاة وطلاب العلم من **سماحة شيخنا / عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله -** استكمال كتاب سماحته: **(مجموع فتاوى ومقـــالات متنوعـــة)**، بأحكام العبادات والمعاملات، حسب أبواب الفقه بعد صدور الجزء رقم: ٩ من كتاب سماحته؛ وذلك للحاجة الماسة إليها، والاستفادة من فتـــاوى سماحته – رحمه الله -.

وقد استجاب رحمه الله لرغبة أصحاب الفضيلة المشايخ، ورأى رحمه الله تأجيل بقية العقيدة وما يليها، بعد الانتهاء مـــن أحكـــام العبـــادات والمعاملات.

وبصدور الجزء (٢٣)، فقد تم استكمال بقيـــة أحكـــام العبـــادات والمعاملات، ويليها: (كتاب العلم والتفسير وغيرها)، والتي ستنشر تباعـــاً إن شاء الله.

كتاب التفسير

٤٨ – الوصية بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم)[١]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه وصفوته من خلقه؛ نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب الله فيه الهدى والنور، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وهو ذكره الحكيم؛ من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك، يقول الله - عز وجل - في هذا الكتاب العظيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا.وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢].

هذا كتاب الله يهدي للتي هي أقوم؛ يعني: للطريقة التي هي أقوم، والمسلك الذي هو أقوم، الذي هو خير الطرق وأقومها

(١) محاضرة لسماحته ألقاها في أحد مساجد جدة مساء الخميس ١٣/٨/١٤١٦هـ، ونشر في هذا المجموع ج٩ ص١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٩، ١٠.

وأهداها، فهو يهدي إليه، يعني: يرشد إليه، ويدل عليه ويدعو إليه؛ وهو توحيد الله وطاعته، وترك معصيته، والوقوف عند حدوده، هذا هو الطريق الأقوم، وهو المسلك الذي به النجاة.

أنزله الله جل وعلا تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، كما قال سبحانه في سورة (النحل): ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

فهو تبيان لكل شيء، وهدى إلى طريق السعادة، ورحمة وبشرى، ويقول جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[٢]؛ هدىً لقلوبهم للحق، وشفاء لقلوبهم من أمراض الشرك والمعاصي والبدع والانحرافات عن الحق، وشفاء للأبدان من كثير من الأمراض.

وهو بشرى للإنس والجن، لكنه سبحانه ذكر المؤمنين؛ لأنهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به، وإلا فهو شفاء للجميع، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٣]، فالقرآن شفاء ودواء للقلوب من جميع الأدواء المتنوعة؛ أدواء الشرك والمعاصي، والبدع والمخالفات، وهو شفاء لأمراض

---

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.

الأبدان أيضاً، وأمراض المجتمعات؛ شفاء لأمراض المجتمع وأمراض البدن، لمن صلحت نيته وأراد الله شفاءه، يقول - جل وعلا -: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1].

فهو كتاب يخرج الله به الناس من الظلمات؛ من ظلمات الشرك والمعاصي، والفرقة والاختلاف، إلى نور الحق والهدى، والاجتماع على الخير، والتعاون على البر والتقوى، وهذا هو صراط الله المستقيم، وهو توحيد الله، وأداء فرائضه وترك محارمه، والتواصي بحقه والحذر من معاصيه ومن مخالفة أمره، هذا هو صراط الله المستقيم، وهذا هو النور والهدى، وهذا هو الطريق الأقوم، وقال سبحانه في سورة (الأنبياء): ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[2]، وقال سبحانه في سورة (يس): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ. لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3]. والمقصود: أن الله - جل وعلا - جعل كتابه ذكراً، وجعله نذارة، وجعله شفاءً، وجعله هدى؛ فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يهتدوا به، وأن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٥٠.

(٣) سورة يس، الآيتان ٦٩، ٧٠.

يستقيموا عليه، وأن يحذروا مخالفته، قال - جل وعلا -: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقال - جل وعلا -: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[3].

وسئلت عائشة رضي الله عنها فقيل لها: يا أم المؤمنين: ماذا كان خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ((كان خلقه القرآن))، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4].

والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم كان يتدبر القرآن، ويكثر من تلاوته، ويعمل بما فيه؛ فكان خلقه القرآن؛ تلاوة وتدبراً، وعملاً بأوامره وتركاً لنواهيه، وترغيباً في طاعة الله ورسوله، ودعوة إلى الخير، ونصيحة لله ولعباده، إلى غير ذلك من وجوه الخير. وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[5]. فالقرآن هو أحسن القصص، وهو خلق النبي صلى الله عليه وسلم. ونصيحتي لجميع المسلمين رجالاً ونساءً، جناً وإنساً، عرباً وعجماً،

---

(١) سورة ص، الآية ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

(٣) سورة محمد، الآية ٢٤.

(٤) سورة القلم، الآية ٤.

(٥) سورة يوسف، الآية ٣.

علماء ومتعلمين - نصيحتي للجميع: أن يعتنوا بالقرآن الكريم، وأن يكثروا من تلاوته بالتدبر والتعقل، بالليل والنهار، ولا سيما في الأوقات المناسبة التي فيها القلوب حاضرة للتدبر والتعقل، والذي لا يحفظه يقرأه من المصحف، والذي لا يحفظ إلا البعض، يقرأ ما يتيسر منه؛ قال تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1].

وإذا كان يعرف الحروف يتهجى؛ ويقرأ من المصحف حتى يتعلم زيادة، والذي لا يعلم يتعلم من أمه أو أبيه أو ولده أو زوجته - إن كانت أعلم منه - والتي لا تعرف يعلمها أبوها أو أخوها أو زوجها أو أختها أو غيرهم.

وهكذا يتواصى الناس ويتعاونون؛ الزوج يعين زوجته، والزوجة تعين زوجها، والأب يعين ولده، والولد يعين أباه، والأخ يعين أخاه، والخال والخالة، وهكذا الكل يتعاونون ويتواصون بهذا الكتاب العظيم؛ تدبراً وتعقلاً وعملاً؛ لقول الله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3]. ولما رواه مسلم في صحيحه

(١) سورة المزمل، الآية ٢٠.
(٢) سورة المائدة، الآية ٢.
(٣) سورة العصر.

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للناس في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: ((إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به؛ كتاب الله))(١).

هكذا يوصيهم عليه الصلاة والسلام بكتاب الله، ويخبرهم أنهم لن يضلوا إن اعتصموا به، وفي اللفظ الآخر: ((كتاب الله وسنتي))(٢).

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب الله؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾(٣).

فكتاب الله يأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٤)، ويقول - جل وعلا -: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ﴾(٥)، ويقول: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾(٦).

(١) رواه مسلم في (الحج)، برقم: ٢١٣٧، ورواه الترمذي في (المناقب)، برقم: ٣٧١٨.
(٢) رواه الحاكم في (المستدرك) ٩٣/١، عن أبي هريرة ، وفي (فيض القدير) للمناوي ٣٢٨٢/٣، وفي (كتر العمال)، برقم: ٨٧٦.
(٣) سورة التغابن، الآية ١٢.
(٤) سورة النور، الآية ٥٤.
(٥) سورة المائدة، الآية ٩٢.
(٦) سورة النساء، الآية ٨٠.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالقرآن؛ فوصيته بالقرآن وصية بالسنة، وهي: أقواله وأفعاله وتقريراته – كما تقدم -.

ويروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((تكون فتن "، فقيل له: يا رسول الله: فما المخرج منها؟ قال: " كتاب الله؛ فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم...))[1]. الحديث.

فهو المخرج من جميع الفتن، وهو الدال على سبيل النجاة، وهو المرشد إلى أسباب السعادة، والمحذِّر من أسباب الهلاك، وهو الداعي إلى جمع الكلمة، وهو المحذر من الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2]، ويقول - جل وعلا - في هذا الكتاب العظيم: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[3]، ويقول - سبحانه

(١) رواه الترمذي في (فضائل القرآن)، برقم: ٢٨٣١، والدارمي في (فضائل القرآن)، برقم: ٣١٩٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

وتعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1]. فهو يدعو إلى الاجتماع على الحق، والتواصي بالحق، كما قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2]. وهذه السورة العظيمة القصيرة قد جمعت الخير كله، ما أبقت شيئاً من الخير إلا ذكرته، ولا شيئاً من الشر إلا وحذرت منه.

وهؤلاء المستثنون فيها هم الرابحون؛ من الجن والإنس، من الذكور والإناث، من العرب والعجم، من التجار والفقراء، من الأمراء وغيرهم، هم الرابحون، وهم الناجون من الخسران، وهم الذين اتصفوا بأربع صفات، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وهؤلاء هم السالمون من الخسران، ومن عداهم خاسر على حسب ما فاته من هذه الصفات الأربع. فمن آمن بالله ورسوله، وصدَّق الله في أخباره، وصدّق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه، وآمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الآخرة والجنة والنار والحساب والجزاء وغير ذلك، وآمن بأن الله - سبحانه — هو

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) سورة العصر.

المستحق للعبادة، وأنه واحد لا شريك له، وأن العبادة حقه، وأنه لا تجوز العبادة لغيره، وصدق بهذا. كما أخبر الله في كتابه العظيم، حيث قال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[8].

فهذا هو أصل الدين وأساس الملة؛ أن تؤمن بأن الله هو الخالق والرازق، وأنه هو المعبود الحق، وأنه سبحانه له الأسماء

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٣) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٤) سورة البينة، الآية ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٦) سورة الزمر، الآية ٦٢.

(٧) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢١.

الحسنى والصفات العلى؛ لا شبيه له ولا كفو له، ولا شريك له في العبادة ولا في الملك والتدبير.

كما قال سبحانه: ﴿اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وقال سبحانه في سورة (الحج): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[5]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والخلاصة: أن الواجب على كل مكلف من الجن والإنس أن يخص الله بالعبادة، وأن يؤمن إيماناً قاطعاً بأنه الخلاق الرزاق، لا خالق إلا الله، ولا رب سواه، وأنه سبحانه المستحق للعبادة، لا يستحقها أحد سواه، وهو المستحق لأن يعبد؛ بالدعاء والخوف

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
(٢) سورة الإخلاص.
(٣) سورة الشورى، الآية ١١.
(٤) سورة الحج، الآية ٦٢.
(٥) سورة الجن، الآية ١٨.

والرجاء والصلاة، والصوم، والذبح والنذر، وغيرها، كلٌّ لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[(٢)]. وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[(٣)]؛ يعني: فاعلم أنه لا معبود بحق إلا الله، فهو المستحق أن يعبد.

ومن عبد الأصنام، أو أصحاب القبور، أو الأشجار أو الأحجار، أو الملائكة أو الأنبياء، فقد أشرك بالله، وقد نقض قول لا إله إلا الله وخالفها، وقد خالف قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[(٤)]، وخالف قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٥)]. فصار من جملة المشركين؛ عُبَّاد القبور، والأصنام والأشجار والأحجار، الذين يستغيثون بأصحاب القبور ويتبركون بقبورهم، ويدعوهم أو يطوفون بقبورهم

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) سورة البينة، الآية ٥.

(٣) سورة محمد، الآية ١٩.

(٤) سورة البينة، الآية ٥.

(٥) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

يرجون نفعهم وثوابهم، أو يستغيثون بهم، أو يطلبون منهم الولد أو المدد، أو ما أشبه ذلك مما يفعله عبّاد القبور، وعبّاد الأصنام، أو يستغيثون بالنجوم، أو بالجن أو بالملائكة أو بالأنبياء، أو بغيرهم من المخلوقات.

كل هذا نقض لقول لا إله إلا الله، وشرك بالله ينافي التوحيد ويضاده، ومخالف لقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5].

فلابد من توحيد الله، والإخلاص له في صلاتك، وصومك، وسائر عباداتك، وفي ذبحك، ونذرك، وخوفك ورجائك، لابد في كل

(١) سورة البينة، الآية ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٨.
(٣) سورة الزمر، الآيتان ٦٥، ٦٦.
(٤) سورة النساء، الآية ٤٨.
(٥) سورة لقمان، الآية ١٣.

ذلك من ترك الإشراك بالله والحذر منه، مع الإيمان بالله - ربك - وأنه خالقك؛ لا خالق غيره، ولا رب سواه، مع الإيمان بأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه ذو الصفات العلى والأسماء الحسنى؛ لا شبيه له، ولا كفو له ولا ند له. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، والمراد: أشباه ونظراء، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4].

وعليه - أيضاً - أن يؤمن بأن كل إنسان مكلف، يجب أن يؤمن بأن الله سبحانه هو خالقه وموجده، وأنه خالق كل شيء ومالكه، وأنه هو المستحق أن يعبده، وأنه هو الإله الحق، وهو المعبود بالحق.

ولا يكون المرء مؤمناً إيماناً كاملاً، إلا إذا اعتقد أنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عُلى، وأنه لا شبيه له، ولا مِثْل له، ولا كفؤ له. كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢.
(٣) سورة الشورى، الآية ١١.
(٤) سورة الإخلاص.

﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَـدٌ﴾ وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1]؛ يعني لا سمي له، ولا كفؤاً لــه، ولا شريك له. وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنــتُمْ تَعْلَمُــونَ﴾[2]. والمعنى: لا تجعلوا له أشباهاً ونظراء تدعوهم معه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3]؛ فهو يسمع أقوال عباده ويسمع دعاءهم، ويراهم، ومع ذلك لا شبيه له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في سمعه وبصره، ولا في جميع صفاته؛ فهو الكامل في كل شيء، وخلقه لهم النقص، أما الكمال فهو له سبحانه وتعــالى في كل الأمور. فعليك بتدبر القرآن حتى تعرف هذا المعنى، تدبر القرآن مــن أوله إلى آخره؛ من الفاتحة - وهي أعظم سورة في القرآن، وأفضل سورة فيه - إلى آخر ما في المصحف: " قل هو الله أحد والمعوذتين ".

تدبر القرآن، واقرأه بتدبر وتعقل، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر بتفهم وبتعقل، واسأل عما أشكل عليك؛ اسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن

---

(١) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

أكثره – بحمد الله – واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية.

مثل قوله جل وعلا: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[7]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[8].

فكله آيات واضحات، بيّن الله سبحانه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٢) سورة النور، الآية ٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٦) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٧) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

وتعالى فيها ما حرم على عباده وما أحل لهم، وما أمرهم به ومـــا نهـــاهم عنه.

وهكذا حرَّم الله الظلم، فقال تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[(٢)].

فعليك يا عبد الله أن لا تظلم الناس؛ لا في أنفسهم ولا في أعراضـــهم ولا في أموالهم، احذر الظلم؛ فعاقبته وخيمة، يقول النبي صـــلى الله عليـــه وسلم: ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله))[(٣)].

فاحذر؛ لا تعتد على الفقير أو تخونه، أو تخون غير الفقير، اتق الظلـــم في المعاملات وفي كل شيء؛ لا تظلم عمالاً، إذا كنت صاحب شركة أو عندك عمال في بيتك؛ أعطهم حقوقهم وأوف لهم بالشروط؛ فـــشروطهم أعطهم إياها - سواء كنت مدير شركة أو صاحب عمال في بيتك أو في مزرعتك - فاتق الله فيهم، لا تستضعفهم فتخونهم، وهكـــذا في جميـــع شئونك، لا تكن خائناً ولا غشاشاً في بيعك وشرائك. يقول النبي صـــلى الله عليه وسلم: ((من

---

(١) سورة الشورى، الآية ٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١٩.

(٣) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، برقم: ٤٦٥٠، واللفظ له ، ورواه الترمذي في (البر والصلة)، برقم: ١٨٥٠.

غشنا فليس منا))[1]، ويقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2]، ويقول سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[3]، ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

فإذا كنت وكيلاً لإنسان في مزرعته أو شركة أو غير ذلك فلا تخنه، انصح وأدِّ الواجب، ولا تأخذ من حقه شيئاً إلا بإذنه، وهكذا في جميع الأشياء؛ كالوكيل في البيع أو الشراء، يجب عليه أن ينصح في ذلك؛ في الإجارة انصح، ولا تخن في أي شيء، في بيع ثمار النخل، في أي شيء انصح قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[5].

وإذا كان عليك دين فاتق الله في أداء الدين، لا تقل إنني لا أستطيع - وأنت تكذب – اتق الله وأد الدين لمستحقه؛ فأنت مأمور

(١) رواه مسلم في (الإيمان) برقم: ١٤٦، ورواه ابن ماجة في (التجارات) برقم: ٢٢١٦، وأحمد في (مسند المكثرين) برقم: ٤٨٦٧، ٩٠٢٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(٥) سورة المعارج، الآية ٣٢.

بذلك؛ مأمور أن تؤد الحقوق وأن توفي بالعقود

يقول الله جل وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(١)؛ زكاة نفوسهم وزكاة أموالهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ.إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(٢)؛ أي: يحفظون الفروج من الزنا واللواط وسائر المعاصي، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(٣)؛ يرعون الأمانات والعهود حتى يؤدوها كما شرع الله. وهكذا الكلام السري هو من الأمانات، فلا تتكلم به ولا تفش السر، ومن قال افعل كذا وكذا ولا تخبر به أحداً، فإن ذلك يكون سراً بينك وبينه، فلا تخنه، ولا تخن أمانة السر التي ليس فيها ضرر على أحد.

ومن أوصاك على عياله أو أوصاك على مزرعته فأد الحق، وراقب الله في ذلك؛ فإن الله سبحانه رقيب عليك، وإذا

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١- ٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ٥، ٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان ٧، ٨.

اقترضت من إنسان حاجات فأد حقه إليه، ولا تخنه في ذلك، واتق الله وأعطه جميع الحاجات التي أخذتها منه أو ثمنها – إن كنت أخذتها بالشراء – ولا تجحد ما عندك له إذا كان قد نسيه، بل أعطه إياه، وقل: إن هذا لك عندي ثمن كذا وثمن كذا؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[1].

فالصلاة أعظم الواجبات وأهم الفرائض بعد التوحيد، وهي عمود الإسلام، وهي أعظم ركن وأعظم فريضة بعد الشهادتين، فاتق الله فيها، وحافظ عليها في الجماعة؛ لقول الله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾[2]، ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[3]، ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[4]، ولقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ.أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[5]، ولقوله سبحانه عن المنافقين: ﴿إِنَّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٨، ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٥) سورة المعارج، الآيتان ٣٤، ٣٥.

الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١).

فلا ترض لنفسك بمشابهتهم، ولا تكن مثلهم متثاقلاً عن الصلوات كأنك تُجر إليها جراً، لكن كن نشيطاً قوياً، مسارعاً إليها في صلاة الفجر وغيرها؛ فلا تقدم النوم على صلاة الفجر ولا على غيرها، بل كن صابراً ومسارعاً، ومراقباً الله في جميع الأوقات.

وهكذا زوجتك، وهكذا أولادك؛ كن قوياً في هذا الأمر مع الزوجة ومع الأولاد، ومع الخدم، وأنت أولهم؛ كن مسارعاً، وكن قدوة في الخير، إذا سمعت النداء فبادر إلى الصلاة في: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، كما أمرك الله سبحانه بذلك، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول الله سبحانه: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾(٢)، والصلاة الوسطى هي صلاة العصر، خصها الله بالذكر لعظم شأنها، ويقول سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(٣)، وإقامتها هي: أداؤها كما أمر الله. **وإيتاء الزكاة** هو: أداؤها لمستحقيها كما أمر

(١) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٣.

الله، فالأموال التي عندك أد زكاتها كما أوجب الله؛ لا تبخـــل، وجاهـــد نفسك في إخراج الزكاة حتى تؤديها إلى أهلها من هذا المال الذي عندك؛ من نقود أو غنم أو إبل أو بقر، أو غير ذلك من أموال الزكاة، وعـــروض التجارة؛ كالملابس والأواني والسيارات إلى غير ذلك مما يعد للبيع.

فعليك أن تؤدي عن كل مال زكوي كلما حال عليه الحول؛ في المائة من الدراهم والدنانير وغيرها من العمل: اثنان ونصف في المئة - وهما ربع العشر - وفي الألف خمسة وعشرون، وفي مائة ألف: ألفان وخمسمائة.

وهكذا في غنمك؛ إن كانت سائمة ترعى في جميع الحول أو أكثره، في الأربعين إلى مائة وعشرين: واحدة، وهي: جذع من الضأن أو ثني من المعز، وفي المائة وإحدى وعشرين إلى المائتين: اثنتان، وفي المائتين وواحدة: ثلاث شياه، ثم تستقر الفريضة في كل مائة شاه؛ ففي أربعمائة من الغـــنم: أربع شياه، وفي الخمسمائة: خمس شياه، وهكذا.

وأما زكاة الإبل، فقد فصَّلها النبي صلى الله عليه وسلم: فجعـــل في الخمس من الإبل التي ترعى جميع الحول أو غالبه: شاة واحدة، وفي العشر: شاتان، وفي خمس عشرة من الإبل: ثلاث شياه، وفي العشرين: أربعة شياه إلى خمس وعشرين. فإذا بلغت خمساً

وعشرين، ففيها بنت مخاض إنثى قد تم لها سنة فإن لم توجد لدى صاحب المال، أجزأ عنها ابن لبون – ذكر قد تم له سنتان – إلى خمس وثلاثين.

فإذا بلغت ستاً وثلاثين، فيها بنت لبون – أنثى قد تم لها سنتان – إلى خمس وأربعين. فإذا بلغت ستاً وأربعين، ففيها حقة – قد تم لها ثلاث سنين – إلى ستين. فإذا بلغت إحدى وستين، ففيها جذعة – قد تم لها أربع سنين – إلى خمس وسبعين. فإذا بلغت ستاً وسبعين، ففيها بنتا لبون إلى إحدى وتسعين. فإذا بلغت إحدى وتسعين، ففيها حقتان طروقتا الجمل إلى مائة وعشرين. فإذا زادت عن مائة وعشرين، ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

وهكذا في البقر: إذا كانت سائمة ترعى جميع الحول أو أغلبه، ففي كل ثلاثين: تبيع أو تبيعة قد تم لكل منهما سنة. وفي الأربعين: مسنة قد تم لها سنتان. وفي الستين: تبيعان أو تبيعتان، وفي السبعين: تبيع ومسنة، وفي الثمانين: مسنتان، وفي التسعين: ثلاثة أتباع أو ثلاث تبيعات. وفي المائة: تبيعان أو تبيعتان ومسنة. وفي المائة والعشرين: ثلاث مسنات أو أربعة أتباع. ثم تستقر الفريضة؛ ففي كل ثلاثين: تبيع أو تبيعة، وفي كل أربعين: مسنة.

أما الحبوب والثمار التي تكال وتدخر، ففيها نصف العشر، إذا كانت تسقى بمؤونة؛ كالسواني والمكائن، أما إذا كانت تسقى

بالمطر أو الأنهار ونحو ذلك، ففيها العشر – إذا بلغت خمسة أوسق؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فيما سقت السماء والعيون العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر))[1] أخرجه البخاري في الصحيح، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس فيما دون خمسة أواسق من تمر ولا حب صدقة))[2] متفق على صحته.

أما صيام رمضان: فهو الركن الرابع من أركان الإسلام، يجب أن تتقي الله فيه؛ فإذا جاء رمضان عليك أن تصوم مع الناس كما أمر الله، وتحفظ صومك عن اللغو وعن الغيبة والنميمية وسائر المعاصي، ولا تجرح صومك بشيء منها، بل الواجب أن تصون صيامك عن كل المعاصي؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))[3] أخرجه البخاري في صحيحه.

---

(١) رواه البخاري في (الزكاة)، برقم: ١٣٨٨، ومسلم في (الزكاة)، برقم: ١٦٣٠، والترمذي في (الزكاة)، برقم: ٥٧٨، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري في (الزكاة)، برقم: ١٣٦٦، ومسلم في (الزكاة)، برقم: ١٦٢٧، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في (الصوم)، برقم: ٥٥٩٧، واللفظ له، والترمذي في (الصوم)، برقم: ٦٤١، وأحمد في (باقي مسند المكثرين)، برقم: ٩٤٦٣.

وعليك بالكسب الحلال، تحرَّى الحلال من مكسب طيب، واحــذر الحرام، وصم صوماً صحيحاً، فإذا صمت فلتصم جوارحك عن كل مــا حرم الله، هكذا الصوم الكامل: أن يصوم المرء عن الطعام والشراب، وأن يصوم عن كل ما حرم الله.

وهكذا في حجك: لا ترفث ولا تفسق، فإذا حججت فصن حجــك عن جميع المعاصي، احذر ذلك في جميع الأحوال؛ لقول الــنبي صــلى الله عليه وسلم: ((من حج لله فلم يرفث و لم يفسق، رجــع كيــوم ولدتــه أمه))[1] متفق على صحته، وقوله صلى الله عليه وســلم: ((العمــرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))[2] متفــق على صحته، والحج المبرور: هو الذي ليس فيه رفث ولا فسوق.

وهكذا: يجب عليك في جميع المعاملات الحذر من الغــش والخيانــة والكذب؛ فقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على رجل عنده صبرة مــن طعام

(١) رواه البخاري في (الحج)، برقم: ١٤٢٤، واللفظ له، ورواه مسلم في (الحج)، برقم: ٢٤٠٤، وأحمد في (باقي مسند المكثرين)، برقم: ٧٠٧٧.

(٢) رواه البخاري في (الحج)، برقم: ١٦٥٠، ومسلم في (الحج)، برقم: ٢٤٠٣.

في السوق، فكأنه أحس بشيء فيها فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ((ما هذا يا صاحب الطعام))، قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال: ((أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس منا))[1]. أخرجه مسلم في صحيحه.

والمقصود: أن كتاب الله فيه الهدى والنور، وفيه الدعوة إلى كل خير، وفيه التحذير من كل شر، وهكذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الدعوة إلى كل خير، والتحذير من كل شر.

فوصيتي لنفسي ولجميع إخواني المسلمين هي: تقوى الله سبحانه في جميع الأحوال، وتقوى الله هي: طاعته سبحانه بفعل الأوامر وترك النواهي، مع الإخلاص له - جل وعلا - في ذلك، والوقوف عند حدوده. ومن تقوى الله سبحانه: العناية بالقرآن، وتدبر معانيه، والإكثار من تلاوته حفظاً أو نظراً، مع التدبر والتعقل والعمل، قال الله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2].

فهو لم يترل لجعله في الدواليب، ولا لمجرد القراءة أو الحفظ؛ وإنما نزل ليقرأ، ويتدبر،

---

(١) رواه مسلم في (الإيمان)، برقم: ١٤٧.

(٢) سورة ص، الآية ٢٩.

ويعمل به، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في حجة الوداع: ((إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله))[٣]، ويقول صلى الله عليه وسلم أيضاً: ((إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به))، ثم قال: ((وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي))[٤]؛ يعني بهم زوجاته وقراباته من بني هاشم.

يذكر الناس بالله في أهل بيته بأن يرفقوا بهم، وأن يحسنوا إليهم، ويكفوا الأذى عنهم، ويوصيهم بالحق، ويعطوهم حقوقهم ما داموا مستقيمين على دينه، متبعين لشريعته عليه الصلاة والسلام وصح عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

(٣) رواه مسلم في (الحج)، برقم: ٢١٣٧، ورواه الترمذي في (المناقب)، برقم: ٣٧١٨.

(٤) رواه مسلم في (فضائل الصحابة)، برقم: ٤٤٢٥، ورواه أحمد في (مسند الكوفيين)، برقم: ١٨٤٦٤.

عنه أنه سئل عما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أوصى بكتاب الله، يعني أوصى بالقرآن".

فالقرآن وصية الله ووصية رسوله عليه الصلاة والسلام فالله جل وعلا أوصانا بهذا الكتاب فقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾، فهذه وصيته وأمره سبحانه باتباع كتابه والتمسك به، وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١]. الآية.

فهذا كتاب الله هو أحسن الحديث، وهو أحسن القصص، كما قال سبحانه في سورة (يوسف): ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢].

فهو أحسن القصص؛ قص الله علينا فيه أخبار الماضين من أخبار آدم، وأخبار نوح، وهود، وصالح، وغيرهم من الرسل المذكورين في القرآن، وقص علينا أخبار أممهم وما جرى لهم من العقوبات، وما جرى للمتقين من النصر والتأييد والعاقبة الحميدة، وليس هناك قصص أحسن منه، كما قص علينا صفات أهل الجنة

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٣.

والنار، وأنواع النعيم والعذاب، وأخبار يوم القيامة، والجزاء والحساب، إلى غير ذلك من الأخبار العظيمة.

فالوصية أيها الإخوة - رجالاً ونساءً، جناً وإنساً - هـي: العناية بكتاب الله، والإكثار من تلاوته وتدبره، والعمل بما فيه، وبسنة الرسول؛ لأنها داخلة في ذلك؛ فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلة في الوصية بكتاب الله؛ لأن الله سبحانه أوحى إليه القرآن والسنة، قال جل وعلا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه))[1]، فالوصية بالقرآن وصية بالسنة؛ فالواجب على جميع المسلمين هو العمل بالكتاب والسنة، وتحكيمهما في كل شيء.

---

(١) سورة النجم، الآيات ١ – ٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي: أحاديثه الصحيحة، والاستفادة منها، وحفظ ما تيسر منها أيضاً، والسؤال عما أشكل منها؛ لأن الله أوصى بها. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ يعني: عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]، وقال جل وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤]. نسأل الله العافية.

والوصية لنفسي ولكم ولجميع المسلمين، ولجميع من بلغه هذا الكلام، الوصية هي: تقوى الله، والعناية بكتاب الله الكريم، والتواصي بذلك قولاً وعملاً ومذاكرة، ومن ضيع ذلك فهو خاسر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٥]. فهؤلاء هم

---

(١) رواه أحمد في (مسند الشاميين)، برقم: ١٦٥٤٦، واللفظ له، ورواه أبو داود في (كتاب السنة)، برقم: ٣٩٨٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٢.

(٣) سورة النور، الآية ٦٣.

(٤) سورة النساء، الآيتان ١٣، ١٤.

(٥) سورة العصر.

أهل السعادة، وهم أهل الربح؛ الذين آمنوا بالله وبرسوله، وحدوده، وأخلصوا لله العبادة، وأدوا فرائضه وتركوا محارمه، وتواصوا بالحق: أي تناصحوا فيما بينهم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ثم مع ذلك صبروا ولم يجزعوا حتى لحقوا بربهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ﴾[1].

هذا هو شأنهم، وهذا شأن المؤمنين، وقد وعدهم الله بالرحمة، فقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ﴾، وهذا جزاؤهم في الدنيا بالتوفيق والهداية والتسديد، وفي الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

ويقول سبحانه في هذا المعنى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ البر والتقوى هو: أداء فرائض الله وترك محارمه، ثم يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢.

في الحديث الصحيح: ((الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟، قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1] رواه مسلم في الصحيح، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[2]، وشبك بين أصابعه، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[3].

هكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان؛ متعاونين على البر والتقوى، متناصحين، متواصين بالحق والصبر عليه، دعاة للخير، محذرين من الشر، صُبر في جميع الأحوال.

وعليكم أن تكونوا كذلك مع أهلكم، ومع أولادكم، ومع جيرانكم، ومع جلسائكم، ومع جميع المسلمين أينما كانوا؛ في الباخرة، وفي الطائرة، وفي السيارة،

(١) رواه مسلم في (الإيمان)، برقم: ٨٢، واللفظ له، والنسائي في (البيعة)، برقم: ٤١٢٦.
(٢) رواه البخاري في (المظالم والغصب)، برقم: ٢٢٦٦، ومسلم في (البر والصلة والآداب)، برقم: ٤٦٨٥، وأحمد في (مسند الكوفيين)، برقم: ١٧٦٤٨، ١٧٦٥٤.
(٣) رواه مسلم في (البر والصلة والآداب)، برقم: ٤٦٨٥، وأحمد في (مسند الكوفيين)، برقم: ١٧٦٤٨، ١٧٦٥٤.

وفي البر، وفي البحر، وفي أي مكان، فعليكم أيها الإخـــوة — أن تكونـــوا متواصين بالحق متناصحين، متعاونين على البر والتقوى، دعـــاة للخـــير، محذرين من الشر، معتنين بكتاب الله تلاوة وتدبراً وتعقلاً وعملاً.

والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يوفقنا وإياكم للفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يعيذنا وإياكم وسائر المسلمين من شرور أنفـــسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يوفقنا للعناية بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاهتداء بها، والعمل بما فيها.

وأن يكون كتاب الله سبحانه خُلُقاً لنا كما كان خلقاً لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وأن يعيذنا وإياكم وسائر المسلمين مـــن مـــضلات الفتن، ومن نزغات الشيطان، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يجعلنـــا وإياكم من أنصار دينه، والدعاة إليه على بصيرة؛ إنه سميع قريب. وصـــلى الله وسلم على عبده ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحـــسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٩ - الحث على العناية بكتاب الله وتعلمه(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإني أشكر الله سبحانه على هذا اللقاء بأبنائي الكرام على تعلم القرآن الكريم وحفظه، والدعوة إليه والعمل به.

ولا ريب أن القرآن كلام الله متزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، أوحاه إلى عبده ورسوله وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وفيه الحجة على جميع عباده.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى

---

(١) كلمة لسماحته ألقاها في حفل مسابقة القرآن الكريم وتجويده، ونشرت في جريدة (الجزيرة)، العدد: ٨٦٠٦، وتاريخ ٣/١٢/١٤١٦هـ، وفي المجموع، ج٩ص٨٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.

﴿وَشِفَاءٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

فالواجب على جميع المكلفين العمل بهذا الكتاب، والسير على توجيهه، وما بيّن الله فيه سبحانه والحذر من مخالفة ذلك، كما يجب عليهم - أيضاً - العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[5]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[6]، وأخبر

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ – ١٩٥.

(٣) سورة ص، الآية ٢٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

(٥) سورة النور، الآية ٥٤.

(٦) سورة الحشر، الآية ٧.

سبحانه أنه أرسله إلى جميع الناس - جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

فالهداية باتباعه صلى الله عليه وسلم واتباع ما جاء في كتاب الله - عز وجل - فقد قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣)، وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: ((بعثت إلى الناس عامة))(٤).

فالواجب على جميع المكلفين التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وفي حديث آخر: ((وإني تارك فيكم ثقلين؛ أولهما: كتاب الله - عز وجل - فيه الهدى والنور؛ فخذوا

---

(١) سورة الأعراف، الاية ١٥٨.

(٢) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٤) رواه البخاري في (التيمم) برقم ٣٢٣.

بكتاب الله تعالى واستمسكوا به))[١].

والله خلق الخلق ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]، وأمرهم بذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[٣]، وأرسل رسله بذلك قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[٤].

وهذه العبادة هي طاعة الله، وهي توحيد الله، وهي تقوى الله، وهي البر والهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[٥]، فلابد من تعلم هذه العبادة والتبصر فيها، وهي دين الإسلام.

فأنت مخلوق للعبادة، فعليك - أيها الرجل - وعليك - أيتها المرأة - عليكما جميعاً أن تتعلما هذه العبادة، وأن تعرفاها جيداً؛ حتى تؤدياها على بصيرة، وهذه العبادة هي دين الإسلام، وهي الحق والهدى، وهي تقوى الله، وتوحيد الله وطاعته، واتباع شريعته. هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها. سمى الله دينه عبادة؛ لأن

---

(١) رواه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) برقم ٤٤٢٥، وأحمد في (مسند الكوفيين) برقم ١٨٤٦٤.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢١.
(٤) سورة النحل، الآية ٣٦.
(٥) سورة النجم، الآية ٢٣.

العبد في الدنيا يؤديها بخضوع وانكسار، فدين الإسلام كله عبادة وتقوى لله؛ والصلاة عبادة، والزكاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة ، الجهاد عبادة، وهكذا جميع ما فرض الله علينا عبادة تؤدى لله وطاعة لله، فهذا الدين العظيم دين الإسلام: هو العبادة التي أنت مخلوق لها، وهي التقوى، وهي البر والهدى.

فالواجب على جميع الثقلين - جنهم وإنسهم، ذكورهم وإناثهم - أن يتقوا الله، وأن يعبدوه؛ بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، والإخلاص له، وعدم عبادة سواه؛ فيجب على كل مكلف أن يصرف عبادته لله وحده.

وهذا معنى لا إله إلا الله، فإن معناه: لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى في سورة (الحج): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(١)، وقال جل وعلا: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٣). فهذا معنى لا إله إلا الله، والإله: هو الذي تألهه القلوب، وتعظمه بأنواع العبادة، ولا يستحق ذلك إلا الله وحده، ولا تصح العبادة لغيره، فيجب على أهل الأرض الجن والإنس

---

(١) سورة الحج، الآية ٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٣) سورة محمد، الآية ١٩.

وجميع المكلفين - من ذكور وإناث، ومن عرب وعجم - يجب على الجميع أن يعبدوا الله وأن يتقوه، وأن يطيعوا أوامره، وأن ينتهوا عن نواهيه، وأن يقفوا عند حدوده عن إخلاص وصدق ورغبة ورهبة؛ لأنهم خلقوا لهذه العبادة؛ وخلقوا ليتقوه ويطيعوه، وخلقوا لدين الإسلام الذي هو عبادة الله، وأمروا بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[3].

هذا الإسلام - الذي رضيه الله لنا ولن يقبل منا سواه - هو: عبادة الله، وتوحيد الله وطاعته، واتباع شريعته قولاً وعملاً وعقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾.

ولا سبيل إلى هذا العلم ومعرفة هذه العبادة إلا بالله، ثم بالتعلم والتفقه والدراسة؛ حتى تعلم دين الله الذي خلقت له، وهو دين الإسلام، وتوحيد الله وطاعته، فيجب العلم والتفقه والعناية بالقرآن الكريم والسنة؛ حتى

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.
(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

تعلم هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، وحتى تقوم بذلك وتعمل بذلك عن إخلاص لله، ومحبة لله، وعن تعظيم لله في جميع الأحوال.

يجب أن تستقيم على توحيده وطاعته واتباع شريعته، وترك ما نهى عنه أبداً أبداً، وأينما كنت حتى تموت على ذلك، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1]؛ أي الموت، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[2].

هذه هي العبادة التي أنت مخلوق لها؛ تقوى الله، والاعتصام بحبله، والاستقامة على دينه، ومن وسائلها: أن تعنى بكتاب الله، وأن تدرس كتاب الله، وأن تتفقه فيه وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))[3]. متفق على صحته.

وأنا أهنئ القائمين على هذه المدارس لعنايتهم بكتاب الله، وأن أشكرهم

(١) سورة الحجر، الآية ٩٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب (العلم)، برقم: ٦٩، ومسلم في (الزكاة)، برقم: ١٧١٩.

على ما يقومون به نحو تعظيم كتاب الله وتعليمه للأجيال، فإن هذا هو طريق السعادة لمن استقام على ذلك، وأخلص في ذلك. نسأل الله أن يعينهم على ما فيه رضاه، وعلى ما فيه سعادتهم، وما فيه توفيقهم للفقه في الدين.

وإنني أهيب بجميع الدارسين والمدرسين، إلى أن يعنوا بكتاب الله - أستاذاً وطالباً وموظفاً - وأنصح الجميع أن يعنوا بكتاب الله؛ تلاوة وتدبراً وتعقلاً وعملاً وحفظاً؛ ففي كتاب الله الهدى والنور، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

فهذا الكتاب العظيم فيه الهدى والنور، وكل حرف بحسنة، وكل من تعلم حرفاً فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.

وأوصي الجميع بالعناية بكتاب الله - عز وجل - دراسة وتلاوة وتدبراً، وحرصاً على معرفة المعنى، وعملاً بذلك، مع الحفظ لما تيسر من كتاب الله، وهو أعظم كتاب وأصدق كتاب، فقد أنزله الله

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

رحمة للناس، وشفاء لما في الصدور، وجعل الرسول أيضاً رحمة للعالمين وهداية للبشر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣).

فيجب أن نتعلم هذا الكتاب ونتفقه فيه؛ حتى نعلم ما خلقنا له، فنعلم العبادة التي خلقنا لها حتى نستقيم عليها، وهكذا السنة؛ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم نتعلمها ونحفظها ونتفقه فيها، ونسأل عما أشكل علينا، والطالب يسأل عما أشكل عليه من كتاب الله وسنة رسوله، قال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٤).

فتعلم كتاب الله من أعظم نعم الله، فهنيئاً لكل طالب يعنى بكتاب الله تلاوة وتدبراً وتعقلاً وعملاً، وهذه نعمة عظيمة. وإني أوصيكم بالاستقامة على هذا الخير العظيم، وسؤال الله التوفيق والإخلاص

---

(١) سورة يونس، الاية ٥٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٣.

في ذلك لله - عز وجل - والعناية بالتفقه في كتاب الله، والتفقه في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع العمل بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، والمسارعة إلى كل خير والحذر من كل شر، مع الإكثار من تلاوة كتاب الله ومدارسته والتفقه فيه، ومراجعة كتب التفسير المفيدة؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم لمعرفة الحق، ولمعرفة ما أشكل عليكم. وينبغي للطالب أن يسأل أستاذه عما أشكل عليه عن قصد صالح ورغبة؛ كي يتفقه في كتاب الله، وعلى الأستاذ أن يعنى بذلك للتلاميذ من جهة توجيههم وتعليمهم الخير والعمل، وأن يكونوا شباباً صالحين؛ يتعلمون ويعلمون، ويسارعون إلى كل خير، فأهم شيء بعد الشهادتين هو: أداء الصلوات الخمس، والمحافظة عليها في مساجد الله في الجماعة. ويجب على أهل العلم أن يكونوا قدوة، وأن يكونوا مسارعين إلى أدائها في الجماعة؛ حتى يتأسى بهم غيرهم ويحتذى حذوهم في ذلك.

فالعلماء ورثة الأنبياء، وعلى رأسهم الرسل - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - والعلماء بعد الرسل هم خلفاؤهم؛ يدعون إلى الله بالقول والعمل والسيرة. والطلبة كذلك – طلبة العلم – يجب عليهم أن يعلموا ويعملوا، وأن يكونوا قدوة لغيرهم، وأن تظهر عليهم آثار العلم والتعلم والتفقه في دين الله وفي كتاب الله.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في الدين، وأن يرزقنا العناية بكتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والعمل بهما، والدعوة إليهما، والتواصي بهما قولاً وعملاً وعقيدة وتفقهاً، وأن يعيذنا من مضلات الفتن ومن نزغات الشيطان.

كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يوفق حكام المسلمين وأمراءهم لما فيه رضاه، ويصلح أحوالهم، ويمنحهم الاستقامة على دينه وتحكيم شريعته.

كما نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في المملكة العربية السعودية لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يجعلهم من الهداة المهتدين، وأن يعيذنا وإياهم وسائر المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، وأن يجعلنا جميعاً من عباده الصالحين وحزبه المفلحين؛ إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأتباعه إلى يوم الدين.

٥٠- حرمة القرآن الكريم[(١)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدىً ونوراً للعالمين إلى يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور، والعمل به في جميع شئون الحياة، والتحاكم إليه في القليل والكثير، ولا يزال فضل الله سبحانه يترل على بعض عباده؛ فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حساً ومعنى.

ولكن هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام، حرمت من القيام بحق القرآن العظيم، وما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأخشى أن ينطبق بحق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[(٢)]؛ إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجوراً، هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من

---

(١) نشر في (مجلة البحوث الإسلامية)، العدد: السادس، عام ١٤٠٢هـ، ص: ٢٨٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

تكريم كتاب الله وحفظه؛ إذ قصَّروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل، كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين.

ولقد عمَّت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات، وكثيراً ما تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها، لكن قسماً كبيراً من المسلمين حينما يقرأون تلك الصحف يلقونها، فتجمع مع القمائم وتوطأ بالأقدام، بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

والآية دليل على أنه لا يجوز مس القرآن إلا إذا كان المسلم على طهارة - كما هو رأي الجمهور من أهل العلم -.

وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أن لا يمس القرآن إلا طاهر))[2].

ويروى عن ابن عمرو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر))[1]. وروي عن سلمان – رضي

(١) سورة الواقعة، الآيات ٧٧ – ٨٠.

(٢) أخرجه الإمام مالك في (الموطأ)، كتاب (النداء في الصلاة)، برقم: ٤١٩.

الله عنه – أنه قال: "لا يمس القرآن إلا المطهرون"، فقرأ القرآن، و لم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء. وعن سعد: أنه أمر ابنه بالوضوء لمس المصحف. فإذا كان هذا في مس القرآن العزيز، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن سفرة لطعامه، ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات؟ لا شك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا على الصحف والكتب، وغيرها مما فيه آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، أو كلام فيه ذكر الله، أو بعض أسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر، وإذا استغنى عنها دفنها في أرض طاهرة أو أحرقها، ولا يجوز التساهل في ذلك. وحيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر، وقد يقع في المحذور جهلاً منه بالحكم، رأيت كتابة هذه الكلمة؛ تذكيراً وبياناً لما يجب على المسلمين العمل به تجاه كتاب الله وأسمائه وصفاته، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيراً من الوقوع فيما يغضب الله، ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين.

والله سبحانه المسئول أن يوفقنا والمسلمين جميعاً لما يحبه ويرضاه، وأن يعيذنا جميعاً من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط)، برقم: ٣٣٠١.

يمنحنا جميعاً تعظيم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما، وصيانتهما عن كل ما يسيء إليهما من قول أو فعل، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرئيس العام لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٥١ - تفسير سورة (الفاتحة) وحكم قراءتها في الصلاة[١]

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن الله - جل وعلا - شرع لعباده في كل ركعة من الصلاة أن يقرأوا فاتحة الكتاب، وهي أم القرآن، وهي أعظم سورة في كتاب الله - عز وجل - كما صح بذلك الخبر عن النبي - عليه الصلاة والسلام-

(١) من دروس سماحته في المسجد الحرام في ٢٦/١٢/١٤١٨هـ.

أنه قال: ((إنها أعظم سورة في كتاب الله، وإنها السبع المثاني، والقرآن العظيم، وهي الحمد)). هذه السورة العظيمة اشتملت على الثناء على الله وتمجيده - جل وعلا - وبيان أنه سبحانه هو المستحق لأن يعبد وأن يستعان به، واشتملت على تعليم العباد، وتوجيه العباد إلى أن يسألوه سبحانه وتعالى الهداية إلى الصراط المستقيم.

فمن نعم الله العظيمة على عباده هذه السورة العظيمة، وأن شرع لهم قراءتها في كل ركعة في الفرض والنفل، بل جعلها ركن الصلاة في كل ركعة؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام-: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))[1]، وقال - عليه الصلاة والسلام- لأصحابه: ((لعلكم تقرأون خلف إمامكم؟ " قالوا: نعم. قال: " لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها))[2].

فالواجب على كل مصلٍّ أن يقرأ بها في كل ركعة؛ في الفرض والنفل، أما المأموم فعليه أن يقرأ بها في صلاته خلف إمامه، فلو جهل أو نسي أو جاء والإمام راكع سقطت عنه، فيحملها عنه الإمام، إذا جاء والإمام راكع ودخل في الركعة أجزأته، وسقط عنه وجوب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأذان)، برقم: ٧١٤، ومسلم في صحيحه كتاب (الصلاة)، برقم: ٥٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب الصلاة)، برقم: ٢٨٦.

قراءتها؛ لأنه لم يحضرها؛ لما ثبت في الصحيح من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أنه جاء والإمام راكع، فركع دون الصف ثم دخل في الصف، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا بعد الصلاة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((زادك الله حرصاً، ولا تعد))[١]، ولم يأمره بقضاء الركعة؛ فدل على أن من أدرك الركوع أدرك الركعة.

وهكذا لو كان المأموم جاهلاً أو نسي الفاتحة ولم يقرأها، أجزأته وتحملها عنه الإمام، أما من علم وذكر، فالواجب عليه أن يقرأها مع إمامه، كما يجب على المنفرد والإمام أن يقرأها، وهي ركن في حق المنفرد، وركن في حق الإمام.

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يقول الله - عز وجل -: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله سبحانه: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: الرحمن الرحيم، قال الله - جل وعلا -: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبد: مالك يوم الدين، قال الله سبحانه: مجّدني عبدي؛ - لأن التمجيد هو: تكرار الثناء والتوسع في الثناء – فإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله - عز وجل -: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل))[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان)، برقم: ٧٤١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة)، برقم: ٥٩٨.

فقوله: إياك نعبد حق الله؛ فإن حق الله على عباده أن يعبدوه، وإياك نستعين حق للعبد أن يستعين بالله في كل شيء، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، حق الله عليهم أن يعبدوه، وفي الحديث الصحيح يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً))[2]. هذا حق الله على العباد؛ أن يعبدوه بطاعة أوامره وترك نواهيه، ويحذروا الشرك به - عز وجل -.

وتقدم في الدرس الماضي: أن أصل هذه العبادة وأساسها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا أصل العبادة وأساس العبادة: توحيد الله والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام.

فأعظم العبادة وأهمها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فعلى كل مكلف أن يتعبد عن علم ويقين، وصدق إنه لا إله إلا الله، والمعنى: لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[3]. وعليه أن يشهد عن علم ويقين وصدق، أن محمد بن

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير)، برقم: ٢٦٤٤، ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان)، برقم: ٤٣.

(٣) سورة الحج، الآية ٦٢.

عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقاً إلى جميع الثقلين - الجن والإنس - وهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، كما قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[2]، فعلى كل إنسان وعلى كل مكلف من الجن والإنس أن يعبد الله وحده؛ هذا حق الله على عباده.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]: يجب على جميع الثقلين - جنهم وإنسهم، ذكورهم وإناثهم، عربهم وعجمهم، أغنياؤهم وفقراؤهم، ملوكهم وعامتهم - عليهم جميعاً أن يعبدوا الله بأداء ما فرض وترك ما حرم، وعليهم أن يخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾؛ يعني: أمر بك وأوصى ربك

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.
(٣) سورة الفاتحة، الآية ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٦٣.
(٥) سورة البينة، الآية ٥.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[١]. وفي هذه السورة يقول - جل وعلا -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، يعلمنا أن نقول: إياك نعبد وإياك نستعين، هذا حقه جل وعلا إياك نعبد؛ يعني: وحدك بدعائنا وخوفنا ورجائنا وصومنا وصلاتنا وذبحنا ونذرنا، وغير هذا من العبادات كلٌ لله وحده، كما قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[٣]. فالذين يتقربون إلى الأصنام أو إلى الأموات من الأولياء وغيرهم بالدعاء أو الرجاء، أو الذبح أو النذر أو الاستغاثة، قد عبدوا مع الله غيره، وقد أشركوا بالله غيره، ونقضوا قول: لا إله إلا الله، وخالفوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالعبادة حق الله، ليس لأحد فيها نصيب.

فالواجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده، والواجب على كل من لديه علم أن يعلِّم الناس وأن يرشد الناس وأن يعلم أهله ومن حوله، وأن يرشد الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٤]. فعلى جميع المكلفين أن يعبدوا الله، وأن يخصوه

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٥.

(٣) سورة الحج، الآية ٦٢.

(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

بالعبادة؛ بدعائهم وذبحهم ونذرهم وصلاتهم وصومهم وغير هذا من العبادة. وبهذا نعلم أن ما يفعله بعض الجهلة عند القبور - قبور الصالحين، أو من يزعم أنهم صالحون - من دعائهم، أو الاستغاثة بهم أو النذر لهم، أن هذا هو الشرك الأكبر، وهذا دين الجاهلية، ويجب الحذر من ذلك.

وهكذا البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها هو من وسائل الشرك، وهو من عمل اليهود والنصارى؛ فيجب الحذر من ذلك. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[1]. فالواجب عليك – يا عبد الله – وعليك – يا أمة الله – الانتباه لهذا الأمر، والعلم بهذا الأمر، وأن العبادة حق الله وحده، ليس لأحد فيها نصيب. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ هذا حق الله أن نعبده وحده، وأن نستعين به وحده؛ فلا يجوز أن يدعى مع الله سبحانه إله آخر؛ لا نبي ولا غيره - لا محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره، ولا البدوي ولا الحسين ولا علي ولا غير ذلك - العبادة حق الله وحده ليس لأحد فيها نصيب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجنائز)، برقم: ١٣٠١، ومسلم في صحيحه (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)، برقم: ٨٢٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

قَبْلِكْ﴾، يخاطب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. سيد الخلق لو أشرك بالله لحبط عمله، فكيف بغيره؟ وقد عصمه الله من ذلك وحفظه، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2]. فالشرك هو أعظم الذنوب وأسوأها وأخطرها؛ فالواجب الحذر منه ومن وسائله، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3]. من مات على التوحيد والإخلاص لله والإسلام فهو من أهل الجنة. لكن إن كانت له ذنوب وسيئات فهو على خطر؛ قد يغفر له وقد لا يغفر له، وقد يعذَّب بمعاصيه؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ فإذا مات على شرب الخمر، أو على عقوق الوالدين أو أحدهما، أو على أكل الربا، أو على ظلم الناس، فهو على خطر عظيم من دخول النار، وقد يغفر له وقد لا يغفر، إلا أن يتوب قبل موته توبة صادقة؛ فمن تاب، تاب الله عليه.

وقد دلت السنة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كثيراً

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٣) سورة النساء، الآية ١١٦.

من العصاة يعذبون في النار على قدر معاصيهم ولا يغفر لهم، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه يشفع في جماعة من العصاة، فيحد الله له حداً فيخرجهم من النار، ثم يشفع فيحد الله له حداً فيخرجهم من النار، ثم يشفع فيحد الله له حداً فيخرجهم من النار ثم يشفع فيحد الله له حداً فيخرجهم من النار التي دخلوها بذنوبهم، ويبقى في النار بقايا من أهل التوحيد دخلوا النار بمعاصيهم، فيخرجهم الله من النار بفضله ورحمته - جل وعلا -. فاتق الله - يا عبد الله - واحذر السيئات، احذر المعاصي كلها، والزم التوبة دائماً لعلك تنجو: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1].

فأنت على خطر إذا مت على معصية؛ على الربا، على الزنا، على العقوق، على شرب المسكر، على ظلم الناس والعدوان عليهم، على الغيبة والنميمة، فأنت على خطر؛ فحاسب نفسك، وجاهد نفسك، وبادر بالتوبة قبل أن يهجم الأجل. واعرف معنى قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وأن الواجب عليك أن تخص الله بالعبادة دون كل ما سواه؛ فهو المستحق لأن يعبد؛ فهو الذي يدعى ويرجى ويخاف ويتقرب إليه بالصلاة والصوم والحج والنذر والذبح وغير ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾؛ يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ

(١) سورة النساء، الآية ١١٦.

﴿الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٤]، وقال - جل وعلا -: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٥]. جميع من يدعوه الناس من دون الله ما يملكون من قطمير؛ وهو: اللفافة التي على النواة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٦]. فالواجب: الحذر من دعاء غير الله أو الشرك بالله، والواجب: توجيه القلوب إلى الله - عز وجل - وإخلاص العمل لله وحده في صلاتك وصومك وسائر عباداتك. فقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يقول الله: ((هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)). ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حق الله ﴿وإِيَّاكَ

(١) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.
(٢) سورة الكوثر، الآيتان ١، ٢.
(٣) سورة الجن، الآية ١٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٧.
(٥) سورة فاطر، الآية ١٣.
(٦) سورة فاطر، الآية ١٤.

﴿نَسْتَعِينُ﴾ حق العبد، وحاجة العبد، عليه أن يستعين بالله في كل شـيء، وفي حديث ابن عباس يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))[1].

فالعبد في غاية الفقر والحاجة إلى الله - عز وجل - فعليه أن يستعين بربه في كل شيء، وعليه أن يسأله حاجته ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

فأنت في أشد الضرورة إلى ربك؛ فاضرع إليه واسأله حاجاتك، واحذر الشرك به.

خص ربك بالعبادة، واحذر أن تشرك بالله شيئاً؛ لا في ذبحك ولا في نذرك ولا في صومك ولا في صلاتك ولا في دعائك، ولا في غير ذلك؛ فالعبادة حق الله يجب إخلاصها لله وحده. وإياك أن تغتر بما فعله الجهال في كثير من البلدان؛ من العكوف على القبور، ودعاء أصحابها والاستغاثة بها؛ هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه، وهو الذي بعث الله الرسل بإنكاره ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (صفة القيامة والرقائق والورع)، برقم: ٢٤٤٠.

(٢) سورة فاطر، الآيتان ١٥، ١٦.

اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[1]، بعث الله الرسل جميعاً بإنكار الشرك، والدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له - جل وعلا- فاحذر يا عبد الله أن تقع فيما وقع فيه المشركون؛ من عبادة أصحاب القبور أو الأشجار أو الأصنام أو الكواكب أو الجن، كل ذلك شرك به.

فمن دعا الجن من دون الله أو دعا الكواكب أو الأصنام، أو استغاث بالأموات، أو بالغائبين فقد أشرك بالله، ووقع في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

ثم احذر - أيضاً - من وسائل الشرك؛ كالصلاة عند القبور، واتخاذ المساجد عليها، واتخاذ القباب عليها؛ كل هذا من وسائل الشرك؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، قالت عائشة رضي الله عنها: "يحذر ما صنعوا"، قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً. ولما قيل له عن كنائس النصارى وما يفعلون فيها، قال: ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك

---

(١) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

شرار الخلق عند الله))[١]. فبين أن من اتخذ المساجد على القبور والصور على القبور، أنهم شرار الخلق عند الله.

فالواجب الحذر من هذه الأعمال السيئة من أعمال اليهود والنصارى والمشركين، ويجب أن تخص الله بالعبادة أينما كنت؛ تعبده وحده بدعائك وخوفك ورجائك وصلاتك وصومك وذبحك ونذرك وغيره، كله لله وحده ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[٢] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[٣] قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ.أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٤]. ثم يقول سبحانه بعد ذلك: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٥].

يعلِّم عباده أن يدعوه بهذا الدعاء، فإذا قال العبد: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، يقول الله: ((هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل)). هكذا جاء في الحديث الصحيح. فجدير بك - يا عبد الله — أن تَصْدُق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الصلاة)، برقم: ٤٠٩، ومسلم في صحيحه (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)، برقم: ٨٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٣) سورة البينة، الآية ٥.

(٤) سورة الزمر، الآيتان ٢، ٣.

(٥) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.

في هذا الدعاء، وأن تخلص في هذا الدعاء، وأن يكون قلبك حاضراً حين تقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

ومعنى اهدنا يعني: أرشدنا يا ربنا ودلنا، وثبتنا ووفقنا. تسأل ربك أن يهديك هذا الصراط، وأن يرشدك إليه، وأن يعلمك إياه، وأن يثبتك عليه.

ما هو الصراط المستقيم؟ الصراط المستقيم هو: دين الله، هو توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله، وهو الإسلام والإيمان والهدى، وهو الصراط المستقيم، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، هذه العبادة هي الصراط المستقيم ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[2].

والإسلام هو الصراط المستقيم، وهو الإيمان بالله ورسوله، وتوحيد الله، وطاعته وترك معصيته، هذا هو الصراط المستقيم: أن تعبد الله وحده دون كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾[3]، لما ذكر الشرك والتوحيد والمعاصي في قوله

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١). ثم قال بعد هذا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾.

فصراط الله: أداء أوامره وترك نواهيه، هذا صراط الله المستقيم، وأعظمها: توحيده والإخلاص له، وأعظم المناهي هو الشرك به؛ فصراط الله المستقيم توحيده والإخلاص له، وترك الإشراك به، وأداء ما أمر وترك ما نهى، هذا هو صراط الله المستقيم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ يعني: الزموه، واستقيموا عليه. ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾، وهي: البدع، والمعاصي التي ينهى الله عنها، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنعام، الآيتان ١٥١، ١٥٢.

أنه خط خطاً مستقيماً، فقال: ((هذا سبيل الله))، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقال: ((هذه السبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه))[١]. فالسبل هي: البدع والمعاصي، والمنكرات التي حرمها الله على عباده؛ فالواجب الحذر منها.

والصراط المستقيم هو توحيد الله وطاعته، وهو الإسلام والإيمان، وهو الهدى، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها، صراط واضح، وهو توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٢]. والمستقيم: الذي ليس فيه عوج، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]، صراط الله.

فالرسول بعثه الله ليهدي إلى صراط مستقيم، وهكذا الرسل جميعاً، كلهم بعثوا ليهدوا إلى الصراط المستقيم؛ يعني: يدعون الناس إلى الصراط المستقيم، وهو: توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة)، برقم: ٣٩٢٨، والدارمي في سننه (كتاب المقدمة)، برقم: ٢٠٤.
(٢) سورة الفاتحة، الآية ٦.
(٣) سورة الشورى، الآية ٥٢.

المستقيم.

وربنا يرشدنا في كل صلاة، في كل ركعة، أن نقول: اهدنا الصراط المستقيم؛ يعني: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم الذي شرعته لنا، وبعثت به أنبيائك، وخلقتنا له، نطلب منك أن تهدينا له وأن ترشدنا له، وأن تثبتنا عليه. ثم فسره فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[1]، هذا صراط الله المستقيم: صراط المنعم عليهم، ومن هم المنعم عليهم؟

هم: الرسل وأتباعهم، وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- وهذا صراطهم، صراط الله المستقيم؛ توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا الصراط المستقيم، وهذا هو صراط المنعم عليهم، وهم: الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة.

والصراط المستقيم هو: العلم والعمل؛ العلم بما شرع الله والعمل بذلك هذا هو الصراط المستقيم، العلم بما شرع الله وبما أوجب الله على عباده، والعمل بذلك، أن تعلم حق الله عليك، وأن تعلم ما أوجب الله عليك، وأن تعلم ما حرم الله عليك، وأن تستقيم على أداء ما أمرك الله به، وعلى ترك ما حرم الله عليك، هذا هو صراط الله المستقيم الذي تطلب من ربك في كل ركعة أن يهديك

(١) سورة الفاتحة، الآية ٧.

صراطه المستقيم. ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، غير صراط المغضوب عليهم، وهم: اليهود وأشباههم، الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، وتكبروا عن اتباعه، وغير الضالين، وهم: النصارى وأشباههم، الذين تعبدوا على الجهالة والضلالة.

فصراط المنعم عليهم هم أهل العلم والعمل، الذين عرفوا الحق وفقهوه، وعملوا به، وأما المغضوب عليهم، فهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه؛ كاليهود وأشباههم و علماء السوء، الذين يعرفون الحق ويحيدون عنه، ولا يَدُلون إليه، والضالون هم: النصارى وأشباههم، ممن جهل الحق، و لم يبال بدين الله، بل اتبع هواه.

فأنت - يا عبد الله – تسأل ربك أن يهديك طريق المنعم عليهم، وهم الرسل وأتباعهم، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم والضالين.

وهذه دعوة عظيمة؛ فأعظم دعوة أن تسأل ربك الهداية إلى صراطه المستقيم، وهو صراط المنعم عليهم، لا صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين. احمد ربك على هذه النعمة العظيمة، واحرص على هذا الدعاء، وأحضر قلبك عند هذا الدعاء في الصلاة وغيرها؛ هذا الدعاء العظيم الذي أنت في أشد

(١) سورة الفاتحة، الآية ٧.

الضرورة إليه ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾(١). أحضر قلبك واصدق في هذا الطلب؛ في الصلاة وغيرها، تسأل ربك، تضرع إليه أن يهديك صراطه المستقيم، وأن يثبتك عليه حتى تكون من أتباعه والسالكين إليه، غير المغضوب عليهم وغير الضالين؛ لأن اليهود تعبدوا على خلاف العلم، وتابعوا أهواءهم حسداً وبغياً، وهم يعرفون أن محمداً رسول الله، وأن الله بعثه بالحق، ولكن حادوا عن الحق تكبراً وتعاظماً، وإيثاراً للدنيا على الآخرة، وحسداً.

والنصارى جهال، يغلب عليهم الجهل والضلال، وهم أقرب إلى الخير من اليهود؛ ولهذا يسلم منهم الجم الغفير في كل وقت، أما اليهود فيندر أن يسلم منهم أحد، أما النصارى فكثيراً ما يسلمون في كل وقت؛ لأن قلوبهم أقرب إلى الخير من قلوب اليهود، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾(٢).

فالنصارى أقرب وقلوبهم ألين من قلوب اليهود؛ لأن علتهم الجهل والضلال

(١) سورة الفاتحة، الآية ٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨٢.

فإذا عرفوا وبُين لهم رجع كثير منهم إلى الحق. أما علة اليهود فليست الجهل، بل علتهم الحسد والبغي، وعلتهم مخالفة الحق على بصيرة؛ فعلتهم خبيثة، وهي: التكبر عن اتباع الحق، والحسد لأهل الحق؛ ولهذا قلّ وندر من يسلم منهم – نعوذ بالله من ذلك -.

فأنت - يا عبد الله – احمد ربك أن هداك لهذا الصراط، وأن علمك إياه، وأن شرع لك أن تطلبه في صلواتك وفي خارج الصلاة، تقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1].

وهذا الصراط هو: دين الله، وهو الإسلام، وهو الإيمان والهدى، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها، وهو العلم والعمل؛ أن تعلم ما شرعه الله لك، وما خلقك لأجله، وتعمل بطاعة الله، وتحذر معاصي الله، وتقف عند حدود الله، ترجو ثواب الله وتخشى عقاب الله، هذا الصراط المستقيم.

وأساسه وأعظمه وأوله وأفرضه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا هو الأساس، هذا هو الأصل، هذا هو أعظم واجب، هذا هو الركن الأول، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج - كما تقدم

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.

في الدرس الماضي -. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))[(١)].

هذه هي أركان الإسلام الظاهرة، وما سواها من الأوامر تابع لذلك، ويجب مع هذه الأوامر ترك المناهي، الحذر من المناهي؛ خوفاً من الله، وتعظيماً لله، وإخلاصاً له.

هذا هو دين الله وأساسه: توحيده والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم أداء الفرائض وترك المحارم والوقوف عند الحدود، وهذا هو الصراط المستقيم.

يجب على كل مسلم؛ من الذكور والإناث، على كل جن وإنس، على جميع الثقلين، يجب عليهم أن يثبتوا على هذا الصراط، وأن يستقيموا عليه، وأن يسألوا الله الهداية له، وأن يحذروا مخالفته؛ فهو صراط الله، وهو دين الله، وهو العلم والعمل؛ العلم بما شرع الله واتباعه.

وأساسه: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمحبة في الله والبغضاء في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان) برقم: ٢٢.

المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كله داخل في هذا؛ كله داخل في الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم؛ الذين آمنوا بالله ورسوله، وأخلصوا لله العمل، وصدقوا، وتفقهوا في الدين، وعملوا بطاعة الله وتركوا معصيته، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، هم المنعم عليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، وماذا وعدهم؟ قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) سورة العصر.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧١.

الْعَظِيمُ﴾[١]. فالله وعدهم الجنة والسعادة، هذا هو جـــزاؤهم في الـــدنيا: الرحمة، يرحمهم الله بالتوفيق والهداية والتسديد، وفي الآخرة بإدخالهم الجنة والرضا عنهم، هذا هو جزاء أهل الصراط المستقيم.

فاحرص – يا عبد الله - واحرصي – يا أمة الله – على الاســتقامة على الصراط، احرصوا والزموا هذا الصراط، الزموه واستقيموا عليه عـــن حب وعن رغبة، وعن محبة، وعن صدق وعن إخلاص لله، وعن مـــوالاة لأولياء الله ومعاداة لأعداء الله، وصبر على طاعة الله، وكف عـــن محـــارم الله، وتواص بالحق، وتعاون على البر والتقوى، وأمر بالمعروف ونهي عـــن المنكر.

هكذا المؤمنون، هكذا الصادقون، هكذا أصحاب الصراط المستقيم.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، نسأل الله أن يجعلنا وإيـــاكم مـــن هؤلاء الموفقين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، الثـــابتين على صراطه المستقيم، السالكين له، المستقيمين عليه؛ إنه سميـــع قريـــب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

(١) سورة التوبة، الآية ٧٢.

٥٢ - تفسير قول الله تعالى: (وما هم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله)[1] الآية

س: نرجو إيضاح قول الله تعالى عن الكهنة ومن شابههم، الذين تركوا طريق الله وذهبوا إلى الشياطين؛ ليتعلموا منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، كيف يكون ذلك؟ وهل يحدث ذلك الضرر للمؤمنين الفاسقين؟ وما طريق الوقاية من هذه الشرور والأضرار؛ حيث يروج كثير من الكهنة للعوام قدرتهم على ذلك؟

ج: قد تكون هذه الطرق الخبيثة من خدمة الشياطين، وخدمة من تعاطى هذه الأمور، وصحبتهم لهم، وتعلمهم منهم من أنواع السحر، والكهنة والرمّالين والعرّافين، وغيرهم من المشعوذين؛ فيتعاطون هذه الأمور من أجل المال، والاستحواذ على عقول الناس، وحتى يعظمهم الناس فيقولوا: إنهم يعرفون كذا ويعرفون كذا.

وهذا واقع، والله يبتلي عباده بالسراء والضراء، ويبتلي عباده بالأشرار والأخيار؛ حتى يتميز الصادق من الكاذب،

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

وحتى يتميز ولي الله من عدو الله، وحتى يتميز من يعبد الله، ويسعى في سلامة دينه، ويحارب الكفر والنفاق والمعاصي والخرافات، وبين من هو ضعيف في ذلك أو مخلد إلى الكسل والضعف.

والله يميز الناس بما يبتليهم به من السراء والضراء، والشدة والرخاء، وتسليط الأعداء والجهاد؛ حتى يتبين أولياء الله من أعدائه المعاندين لدين الله، وحتى يتبين أهل القوة في الحق من الضعفاء والخاملين.

وهذا واقع لا شك فيه، والتوقي لذلك مشروع – بحمد الله – بل واجب، وقد شرع الله لعباده أن يتوقوا شرهم بما شرع سبحانه من التعوذات والأذكار الشرعية، وسائر الأسباب المباحة.

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك))[1] أخرجه مسلم في صحيحه.

وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: ((أن من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات في المساء لم يضره شيء حتى يصبح، ومن قالها ثلاث مرات في الصباح لم يضره شيء حتى يمسي))[2]،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، برقم: ٤٨٨١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الآداب)، برقم: ٤٤٢٥.

وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن من قرأ آية الكرسي حين ينام على فراشه لم يضره شيء حتى يصبح. وهذا من فضل الله - عز وجل -.

وأخبر صلى الله عليه وسلم: أن من قرأ سورة (الإخلاص): (**قل هو الله أحد**)، وسورتي: (الفلق) و(الناس) ثلاث مرات عند نومه لم يضره شيء.

فهي من أسباب السلامة من كل سوء، إذا قرأها المؤمن عند النوم (ثلاث مرات) وهكذا بعد الصلوات الخمس، ويشرع تكرارها بعد صلاة الفجر والمغرب ثلاثاً، وذلك بعد أن ينتهي من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل. وذلك من فضل الله - سبحانه وتعالى- على عباده، وإرشاده لهم إلى أسباب العافية، والوقاية من شر الأعداء.

وهكذا من الأسباب الشرعية: الإكثار من الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فهي من أسباب السلامة والعافية؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))[1]. أخرجه مسلم في صحيحه. وهكذا العناية بقراءة القرآن الكريم، والإكثار منها بالتدبر والتعقل والعناية بأمر الله - عز وجل - بطاعته وترك معاصيه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الآداب)، برقم: ٣٩٨٥.

وهكذا الإكثار من قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كلها من أسباب السلامة، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكان في حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من عمله))[1]. متفق على صحته.

ومما يجمع الخير كله للمسلم: العناية بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً، والأخذ بما أوصى به الله عباده وأمرهم به في كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين؛ ومن ذلك أنه أوصى عباده بالتقوى وأمرهم بها في آيات كثيرة، ولاشك أن التقوى هي أعظم الوصايا؛ فهي وصية الله - عز وجل - ووصية رسوله عليه الصلاة والسلام وهي جامعة للخير كله.

ومن جملة التقوى: العناية بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ تنزيل من حكيم حميد، وقد أوصى الله بذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الدعوات)، برقم: ٥٩٤٢، ومسلم في صحيحه (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، برقم: ٤٨٥٧.

فقال - جل وعلا -: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [1]، وقال - جل وعلا -: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

فقال: أولاً: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٥١، ١٥٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

والحكمة في ذلك - كما قال جمع من أهل التفسير -: إن الإنسان إذا تعقل ما خلق له وما أمر به، وما خوطب به، ونظر فيه وتأمله، حصل له به التذكر لما يجب عليه ولما ينبغي له تركه، ثم بعد ذلك تكون التقوى؛ بفعل الأوامر وترك النواهي؛ وبذلك يكمل للعبد العناية بما قرأ أو بما سمع، فإنه يبدأ بالتعقل والتذكر، ثم العمل وهو المقصود.

فالوصية بكتاب الله قولاً وعملاً تشمل: الدعوة إليه، والذب عنه، والعمل به؛ لأنه كتاب الله الذي من تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بكتاب الله، وذلك حينما سئل عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء؟ قال: نعم، أوصى بكتاب الله، فالرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بكتاب الله؛ لأنه يجمع الخير كله.

وفي (صحيح مسلم)، عن جابر – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى في حجة الوداع بكتاب الله، فقال: ((إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك))، وفي (صحيح

مسلم) أيضاً، عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به)).

فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: ((وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي))(١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم أوصى بكتاب الله، كما أوصى الله بكتابه.

ثم الوصية بكتاب الله وصية بالسنة؛ لأن القرآن أوصى بالسنة وأمر بتعظيمها، فالوصية بكتاب الله وصية بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهما الثقلان، وهما الأصلان اللذان لابد منهما، من تمسك بهما نجا، ومن حاد عنهما هلك، ومن أنكر واحداً منهما كفر بالله، وحل دمه وماله، وقد جاء في رواية أخرى: ((إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله، وسنتي))(٢). أخرجها الحاكم بسند جيد.

وقد عرفت – أيها المسلم - أن الوصية بكتاب الله والأمر بكتاب الله، وصية بالسنة وأمر بالسنة؛ لأن الله - تعالى- يقول: ﴿وَأَقِيمُوا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة)، برقم: ٤٤٢٥.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم: ٣١٩.

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2] الآية، ويقول أيضاً: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3].

وهناك آيات كثيرة يأمر فيها سبحانه بطاعته، وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

والعلم النافع هو المتلقى عنهما والمستنبط منهما، فهذا هو العلم، فالعلم: قال الله سبحانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الصحابة – رضي الله عنهم -؛ لأنهم أعلم بكتاب الله وأعلم بالسنة؛ فاستنباطهم وأقوالهم يُعين طالب العلم، ويرشد طالب العلم إلى الفهم الصحيح عن الله، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ثم الاستعانة بكلام أهل العلم بعد ذلك: أئمة الهدى كالتابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم من علماء الهدى، وهكذا أئمة اللغة، يستعان بكلامهم على فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة النور، الآية ٥٦.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٠.

فطالب العلم يُعنى بكتاب الله سبحانه ويُعْنَى بالسنة، ويستعين على ذلك بكلام أهل العلم المنقول عن الصحابة ومن بعدهم في كتب التفسير والحديث، وكتب أهل العلم والهدى؛ لكي يعرف معاني كتاب الله، فيتعلمه ويعمل به ويعلمه الناس؛ لما في ذلك من الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))[2].

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على المحافظة على كتاب الله - عز وجل - وتدبر معانيه؛ لما في ذلك من الأجر العظيم، مثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((من قرأ حرفاً من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)) خرجه مسلم في صحيحه [3].

وأصحابه: هم العاملون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب فضائل القرآن)، برقم: ٤٦٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب العلم)، ومسلم في صحيحه (كتاب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، برقم: ٤٨٦٧.

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي) ٦ / ٨٧.

به، كما جاء في الحديث الآخر، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((يـــؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة (البقـــرة) و(آل عمران) كأهما غمامتان أو ظُلّتان سوداوان بينهما شرق، أو كأهما حزقان من طير طواف، تحاجان عن صـــاحبهما)) أخرجـــه مـــسلم في صحيحه [(١)].

والآيات والأحاديث في فضل القرآن والعمل بـــه، وفـــضل الـــسنة والتمسك بها كثيرة جداً.

فنسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يوفقنا والمسلمين للتمسك بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما، إنه جواد كريم.

(١) المرجع السابق: ٦ / ٧٩.

٥٣ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم / سلمان بن عبد العزيز - أمير منطقة الرياض - وفقه الله، وزاده من العلم والإيمان – آمين- [(١)].

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأشير إلى سؤالكم الشفهي عن تفسير قوله – تعالى -: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)] ورغبة سموكم في أن يكون الجواب خطياً.

وأفيدكم: أن علماء التفسير - رحمهم الله - ذكروا أن الله سبحانه لما شرع صيام شهر رمضان شرعه مخيراً بين الفطر والإطعام وبين الصوم، والصوم أفضل، فمن أفطر وهو قادر على الصيام فعليه

(١) صدرت من مكتب سماحته برقم: ١٥٦٣ / خ، في ١٤١٠/٩/٢٣هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٤.

إطعام مسكين، وإن أطعم أكثر فهو خير له، وليس عليه قضاء، وإن صام فهو أفضل؛ لقوله عز وجل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فأما المريض والمسافر فلهما أن يفطرا ويقضيا؛ لقوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (١).

ثم نسخ الله ذلك، وأوجب سبحانه الصيام على المكلف الصحيح المقيم، ورخص للمريض والمسافر في الإفطار وعليه القضاء، وذلك بقوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).
وبقي الإطعام في حق الشيخ الكبير العاجز والعجوز الكبيرة العاجزة عن الصوم، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وجماعة من الصحابة والسلف رضي الله عنهم.

وقد روى البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - معنى ما ذكرنا من النّسْخ للآية المذكورة، وهي قوله

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الآية، وروي ذلك عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وجماعة من السلف رحمهم الله.

ومثل الشيخ الكبير والعجوز الكبير، والمريض الذي لا يرجى برؤه والمريضة التي لا يرجى برؤها، فإنهما يطعمان عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليهما؛ كالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة. ويجوز إخراج الإطعام في أول الشهر وفي وسطه وفي آخره. أما الحامل والمرضع فيلزمهما الصيام، إلا أن يشق عليهما فإنه يشرع لهما الإفطار، وعليهما القضاء كالمريض والمسافر. هذا هو الصحيح من قولي العلماء في حقهما.

وقال جماعة من السلف: يطعمان ولا يقضيان؛ كالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة. والصحيح أنهما كالمريض والمسافر؛ تفطران وتقضيان، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك الكعبي ما يدل على أنهما كالمريض والمسافر.

وأسأل الله - عز وجل - أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا من الهداة المهتدين؛ إنه سميع قريب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

٥٤- تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ﴾[١]

س: هذا يسأل عن تفسير قوله – تعالى -: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، ويقول: ذلك بأننا سمعنا أناساً في الحرم يفسرون (لا جناح عليه)؛ بأنه ليس من الضروري في الحج والعمرة؟ [٢]

ج: هذا غلط. النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسعي وسعى.

وكان المسلمون يتحرجون أولاً من السعي؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يسعون بينهما بصنمين على الصفا والمروة، فلما جاء الله بالإسلام تحرجوا، قيل لهم: لا حرج، والسعي بينهما لله لا للأصنام، لله وحده - سبحانه وتعالى- كل شعائر الله إعلانه وأحكامه - جل وعلا -؛ ولهذا طاف النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وقال: ((خذوا عني مناسككم))[٣]، في عمرته وفي حجه عليه الصلاة والسلام. فليس هناك جناح في الطواف بهما كما طاف النبي

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٨.
(٢) شريط (نور على الدرب)، رقم: ٤٩ / ٧ لحج عام ١٤١٥هـ.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الحج)، برقم: ٢٢٨٦.

صلى الله عليه وسلم، هذا رد على من تحرج في السعي بينهما، وأنهما كانا بين صنمين الصفا والمروة: إساف ونائلة، كان المشركون يسعون للصنمين فأبطل الله عبادة الصنام، وأقر السعي لله وحده لا شريك له.

٥٥ - تفسير قول الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾

س: ما معنى قوله - تعالى-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[(١)]؟[(٢)]

ج: يسألون عن الحكمة فيها، يسأل الناس عن الحكمة لماذا وجدت الأهلة؟

فأخبرهم - جل وعلا - أنها مواقيت للناس والحج، مواقيت يعرف بها الناس السنين والأعوام والحج؛ هذه من الحكمة في خلقها، إذا هل الهلال عرف الناس إذا دخل الشهر وخرج الشهر، إذا كمل اثنا عشر شهراً مضت السنة، وهكذا، ويعرف الناس بذلك حجهم وصومهم ومواقيت ديونهم وعدد نسائهم، وغير ذلك من مصالحهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

(٢) برنامج (نور على الدرب)، الشريط: الأول.

٥٦ - تفسير قوله تعالى:
﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١)

س: ما تفسير قوله - تعالى-: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؟

ج: هذه الآية الشريفة، ذكر أهل التفسير أنها نزلت في الأنصار بالمدينة المنورة، لما أرادوا أن يتركوا الجهاد وأن يتفرغوا لمزارعهم، أنزل الله في ذلك قوله - تعالى-: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٢). فبيّن سبحانه أن المراد بذلك هو: التأخر عن الجهاد في سبيل الله مع القدرة.

والآية عامة، كما في القاعدة الشرعية: أن الاعتبار في النصوص بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فلا يجوز للإنسان أن يلقي بيده إلى التهلكة، كأن يلقي نفسه من شاهق، ويقول: إنّي أتوكل على الله أو يتناول السم ويقول: إني أتوكل على الله ، أو أن يطعن نفسه بسكين ونحوه، ويقول: إني أتوكل على الله إني أَسلَم، كل هذا لا يجوز.

فواجب على المسلم التباعد عن أسباب الهلكة وأن يتحرز منها، إلا بالطرق الشرعية؛ كالجهاد وغيره.

---

(١) من برنامج (نور على الدرب) الشريط: الأول.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

٥٧ - معنى الرفث والفسوق والجدال في الحج

س: يقول - تعالى-: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[(١)] الآية.

سماحة الشيخ: ما المقصود بالرفث والفسوق والجدال الممنوع؟ وهل من جادل أو بالغ بالعبث أثناء الحج يبطل حجه؟ [(٢)]

ج: فسر أهل العلم - رحمهم الله – الرفث: بالجماع وما يدعو إلى ذلك، والفسوق: بالمعاصي، أما الجدال ففسروه: بالنزاع والمخاصمة في غير فائدة، أو فيما أوضحه الله وبينه لعباده فلا وجه للجدال فيه.

ويدخل في الجدال المنهي عنه: جميع المنازعات التي تؤذي الحجيج وتضرهم، أو تخل بالأمن، أو يراد منها الدعوة إلى الباطل أو التثبيط عن الحق، أما الجدال بالتي هي أحسن لإيضاح الحق

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية) جمع الشيخ / محمد المسند: ج٢، ص: ١٨٠.

وإبطال الباطل فهو مشروع، وليس داخلاً في الجدال المنهي عنه، وجميع الأشياء الثلاثة لا تبطل الحج، إلا الجماع فقط إذا وقع قبل التحلل الأول، لكنها تنقص الحج والأجر، كما أنها تنقص الإيمان وتضعفه.

فالواجب على الحاج والمعتمر تجنب ذلك؛ طاعة لله سبحانه ورغبة في إكمال حجه وعمرته.

٥٨ - تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾

س: نسأل فضيلتكم عن معنى قول الله سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾. الآية - جزاكم الله خيراً -؟

ج: يقول الله سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1].

معنى الآية: أن الحج يُهَل به في أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة والعشر الأولى من ذي الحجة، هذا هو

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

المراد بالآية، وسماها أشهراً؛ لأن قاعدة العرب إذ ضموا بعض الثالث إلى الاثنين أطلقوا عليها اسم الجمع.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾؛ يعني: أوجب الحج فيهن على نفسه بالإحرام بالحج؛ فإنه يحرم عليه الرفث والفسوق والجدال.

والرفث: هو الجماع ودواعيه، فليس له أن يجامع زوجته بعدما أحرم، ولا يتكلم ولا يفعل ما يدعوه إلى الجماع.

ولا يأتي الفسوق، وهي: المعاصي كلها؛ من عقوق الوالدان، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والغيبة والنميمة، وغير ذلك من المعاصي.

والجدال معناه: المخاصمة والمماراة بغير حق، فلا يجوز للمحرم بالحج أو بالعمرة أو بهما أن يجادل بغير حق، وهكذا في الحق، لا ينبغي أن يجادل فيه، بل يبينه بالحكمة والكلام الطيب، فإذا طال الجدال ترك ذلك، ولكن لابد من بيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

وهذا النوع غير منهي عنه، بل مأمور به في قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) الآية.

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

٥٩ - تفسير قوله تعالى:
﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾(١)

س: ما المقصود يا سماحة الشيخ بقول الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؟ (٢)

ج: هذه الآية الكريمة في أيام التشريق؛ في النفْر الأول والنفْر الثاني، يقول الله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾؛ هذه أيام التشريق يوم: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ليس منها يوم العيد ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾.

يوم العيد داخل في العشر التي فيها الذكر؛ العشر مأمور فيها بالذكر والأيام المعدودات مأمور فيها بالذكر أيضاً، كلها ثلاثة عشر يوماً، كلها مشروع فيها الذكر من أولها إلى آخرها؛ من اليوم الأول من شهر ذي الحجة إلى اليوم الثالث عشر كلها أيام ذكر وتكبير وتهليل.

ويشرع للمسلمين فيها التكبير والتهليل في الليل والنهار، وفي المساجد، وفي الطرق، وفي البيوت، وفي كل مكان. ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.

(٢) أسئلة حج عام ١٤٠٧هـ، شريط رقم: ١.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ يعني: الثاني عشر، فلا إثم عليه، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾: الثالث عشر ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ ذكرهم سبحانه بمجمعهم هذا في عرفات وفي مزدلفة وفي منى، أنه يحشرهم يوم القيامة، فهم محشورون إلى الله يوم القيامة حشراً عظيماً، لا يبقى منهم أحد، كما قال - تعالى-: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[1]، فكل الناس محشورون يوم القيامة جميعاً، ومجزيون بأعمالهم؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

فهذا الحشر في منى وعرفات ومزدلفة هذا الجمع يذكر العاقل بيوم القيامة، وجمع الخلائق في يوم القيامة، لعلَّه يستعد لذلك اليوم العظيم.

والحجاج فيهم من يريد النفير والتعجل وفيهم من لا يريد ذلك، فمن تعجل من اليوم الثاني عشر بعد الزوال وبعد الرمي فلا بأس، ومن تأخر حتى يرمي اليوم الثالث عشر بعد الزوال فلا بأس، وهو أفضل؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم تأخر ولم ينفر إلا في اليوم الثالث عشر عليه الصلاة والسلام فالحجاج مخيرون؛ من شاء نفر في اليوم الثاني عشر بعد رمي الجمرات الثلاث فينفر إلى مكة. ثم هو بالخيار: إن أحب السفر طاف للوداع قبل أن يسافر، وإن أحب أن يبقى في مكة أياماً.

(١) سورة التغابن، الآية ٩.

فإذا عزم على السفر طاف للوداع عند السفر، وليس يوم العيد منها. فبعض الناس يغلط؛ ينفر في اليوم الحادي عشر، ويقول: هذا هو اليوم الثاني، هذا غلط عظيم، يوم العيد لا يحسب منها، أولها الحادي عشر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أيام منى ثلاثة؛ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه))[1]؛ يعني: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

٦٠ - تفسير قوله تعالى:
(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم). الآية

س: قال الله – تعالى -: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2] سؤالي: ما معنى اللغو بالأيمان في هذه الآية؟[3]

ج: الآية واضحة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الآية،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده كتاب (أول الكوفيين) برقم: ١٨٠٢٢، الترمذي في سننه كتاب (الحج) برقم: ٨١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٥.

(٣) من برنامج (نور على الدرب) الشريط: الأول، في ١٤١٩/٦/٢هـ.

وفي الآية الآخرى قال سبحانه: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾[1]. وكسب القلوب: نيتها وقصدها؛ الإيمان بالله والمحبة لله، والخوف من الله والرجاء لله – سبحانه وتعالى - كل هذا من كسب القلوب، وهكذا نية الحالف وقصده لليمين وإقباله عليها، هذا من كسب القلوب. أما عند عدم اليمين؛ لكونه يتكلم باليمين من غير قصد، بل جرت على لسانه من غير قصد، مثل: والله ما أقوم، والله ما أتكلم، والله ما أذهب لكذا.. إلى آخره ، ولم يتعمدها، بل جرت على لسانه لكن من غير قصد؛ أي عقد اليمين على هذا الشيء من غير قصد القلب على فعل هذا الشيء، هذا هو لغو اليمين؛ قول الرجل: لا والله، كما جاء في هذا المعنى عن عائشة – رضي الله عنها – وغيرها في اللغو باليمين.

أما إذا نوى اليمين بقلبه أنه لا يكلمه، أو: لا والله لا أزوره، أو: لا والله لا أفعل كذا، أو: لا أشرب الدخان، أو: والله لا أشرب الخمر، فهذا عليه كفارة يمين إذا نقض يمينه، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو أن يعتق رقبة، فإن عجز عن الثلاثة صام ثلاثة أيام؛ لقوله - جل وعلا -: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٩.

أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ﴾. والمقصود: أن الأَيمان اللاغية هي التي لا تتعمد، بل تجري على اللسان بغير قصد، هذه هي لغو اليمين، وليست يميناً منعقدة، وليست من كسب القلوب، أما إذا عقدها قاصداً لها بقلبه فهذا من كسب القلوب، وهذا من تعقيد الأيمان، فعلى صاحب هذه اليمين إذا خالفها أن يكفر كفارة اليمين - كما تقدم -.

فإذا قال: والله لا أكلم فلاناً، قاصداً بقلبه ثم كلمه، فعليه كفارة يمين، أو قال: والله لا أزوره ثم زاره، فعليه كفارة يمين، بخلاف إذا مرّ على لسانه اليمين بغير قصد لم يتعمدها، فليس عليه شيء.

٦١ - تفسير معاني بعض الآيات الكريمة

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم الدكتور / م. أ. ح - سلمه الله -.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأشير إلى كتابكم الذي جاء فيه:

نرجو من فضيلتكم توضيح معاني هذه الآيات الكريمة التالية: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي

الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[1]، والآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2]، والآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[3]، والآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4].

وحديث الجارية الذي رواه مسلم، حينما سألها رسول الله - صلى الله عيله وسلم - وقال: " أين الله؟ " قالت: في السماء، وقال لها: " من أنا؟ " قالت: " أنت رسول الله "، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أعتقها؛ فإنها مؤمنة " [5].

نرجو توضيح معاني هذه الآيات الكريمة، وتوضيح معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارية [6]؟

---

(١)سورة الأنعام، الآية ٣.

(٢)سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، برقم: ٨٣٦.

(٦) نشرت في المجموع، ج٨.

وأفيدك: بأن المعنى العام للآيات الكريمات والحديث النبوي الشريف: هو الدلالة على عظمة الله سبحانه وتعالى وعلوه على خلقه، وألوهيته لجميع الخلائق كلها، وإحاطة علمه وشموله لكل شيء - كبيراً كان أو صغيراً، سراً أو علناً - وبيان قدرته على كل شيء، ونفي العجز عنه سبحانه وتعالى.

وأما المعنى الخاص لها: فقوله تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾؛ ففيها الدلالة على عظمة الكرسي وسعته، كما يدل ذلك على عظمة خالقه سبحانه وكمال قدرته. وقوله: ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾؛ أي: لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه.

وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء؛ فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء.

والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه سبحانه محتاجة وفقيرة إليه، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم، لا إله غيره ولا رب سواه.

وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾؛ ففيها الدلالة على أن المدعو: الله في السموات وفي الأرض، ويعبده ويوحده ويقر له بالإلهية مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض، ويسمونه: الله، ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن أو الإنس.

وفيها: الدلالة على سعة علم الله سبحانه واطلاعه على عباده، وإحاطته بما يعملونه - سواء كان سراً أو جهراً - فالسر والجهر عنده سواء سبحانه وتعالى فهو يحصي على العباد جميع أعمالهم؛ خيرها وشرها.

وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[(١)]، فمعناها: أنه سبحانه هو إله من في السماء وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه، إلا من غلبت عليه الشقاوة فكفر بالله ولم يؤمن به، وهو الحكيم في شرعه وقدره، العليم بجميع أعمال عباده سبحانه.

وقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ

(١) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]؛ فمعناها: أنه مطلع سبحانه على جميع عباده أينما كانوا؛ يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله من الملائكة الكرام والكاتبين الحفظة - أيضاً - مع ذلك يكتبون ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له.

والمراد بالمعية المذكورة في هذه الآية - عند أهل السنة والجماعة -: معية علمه سبحانه وتعالى فهو معهم بعلمه، ولكن سمعه - أيضاً - مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مُطّلعٌ على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، مع أنه سبحانه فوق جميع الخلق؛ قد استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال - عز وجل -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

ثم ينبئهم يوم القيامة بجميع الأعمال التي عملوها في الدنيا؛ لأنه سبحانه بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، عالم الغيب، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

أما حديث الجارية التي أراد سيدها إعتاقها؛ كفارةً لما حصل منه من ضربها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: ((أين الله؟ " قالت: في السماء، قال: " من أنا؟ " قالت: رسول الله، قال: " أعتقها فإنها مؤمنة)).

فإن فيه الدلالة على علو الله على خلقه، وأن الاعتراف بذلك دليل على الإيمان، هذا هو المعنى الموجز لما سألت عنه.

والواجب على المسلم: أن يسلك في هذه الآيات، وما في معناها من الأحاديث الصحيحة الدالة على أسماء الله وصفاته مسلك أهل السنة والجماعة، وهو: الإيمان بها، واعتقاد صحة ما دلت عليه، وإثباته لها سبحانه على الوجه اللائق به؛ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا هو المسلك الصحيح الذي سلكه السلف الصالح واتفقوا عليه.

كما يجب على المسلم الذي يريد السلامة لنفسه، وتجنيبها الوقوع فيما يغضب الله: العدول عن طريق أهل الضلال، الذين يؤولون صفات الله أو ينفونها عنه - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً -.

وسبق أن صدر من (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) فتوى في إثبات العلو لله سبحانه فنرفق لك نسخة منها لمزيد من الفائدة، كما نرفق لك نسخة من (**العقيدة الواسطية**) لشيخ الإسلام / ابن

تيمية، وشرحها للشيخ / محمد خليل الهراس، وفيهـا بحـث موسـع في الموضوع الذي سألت عنه.

ونسأل الله أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل به، وأن يوفق الجميع لما يرضيه، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦٢- تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. الآية

س: مذكور في القرآن الكريم: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١]، فما معنى هذا؟ [٢]

ج: قد ذكر أهل العلم – رحمهم الله – في تفسير هذه الآية ما معناه: أن هذه الآية خبر معناه النهي؛ أي: لا تكرهوا على الدين الإسلامي من لم يرد الدخول فيه؛ فإنه قد تبيّن الرشد، وهو دين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعهم بإحسان، وهو توحيد الله بعبادته، وطاعة أوامره وترك نواهيه. ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾، وهو:

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) نشر في المجموع ج٨ ص٢٨٧.

دين أبي جهل وأشباهه من المشركين؛ الذين يعبدون غير الله من الأصنام والأولياء والملائكة والأنبياء وغيرهم.

وكان هذا قبل أن يشرع الله سبحانه الجهاد بالسيف لجميع المشركين، إلا من بذل الجزية من أهل الكتاب، والمجوس.

وعلى هذا: تكون هذه الآية خاصة لأهل الكتاب والمجوس؛ إذا بذلوا الجزية والتزموا الصغار، فإنهم لا يُكرهون على الإسلام لهذه الآية الكريمة، ولقوله سبحانه في سورة (التوبة): ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(١)؛ فرفع سبحانه عن أهل الكتاب القتال إذا أعطوا الجزية والتزموا الصغار.

وثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الجزية من مجوس هجر.

أما من سوى أهل الكتاب والمجوس من الكفرة والمشركين والملاحدة، فإن الواجب - مع القدرة - دعوتهم إلى الإسلام، فإن أجابوا فالحمد لله، وإن لم يجيبوا وجب جهادهم حتى يدخلوا في الإسلام، ولا تقبل منهم الجزية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يطلبها من كفار العرب، ولم

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩.

يقبلها منهم، ولأن أصحابه - رضي الله عنهم - لما جاهدوا الكفار بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لم يقبلوا الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس.

ومن الأدلة على ذلك: قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، فلم يخيرهم سبحانه بين الإسلام وبين البقاء على دينهم، ولم يطالبهم بجزية، بل أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة؛ فدل ذلك على أنه لا يقبل من جميع المشركين - ما عدا أهل الكتاب والمجوس - إلا الإسلام، وهذا مع القدرة. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

على الله - عز وجل -))[1]. متفق على صحته، فلم يخيرهم النبي صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وبين البقاء على دينهم الباطل، ولم يطلب منهم الجزية. فدل ذلك: أن الواجب إكراه الكفار على الإسلام حتى يدخلوا فيه، ما عدا أهل الكتاب والمجوس؛ لما في ذلك من سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وهذا من محاسن الإسلام، فإنه جاء بإنقاذ الكفرة من أسباب هلاكهم وذلهم وهوانهم، وعذابهم في الدنيا والآخرة، إلى أسباب النجاة والعزة والكرامة، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذا قول أكثر أهل العلم في تفسير الآية المسئول عنها.

أما أهل الكتاب والمجوس، فخصوا بقبول الجزية، والكف عن قتالهم إذا بذلوها لأسباب اقتضت ذلك.

وفي إلزامهم بالجزية إذلال وصغار لهم، وإعانة للمسلمين على جهادهم وغيرهم، وعلى تنفيذ أمور الشريعة، ونشر الدعوة الإسلامية في سائر المعمورة، كما أن في إلزام أهل الكتاب والمجوس بالجزية حملاً لهم على الدخول في الإسلام، وترك ما هم عليه من الباطل والذل والصغار؛ ليفوزوا بالسعادة والنجاة والعزة في الدنيا والآخرة.

وأرجو أن يكون فيما ذكرنا كفاية وإيضاح لما أشكل عليكم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الإيمان) برقم: ٢٤، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) برقم: ٣١.

وأسال الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين للفقه في الدين والثبات عليه، إنه خير مسئول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦٣- تفسير قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾

س: قال الله – تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[(١)]. الآية. ما المقصود بـ (النور) في الآية؟[(٢)]

ج: إن الله ولي الذين آمنوا، وناصرهم ومعينهم وموفقهم؛ يخرجهم من الظلمات؛ ظلمات الشرك وظلمات المعاصي والبدع، إلى نور التوحيد والحق والإيمان؛ يعني بواسطة الرسل، وبواسطة كتبه المترلة. فكفار قريش، وكفار بني إسرائيل وغيرهم أولياؤهم الطاغوت، والطاغوت: الشيطان من الإنس

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٢) سؤال موجه لسماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في أحد مساجد مدينة جدة، تحت عنوان: (الوصية بكتاب الله: القرآن الكريم)، في ١٣/٨/١٤١٦هـ.

والجن، فالشياطين من الإنس والجن هم أولياء الكفرة؛ يخرجونهم من نور التوحيد إلى ظلمات الشرك والجهل والمعاصي والبدع.

فالنور في هذه الآية المقصود به: التوحيد والإيمان والهدى، والظلمات: الشرك والمعاصي والبدع - نسأل الله العافية -.

٦٤- تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ﴾[١]

س: فسروا لنا قول الحق جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]؟

ج: هذه الآية واضحة لمن تأملها.

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن - قد بعثه الله إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله

---

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ٢١، ونشر في المجموع، ج٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

وينذرهم الشرك بالله، وكان في زمانه ملك يقال له (النمروذ)، يدَّعي أنه الرب وأنه رب العالمين، وقد مُنح ملك الأرض.

فيما ذكروا؛ فإن الأرض قد ملكها أربعة: كافران، وهما: (النمروذ) هذا، و (بختنصر)، ومسلمان وهما: (ذو القرنين)، و (سليمان بن داود) - عليهما السلام- فالحاصل: أن هذا النمروذ كان جباراً عنيداً، وكان يدَّعي الملك، ويدعي أنه رب العالمين، ويدعي أنه يحيي ويميت؛ فلهذا قال له إبراهيم: **(ربي الذي يحيي ويميت)**، قال الخبيث - النمروذ -: **(أنا أحيي وأميت)**، وذكر المفسرون: أنه ذكر لإبراهيم أنه يؤتى بالشخصين يستحقان القتل، فيعفو عن واحد ويقتل الآخر، ويزعم أن هذا هو معنى الإحياء والإماتة؛ يعفو عمن استحق القتل فيقول: أحييته.

وهذه مكابرة وتلبيس، فليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود أن يخرج من الحجر ومن النطفة ومن الأرض حياً بعد موت، وهذا لا يستطيعه إلا الله سبحانه وتعالى فهو الذي يخرج النبات، ويحيي النطف حتى تكون حيوانات. فالمقصود: أن هذا لا يستطيعه إلا الله، ولكنه كابر ولبَّس، فانتقل معه إبراهيم إلى حجة أوضح للناس وأبين للناس؛ حتى لا يستطيع أن يقول شيئاً في ذلك، فبين له عليه الصلاة والسلام أن الله يأتي بالشمس من المشرق، فإن كنت رباًّ فأت بها من المغرب ! فبهت

واتضح للناس بطلان كيده، وأنه ضعيف مخلوق؛ لا يستطيع أن يـــأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق، واتضح للناس ضـــلاله ومكابرتـــه وصحة ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٦٥- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[١]

س: تحدثني نفسي أحياناً بفعل منكر أو قول سوء، ولكني في أحيان كثيرة لا أظهر القول أو الفعل، فهل عليَّ إثم في ذلك، ومـــا المقـــصود بقوله - عز وجل -: ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ﴾[٢] الآية؟

ج: هذه الآية الكريمة نسخها الله سبحانه بقوله: **﴿لاَ يُكَلِّـــفُ اللّـــهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِـــذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾**[٣] الآية. وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله - عز وجل - قال: ((قد فعلت)) خرجه مسلم في

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ص: ٧١ (قسم التفسير).
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤.
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

صحيحه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم))(١) متفق على صحته.

وبذلك يعلم أن ما يقع في النفس من الوساوس والهم ببعض السيئات معفو عنه، ما لم يتكلم به صاحبه أو يعمل به.

ومتى ترك ذلك خوفاً من الله سبحانه كتب الله له بذلك حسنة؛ لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك. والله ولي التوفيق.

٦٦ - كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾(٢) وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾؟

س: كيف نجمع بين هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾(٣)، وقوله – تعالى -: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأيمان والنذور) برقم: ٦١٧١، ومسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان) برقم: ١٨١.

(٢) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ٩٨٣، في ٢٧/٦/ ١٤٠٥هـ.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٨.

لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[١]؟ وهل بينهما تعارض؟

ج: ليس بينهما تعارض؛ فالآية الأولى في حق من مات على الشرك ولم يتب، فإنه لا يغفر له، ومأواه النار، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما الآية الثانية، وهي قوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، فهي في حق التائبين، وهكذا قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤]، أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة طه، الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

٦٧ - شرح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾(١)

س: قال الله – تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا. فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (٢).

والسؤال هو: أن بعض المسلمين يأخذون بهذه الآية، أنه لا حرج على المسلم أن يذهب ويشد الرحال إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله أن يستغفر له رسول الله وهو في قبره، فهل هذا العمل صحيح كما قال – تعالى - ؟ وهل معنى (جاءوك) باللغة: أنه جاءوك في حياتك أم في موتك؟ وهل يرتد المسلم عن الإسلام إذا لم يحكم سنة رسول الله؟ وهل التشاجر على الدنيا أم على الدين؟

---

(١) من برنامج (نور على الدرب).

(٢) سورة النساء، الآيتان ٦٤، ٦٥.

ج: هذه الآية الكريمة فيها حث الأمة على المجيء إليه إذا ظلموا أنفسهم بشيء من المعاصي، أو وقعوا فيما هو أكبر من ذلك من الشرك، أن يجيئوا إليه تائبين نادمين؛ حتى يستغفر لهم عليه الصلاة والسلام.

والمراد بهذا المجيء: المجيء إليه في حياته صلى الله عليه وسلم وهو يدعو المنافقين وغيرهم إلى أن يأتوا إليه ليعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى الله، ويطلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يسأل الله أن يقبل توبتهم، وأن يصلح أحوالهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾.

فطاعة الرسول إنما تكون بإذن الله؛ يعني الإذن الكوني القدري، فمن أذن الله له وأراد هدايته اهتدى، ومن لم يأذن الله في هدايته لم يهتد، فالأمر بيده سبحانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

أما الإذن الشرعي، فقد أذن سبحانه لجميع الثقلين أن يهتدوا، وأراد منهم ذلك شرعاً، وأمرهم به، كما قال – تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]. ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ

(١) سورة التكوير، الآية ٢٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢١.
(٣) سورة النساء، الآية ٢٦.

﴿أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ﴾[1]؛ أي: تائبين نادمين، لا مجرد قول. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾؛ أي: دعا لهم بالمغفرة. ﴿لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؛ فهو حثٌّ لهم - أي للعباد - على أن يأتوا للرسول صلى الله عليه وسلم ليعلنوا عنده توبتهم، وليسأل الله لهم.

وليس المراد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما يظنه بعض الجهال، فالمجيء إليه بعد موته لهذا الغرض غير مشروع، وإنما يؤتى للسلام عليه لمن كان في المدينة، أو وصل إليها من خارجها لقصد الصلاة بالمسجد والقراءة فيه ونحو ذلك، فإذا أتى المسجد سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، لكن لا يشد الرحل من أجل زيارة القبر فقط، بل من أجل المسجد، وتكون الزيارة لقبره صلى الله عليه وسلم وقبر الصديق وعمر – رضي الله عنهما – تابعة لزيارة المسجد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى))[2] متفق على صحته.

فالقبور لا تشد إليها الرحال، ولكن متى وصل إلى المسجد النبوي فإنه يشرع له أن يسلم عليه صلى الله عليه وسلم ويسلم على صاحبيه – رضي الله

(١) سورة النساء، الآية ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الجمعة)، برقم: ١١١٥، ومسلم في صحيحه، كتاب (الحج) برقم: ٢٤٧٥.

عنهما - لكن لا يشد الرحال من أجل الزيارة فقط؛ للحديث المتقدم.

وأما ما يتعلق بالاستغفار: فهذا يكون في حياته لا بعد وفاته؛ والدليل على هذا أن الصحابة لم يفعلوا ذلك، وهم أعلم الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وأفقه الناس في دينه؛ ولأنه - عليه السلام - لا يملك ذلك بعد وفاته - عليه السلام - كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))[1].

وأما ما أخبر به عليه الصلاة والسلام أن من صلى عليه تُعْرَض صلاته عليه، فذلك شيء خاص يتعلق بالصلاة عليه، ومن صلى عليه صلى الله عليه بها عشراً، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي)) قيل: يا رسول الله: كيف وقد أرمت؟ - أي بليت - قال: ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء))[2]؛ فهذا حكم خاص بالصلاة عليه.

وفي الحديث الآخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن لله ملائكة سياحين

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الوصية) برقم: ٣٠٨٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب (أول مسند المدنيين – رضي الله عنهم أجمعين -) برقم: ١٥٥٧٥.

يبلغوني عن أمتي السلام))[1]، فهذا شيء خاص للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه يُبلَّغ ذلك.

وأما أن يأتي من ظلم نفسه ليتوب عند القبر ويستغفر عند القبر فهذا لا أصل له، بل هو منكر ولا يجوز، وهو وسيلة للشرك؛ مثل أن يأتي فيسأله الشفاعة أو شفاء المريض، أو النصر على الأعداء، أو نحو ذلك، أو يسأله أن يدعو له، فهذا لا يجوز؛ لأن هذا ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولا من خصائص غيره، فكل من مات لا يدعى ولا يطلب منه الشفاعة؛ لا النبي ولا غيره، وإنما الشفاعة تطلب منه في حياته، فيقال: يا رسول الله اشفع لي أن يغفر الله لي، اشفع لي أن يشفي الله مريضي، أو أن يرد غائبي، وأن يعطيني كذا وكذا.

وهكذا يوم القيامة بعد البعث والنشور؛ فإن المؤمنين يأتون آدم ليشفع لهم إلى الله حتى يُقضَى بينهم فيعتذر، ويحيلهم إلى نوح، فيأتونه فيعتذر، ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم فيعتذر، فيحيلهم إبراهيم إلى موسى فيعتذر، ثم يحيلهم موسى على عيسى فيعتذر – عليهم جميعاً الصلاة والسلام - ثم يحيلهم عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فيأتونه، فيقول عليه الصلاة والسلام: ((أنا لها، أنا لها))، فيتقدم، ويسجد تحت العرش

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة)، برقم: ٣٤٨٤.

ويحمد ربه بمحامد عظيمة يفتحها الله عليه، ثم يقال له: ((ارفع رأسك، وقل تُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشَفّع))[١]، فيشفع صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف حتى يُقضَى بينهم.

وهكذا يشفع في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم موجود؛ أما في البرزخ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا يسأل الشفاعة، ولا يسأل شفاء المريض، ولا رد الغائب، ولا غير ذلك من الأمور. وهكذا بقية الأموات لا يُسألون شيئاً من هذه الأمور، بل يُدعى لهم ويُستغفر لهم إذا كانوا مسلمين، وإنما تطلب هذه الأمور من الله سبحانه مثل أن يقول المسلم: اللهم شفع فيَّ نبيك عليه الصلاة والسلام اللهم اشف مريضي، اللهم انصرني على عدوي، ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢]، ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٣]. الآية.

أما قوله – تعالى -: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[٤]. الآية، فهي عامة على ظاهرها، فلا يجوز للمسلمين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (تفسير القرآن)، برقم: ٤١١٦، ومسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، برقم: ٢٨٦.

(٢) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

أن يخرجوا عن شريعة الله، بل يجب عليهم أن يحكموا شرع الله في كل شيء، فيما يتعلق بالعبادات، وفيما يتعلق بالمعاملات، وفي جميع الشئون الدينية والدنيوية؛ لكونها تعم الجميع، ولأن الله سبحانه يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١]، ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[٢]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤].

فهذه الآيات عامة لجميع الشؤون التي يتنازع فيها الناس ويختلفون فيها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾؛ يعني الناس من المسلمين وغيرهم ﴿حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ﴾؛ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بتحكيمه صلى الله عليه وسلم حال حياته، وتحكيم سنته بعد وفاته.

فالتحكيم لسنته هو التحكيم لما أنزل من القرآن والسنة ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: فيما تنازعوا فيه، هذا هو الواجب عليهم: أن يحكموا القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم في حياته

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٥.

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٧.

وبعد وفاته باتباع سنته؛ التي هي بيان القرآن الكريم، وتفسير له، ودلالة على معانيه. أما قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ فمعناه: أنه يجب أن تنشرح صدورهم لحكمه صلى الله عليه وسلم وألا يبقى في صدورهم حرج مما قضى بحكمه عليه الصلاة والسلام؛ لأن حكمه هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو حكم الله - عز وجل - فالواجب التسليم له، وانشراح الصدر بذلك وعدم الحرج، بل عليهم أن يسلموا لذلك تسليماً كاملاً؛ رضا بحكم الله واطمئناناً إليه. هذا هو الواجب على جميع المسلمين فيما شجر بينهم من دعاوى وخصومات؛ سواء كانت متعلقة بالعبادات أو بالأموال أو بالأنكحة أو الطلاق، أو بغيرها من شؤونهم.

وهذا الإيمان المنفي هو أصل الإيمان بالله ورسوله؛ بالنسبة إلى تحكيم الشريعة والرضا بها، والإيمان بأنها الحكم بين الناس، فلابد من هذا، فمن زعم أنه يجوز الحكم بغيرها، أو قال: إنه يجوز أن يتحاكم الناس إلى الآباء أو إلى الأجداد، أو إلى القوانين الوضعية التي وضعها الرجال - سواء كانت شرقية أو غربية - فمن زعم أن هذا يجوز فإن الإيمان منتف عنه، ويكون بذلك كافراً كفراً أكبر، فمن رأى أن شرع الله لا يجب تحكيمه، ولكن لو حكم كان

أفضل، أو رأى أن القانون أفضل، أو رأى أن القانون يساوي حكم الله، فهو مرتد عن الإسلام، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يقول: إن الشرع أفضل، ولكن لا مانع من تحكيم غير الشرع.

النوع الثاني: أن يقول: إن الشرع والقانون سواء، ولا فرق.

النوع الثالث: أن يقول: إن القانون أفضل وأولى من الشرع، وهذا أقبح الثلاثة، وكلها كفر وردة عن الإسلام.

أما الذي يرى أن الواجب تحكيم شرع الله، وأنه لا يجوز تحكيم القوانين ولا غيرها مما يخالف شرع الله، ولكنه قد يحكم بغير ما أنزل الله؛ لهوىً في نفسه ضد المحكوم عليه، أو لرشوة، أو لأمور سياسية، أو ما أشبه ذلك من الأسباب، وهو يعلم أنه ظالم ومخطئ ومخالف للشرع، فهذا يكون ناقص الإيمان، وقد انتفى في حقه كمال الإيمان الواجب، وهو بذلك يكون كافراً كفراً أصغر، وظالماً ظلماً أصغر، وفاسقاً فسقاً أصغر، كما صح معنى ذلك عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ومجاهد وجماعة من السلف – رحمهم الله - وهو قول أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن سلك سبيلهم. والله المستعان.

٦٨- الجمع بين قوله تعالى :﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[١] وقوله تعالى:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا..﴾[٢]

س: قال - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[٣]، وقال – تعالى -: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية. أرجو من فضيلة الشيخ أن يذكر الجمع بين الآيتين الكريمتين.

ج: ليس هناك بحمد الله بينهما اختلاف، فالآية الأولى: فيها بيانه سبحانه لعباده أن ما دون الشرك تحت مشيئته قد يغفره؛ فضلاً منه سبحانه وقد يعاقب من مات على معصية بقدر معصيته؛ لانتهاكه حرمات الله، ولتعاطيه ما يوجب غضب الله، أما المشرك فإنه لا يغفر له، بل له النار مخلداً فيها أبد الآباد إذا مات على ذلك – نعوذ بالله من ذلك -.

---

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ١١، ونشر في المجموع، ج٩ ص ٣٨٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٨.

وأما الاية الثانية: ففيها الوعيد لمن قتل نفساً بغير حق، وأنه يُعذب، وأن الله يغضب عليه بذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١]؛ معنى ذلك: أن هذا هو جزاؤه إن جازاه سبحانه وهو مستحق لذلك، وإن عفا سبحانه فهو أهل العفو وأهل المغفرة - جل وعلا - وقد يعذب بما ذكر الله مدة من الزمن في النار، ثم يخرجه الله من النار.

وهذا الخلود خلود مؤقت، ليس كخلود الكفار؛ فإن الخلود خلودان:

خلود دائم أبداً لا ينتهي، وهذا خلود الكفار في النار، كما قال سبحانه في شأنهم: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٢]، هكذا في سورة (البقرة)، وقال في سورة (المائدة): ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[٣]. أما العصاة؛ كقاتل النفس بغير حق، والزاني، والعاق لوالديه، وآكل الربا، وشارب المسكر: إذا ماتوا على هذه المعاصي وهم مسلمون، وهكذا

(١) سورة النساء، الآية ٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٧.
(٣) سورة المائدة، الآية ٣٧.

أشباههم، هم تحت مشيئة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1]، فإن شاء - جل وعلا - عفا عنهم لأعمالهم الصالحة التي ماتوا عليها، وهي: توحيده وإخلاصهم لله، وكونهم مسلمين، أو بشفاعة الشفعاء فيهم مع توحيدهم وإخلاصهم.

وقد يعاقبهم سبحانه ولا يحصل لهم عفو، فيعاقبون بإدخالهم النار، وتعذيبهم فيها على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها، كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه يشفع للعصاة من أمته، وأن الله يحد له حداً في ذلك عدة مرات؛ يشفع ويخرج جماعة بإذن الله، ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع عليه الصلاة والسلام **(أربع مرات)**، وهكذا الملائكة، وهكذا المؤمنون، وهكذا الأفراط كلهم يشفعون، ويخرج الله سبحانه من النار بشفعاتهم من شاء سبحانه وتعالى ويبقى في النار بقية من العصاة من أهل التوحيد والإسلام، فيخرجهم الرب سبحانه بفضله ورحمته بدون شفاعة أحد، ولا يبقى في النار إلا من حكم عليه القرآن بالخلود الأبدي؛ وهم الكفار.

وبهذا تعلم السائلة الجمع بين الآيتين وما جاء في معناهما من النصوص، وأن أحاديث الوعد بالجنة لمن مات على الإسلام

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

على عمومها، إلا من أراد الله تعذيبه بمعصيته؛ فهو سبحانه الحكيم العدل في ذلك؛ يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد - جل وعلا -.

ومنهم من لا يعذب فضلاً من الله لأسباب كثيرة؛ من أعمال صالحة، ومن شفاعة الشفعاء، وفوق ذلك رحمته وفضله سبحانه وتعالى لمن بقي في النار من العصاة.

٦٩- تفسير قوله تعالى:
﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ﴾[١]

س: قال الله – تعالى -: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّـــهُ﴾ [٢]. هل معنى هذا أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بكتاب الله، ولا يجتهد رأيه فيما لم يترل عليه كتاب؟ وهل اجتهد رســـول الله صلى الله عليه وسلم؟

ج: الله - جل وعلا - أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بين الناس بما أنزل الله عليه، قال سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم

(١) (نور على الدرب)، شريط: ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٥.

بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ﴾[1]، فكان يحكم بما أنزل الله.

فإذا لم يكن هناك نص عنده، اجتهد عليه الصلاة والسلام وحكم بما عنده من الأدلة الشرعية، كما قال في الحديث الصحيح: ((إنكم تختصمون إليّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار؛ فليحملها أو يذرها))[2]. متفق على صحته من حديث أم سلمة – رضي الله عنها - ومعنى هذا أنه قد يجتهد في الحكم حسب القواعد الشرعية؛ لأنه لم ينزل عليه فيه شيء، فمن عرف أن الحكم ليس بمطابق وأن الشهود زور، فقد أخذ قطعة من النار.

فليحذر ذلك وليتق الله في نفسه، ولو كان الرسول هو الحاكم عليه؛ لأن الحاكم ليس له إلا الظاهر من ثقة الشهود وعدالتهم، أو يمين المدعى عليه، فإذا كان المدعي أحضر شهوداً يعلم أنهم قد غلطوا - ولو كانوا تقاة - وأن الحق ليس له، أو يعلم أنهم شهود زور، ولكن القاضي اعتبرهم عدولاً؛ لأنهم عدلوا عنده، وزكوا لديه، فإن هذا المال الذي يحكم به له أو القصاص كله باطل بالنسبة إليه؛ لعلمه ببطلانه، وهو قد تعدى حدود الله

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الأقضية)، برقم: ٢٣٣٢.

وظلم - وإن حكم له القاضي -؛ لأن القاضي ليس له إلا الظاهر؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار)).

والنبي صلى الله عليه وسلم يحكم بما أنزل الله فيما أوصاه الله إليه، وما لم يكن فيه نص اجتهد فيه عليه الصلاة والسلام حتى تتأسى به الأمة، وهو في ذلك كله يعتبر حاكماً بما أنزل الله؛ لكونه حكم بالقواعد الشرعية التي أمر الله أن يحكم بها، ولهذا قال للزبير بن العوام – رضي الله عنه – لما ادعى على شخص في أرض: ((شاهداك أو يمينه"، فقال الزبير: إذاً يحلف يا رسول الله ولا يبالي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس لك إلا ذلك)) متفق عليه. ولما بعث معاذاً وفداً إلى اليمن قال له: ((إن عرض لك قضاء فبم تحكم؟))، قال: أحكم بكتاب الله، قال: ((فإن لم تجد؟))، قال: فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((فإن لم تجد؟))، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضربه صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله))[1] رواه الإمام أحمد وجماعة بإسناد حسن.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب (الأقضية)، برقم: ٣١١٩، وأحمد في (مسند الأنصار – رضي الله عنهم -)، برقم: ٢١٠٠٠، ٢١٠٨٤.

٧٠ - شرح معنى قوله تعالى:
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[١]

س: لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. ما المقصود بالمنافقين والنفاق في هذه الآية الكريمة، وأرجو أن تتفضلوا بإيضاح المعنى؟

ج: المراد بالمنافقين هم: الذين يتظاهرون بالإسلام وهم على غير الإسلام، يدعون أنهم مسلمون، وهم في الباطن يكفرون بالله ويكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام هؤلاء هم المنافقون.

سموا منافقين؛ لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، كما في قوله - عز وجل -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وريب- ﴿فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٢]. والآيات بعدها في سورة (البقرة).

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٨ – ١٠.

هؤلاء هم المنافقون، وهم يكفرون بالله ويكذبون رسله في قوله - جل وعلا -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً. مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء﴾[1].

والمعنى: أنهم مترددون بين الكفار والمسلمين؛ تارة مع الكفار إذا ظهر الكفر وانتصروا، وتارة مع المؤمنين إن ظهروا وانتصروا، فليس عندهم ثبات ولا دين مستقيم ولا إيمان ثابت، بل هم مذبذبون بين الكفر والإيمان، وبين الكفار والمسلمين.

وقد صرح الله بكفرهم في قوله - تعالى-: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ. فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[2].

هؤلاء هم المنافقون - نسأل الله العافية والسلامة -.

---

(١) سورة النساء، الآيتان ١٤٢، ١٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ٥٤، ٥٥.

٧١ - تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ﴾

س: ما معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١].

ج: هذه الآية العظيمة يحذر الله فيها سبحانه عباده من الأمن من مكره، فيقول سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

المقصود من هذا: تحذير العباد من الأمن من مكره؛ بالإقامة على معاصيه، والتهاون بحقه، والمراد من مكر الله به: كونه يملي لهم، ويزيدهم من النعم والخيرات وهم مقيمون على معاصيه وخلاف أمره، فهم جديرون بأن يؤخذوا على غفلتهم ويعاقبوا على غرهم؛ بسبب إقامتهم على معاصيه، وأمنهم من عقابه وغضبه، كما قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٩٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٨٢، ١٨٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١١٠.

عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]؛ أي: آيسون من كل خير.

فالواجب على المسلمين ألا يقنطوا من رحمة الله، ولا يأمنوا من مكره وعقوبته، بل يجب على كل مسلم أن يسير إلى الله سبحانه في هذه الدنيا - الدار الفانية – بين الخوف والرجاء، فيذكر عظمته وشدة عقابه إذا خالف أمره، فيخافه ويخشى عقابه، ويذكر رحمته وعفوه ومغفرته وجوده وكرمه، فيحسن به الظن، ويرجو كرمه وعفوه. والله الموفق سبحانه لا إله غيره، ولا رب سواه.

٧٢ - تفسير قوله تعالى: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾

س: سائل يسأل عن تفسير قوله – تعالى -: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ج: هذه الآية نزلت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى بعض

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ١.

المشركين عهداً معلوماً، وبعضهم بينه وبينهم عهد مطلق، وبعضهم لا عهد له، فأنزل الله هذه الآية فيها البراءة من المشركين، وفيها نبذ العهود إليهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[1]. الآية.

فالله سبحانه أمر رسوله أن يتبرأ منهم، ومن كان له عهد فهو إلى مدته، ومن كان عهده مطلق أو لا عهد له، جعله الله له أربعة أشهر.

وبعث الصديق – رضي الله عنه - وعلياً – رضي الله عنه – ومن معهما في عام تسع من الهجرة ينادون في الموسم: من كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد أو له عهد مطلق، فله أربعة أشهر، بعدها يكون حرباً للرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يدخلوا في الإسلام.

هذا هو معنى الآية عند أهل العلم.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ١، ٢.

٧٣- تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

س: سائل يسأل عن: تفسير الآية الرابعة من سورة (التوبة): ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1]؟[2]

ج: الذين لهم عهد، أمر الله رسوله أن يتم عهدهم لهم، ما لم يغيروا أو ينقضوا العهد، أو يظاهروا أعداءَ المسلمين، فإن ظاهروهم وجب قتالهم، وإن نقضوا العهد فكذلك.

ولذلك لما ساعدت قريش بني بكر على خزاعة، انتقض عهد قريش وبني بكر، وحاربهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، ودخل مكة وفتحها عنوة عام ثمان من الهجرة؛ لنقضهم العهد؛ لأن خزاعة كانت في حلف النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنو بكر في حلف قريش وعهدهم، فهجدت بنو بكر خزاعة؛ يعني: تعدَّت عليهم، وأتوهم بغتة — أي: فجاءة — وقاتلوهم وهم في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنجدوا بالرسول - صلى الله عليه

(١) سورة التوبة، الآية ٤.

(٢) نشر في هذا المجموع ج٨ ص ٢٩٠.

وسلم - وطلبوا منه أن ينصرهم ووعدهم النصر، وكانت قريش قد ساعدتهم بالمال والسلاح؛ فلهذا غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وفتح الله عليه مكة؛ لنقضهم العهد، وكان قد عاهدهم عشر سنين، فلما نقضوا العهد بمساعدتهم بني بكر انتقض عهدهم، وغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وفتح الله عليه.

٧٤- تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ﴾

س: من الآية رقم: ٧٦ إلى الآية: ٧٨ من سورة (التوبة)، إن أمكن تفسير مُركّز للآيات، وهل ينطبق ذلك على عبد قد عاهد الله على ترك معصية ما، وأغلظ في القول بأن يسخط الله ويغضب عليه إن هو عاد إليها؟

ج: الآيات المشار إليها، وهي قوله – تعالى - في حق المنافقين: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ. أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ

وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[1]، هي دالة على أن من عاهد الله أن يفعل شيئاً ثم أخلف عهده، أنه بذلك قد تخلق بأخلاق المنافقين، وأنه على خطر عظيم من أن يعاقب بالنفاق في قلبه؛ جزاء له على إخلافه الوعد وكذبه.

وهو سبحانه بذلك يحذر عباده من أخلاق المنافقين، ويحثهم سبحانه على الصدق والوفاء بالعهود، ويوضح لهم سبحانه أنه يعلم سرهم ونجواهم، ولا يخفى عليه شيء من شئوهم.

وهذا لا يمنع التوبة؛ فمن تاب إلى الله سبحانه توبة نصوحاً تاب الله عليه من جميع الذنوب - سواء كانت كفراً أو نفاقاً أو دونهما - كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2]، وقال - عز وجل -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة، الآيات ٧٦ - ٧٨.
(٢) سورة طه، الآية ٨٢.
(٣) سورة النور، الآية ٣١.
(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين.

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))[1]، وصح أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها))[2].

٧٥- تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

س: يقول بعض الزملاء: من لم يدخل في الإسلام يعتبر حراً لا يكره على الإسلام، ويستدل بقوله – تعالى -: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقوله – تعالى -: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي

(١) أخرجه ابن ماجة برقم: ٤٢٤٠، كتاب (الزهد)، باب (ذكر التوبة).

(٢) أخرجه الإمام أحمد برقم: ١٧١٤٥، كتاب (مسند الشاميين)، بلفظ: " **إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها** ".

(٣) سورة يونس، الآية ٩٩.

الدِّينِ﴾[1]، فما رأي سماحتكم في هذا؟[2]

ج: هاتان الآيتان الكريمتان والآيات الأخرى التي في معناهما، بَيّن العلماء أنها في حق من تؤخذ منهم الجزية؛ كاليهود والنصارى والمجوس، لا يكرهون، بل يخيرون بين الإسلام وبين بذل الجزية.

وقال آخرون من أهل العلم: إنها كانت في أول الأمر ثم نسخت بأمر الله سبحانه بالقتال والجهاد، فمن أبى الدخول في الإسلام وجب جهاده - مع القدرة - حتى يدخل في الإسلام، أو يؤدي الجزية إن كان من أهلها.

فالواجب: إلزام الكفار بالإسلام إذا كانوا لا يؤخذ منهم الجزية؛ لأن إسلامهم فيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فإلزام الإنسان بالحق الذي فيه الهدى والسعادة خير له من الباطل، كما يُلزم الإنسان بالحق الذي عليه لبني آدم ولو بالسجن أو بالضرب، فإلزام الكفار بتوحيد الله والدخول في دين الإسلام أولى وأوجب؛ لأن فيه سعادتهم في العاجل والآجل. إلا إذا كانوا من أهل الكتاب؛ كاليهود والنصارى أو المجوس، فهذه الطوائف الثلاث جاء الشرع بأنهم يخيرون؛ فإما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وذهب بعض أهل العلم: إلى إلحاق غيرهم بهم في التخيير بين الإسلام والجزية،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) من برنامج (نور على الدرب).

والأرجح: أنه لا يلحق بهم غيرهم، بل هؤلاء الطوائف الثلاث هم الذين يخيرون؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل الكفار في الجزيرة و لم يقبل منهم إلا الإسلام، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، و لم يقل: أو أدوا الجزية.

فاليهود والنصارى والمجوس يطالبون بالإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا وجب على أهل الإسلام قتالهم - إن استطاعوا ذلك - يقول - عز وجل -: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2].

ولما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الجزية من المجوس، و لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه – رضي الله عنهم – أنهم أخذوا الجزية من غير الطوائف الثلاث المذكورة، والأصل في هذا قوله - تعالى-: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وهذه الآية تسمى (آية السيف)، وهي وأمثالها هي الناسخة للآيات التي فيها عدم الإكراه على الإسلام. والله الموفق.

٧٦- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾

س: الأخ / إ. ع. ز. من بانياس الساحل في سوريا، يقول في سؤاله: قال الله – تعالى -: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾[(٢)]، وهذا يعني أنه سبحانه ألزم نفسه بنفسه إطعام كل ما يدب على هذه الأرض من إنسان أو حيوان أو حشرات إلخ، فبماذا نفسر المجاعة التي تجتاح بلدان قارة أفريقيا؟ [(٣)]

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

(٢) سورة هود، الآية ٦.

(٣) السؤال من الأخ / إ. ع. ز. من سوريا، ونشر في هذا المجموع، ج٦ ص١٩٦، وفي (المجلة العربية).

ج: الآية على ظاهرها، وما يقدر الله سبحانه من الكوارث والمجاعات لا تضر إلا من تم أجله وانقطع رزقه، أما من كان قد بقي له حياة أو رزق، فإن الله يسوق له رزقه من طرق كثيرة قد يعلمها وقد لا يعلمها؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾[2]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها))[3].

وقد يعاقب الإنسان بالفقر وحرمان الرزق؛ لأسباب فعلها من: كسل وتعطيل للأسباب التي يقدر عليها، أو لفعله المعاصي التي نهاه الله عنها، كما قال سبحانه: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[4]. الآية، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[5]. الآية.

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن العبد

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

(٣) أخرجه الإمام مالك في (الموطأ)، كتاب (الجامع)، باب: (ما جاء في أهل القدر).

(٤) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٥) سورة الشورى، الآية ٣٠.

ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))[١]. رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة بإسناد جيد.

وقد يبتلى العبد بالفقر والمرض وغيرهما من المصائب لاختبار شكره وصبره؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣]، والمراد بالحسنات في هذه الآية: النعم، وبالسيئات: المصائب.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خير له، وإن أصابته سراء شكر فكان خير له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن))[٤]. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه أحمد في (باقي مسند الأنصار)، من حديث ثوبان – رضي الله عنه – برقم: ٢١٣٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ١٥٥، ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الزهد والرقائق)، باب (أمره كله خير)، برقم: ٥٣١٨.

٧٧- تفسير الآيات
١٠٦- ١٠٨ من سورة (هود)

س: أرجو شرح معنى هذه الآيات، وبيان القول الراجح في تفسيرها، يقول الله – تعالى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1]. هل يفهم من هذا: أن من دخل الجنة يخرج منها إذا شاء الله؟ وهل نُسِخَت هاتان الآيتان بشيء من القرآن؛ إذ أنهما وردتا في سورة مكية؟[2]

ج: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فالآيتان ليستا منسوختين، بل هما محكمتان.

وقوله - جل وعلا -: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ اختلف أهل العلم في بيان معنى ذلك، مع إجماعهم بأن نعيم أهل الجنة دائم أبداً؛ لا ينقضي ولا يزول، ولا يخرجون منها؛ ولهذا قال بعده

(١) سورة هود، الآيات ١٠٦ – ١٠٨.

(٢) من برنامج (نور على الدرب) رقم الشريط: ٢٢، ونشر في هذا المجموع، ج٤ ص٣٦١.

سبحانه: ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذ﴾؛ لإزالة ما قد يتوهم بعض الناس أن هناك خروجاً؛ فهم خالدون فيها أبداً، وأن هذا العطاء غير مجذوذ؛ أي: غير مقطوع. ولهذا في الآيات الأخرى يبين هذا المعنى، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾(١)؛ فبين سبحانه أنهم آمنون – أي آمنون من الموت، وآمنون من الخروج، وآمنون من الأمراض والأحزان وكل كدر – ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ. لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(٢)، فبين سبحانه أنهم فيها دائمون لا يخرجون.

وقال - عز وجل -: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ.فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ. كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ. يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ. لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٣).
فأخبر سبحانه أن أهل الجنة في مقام أمين؛ لا يعترضهم خوف ولا زوال نعمة، وأنهم آمنون أيضاً؛ فلا خطر عليهم من موت ولا مرض ولا خروج منها

(١)سورة الحجر، الآيتان ٤٥، ٤٦.
(٢) سورة الحجر، الآيتان ٤٧، ٤٨.
(٣) سورة الدخان، الآيتان ٥١، ٥٧.

ولا حزن، ولا غير ذلك من المكدرات، وأنهم لا يموتون أبداً، ومعنى ذلك أن أهل الجنة يخلدون فيها أبد الآباد.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾[1] قال بعض أهل العلم: معناه: مدة بقائهم بالقبور، وإن كان المؤمن في روضةٍ من رياضها ونعيم من نعيمها، لكن ذلك ليس هو الجنة، ولكن هو شيء من الجنة، فيفتح على المؤمن في قبره بابٌ إلى الجنة، يأتيه من ريحها وطيبها ونعيمها، ولكنه ليس المحل الجنة، بل يُنقل إليها بعد ذلك إلى الجنة فوق السموات في أعلى شيء.

وقال بعضهم: معنى: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾؛ أي: مدة مقامهم في موقف القيامة للحساب والجزاء بعد خروجهم من القبور، ثم ينقلون بعد ذلك إلى الجنة. وقال بعضهم: المراد جمع الأمرين؛ مدة مقامهم في القبور، ومدة مقامهم في الموقف ومرورهم على الصراط، كل هذه الأوقات هم فيها ليسوا في الجنة، لكن ينقلون منها إلى الجنة.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ يعني: إلا وقت مقامهم في القبور، وإلا وقت مقامهم في الموقف، وإلا وقت مرورهم على الصراط، فهم في هذه الحالة ليسوا في الجنة، ولكنهم منقولون إليها، وسائرون إليها.

وبهذا يُعلم أن الأمر واضح، ليس فيه شبهة ولا شك ولا ريب – فالحمد لله -.

---

(١) سورة هود، الآية ١٠٨.

فأهل الجنة ينعمون فيها وخالدون أبد الآباد؛ لا موت ولا مرض، ولا خروج، ولا كدر، ولا حزن، ولا حيض، ولا نفاس، ولا شيء من الأذى أبداً، بل في نعيم دائم وخير دائم.

وهكذا أهل النار مخلدون فيها أبد الآباد، ولا يخرجون منها، ولا تخرب أيضاً هي، بل تبقى وهم باقون فيها.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ قيل: مدة مقامهم في المقابر، أو مدة مقامهم في الموقف - كما تقدم في أهل الجنة - وهم بعد ذلك يساقون إلى النار، ويخلدون فيها أبد الآباد — ونسأل الله العافية - وكما قال - عز وجل - في سورة (البقرة): ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[1]، وقال - عز وجل - في سورة (المائدة) في حق الكفرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2].

وقال بعض السلف: إن النار لها أمد ولها نهاية، بعدما يمضي عليها آلاف السنين والأحقاب الكثيرة، وأنهم يموتون أو يخرجون منها.

وهذا قول ليس بشيء عند جمهور أهل السنة والجماعة، بل هو باطل؛ ترده الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٧.

– كما تقدم -. وقد استقر قول أهل السنة والجماعة: أنها باقية أبد الآباد، وأنهم لا يخرجون منها، وأنها لا تخرب أيضاً، بل هي باقية أبد الآباد في ظاهر القران الكريم، وظاهر السنة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام ومن الأدلة على ذلك - مع ما تقدم - قوله سبحانه في شأن النار: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[1]، وقوله سبحانه في سورة (النبأ) يخاطب أهل النار: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[2]. نسأل الله السلامة والعافية منها ومن حال أهلها.

٧٨- تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾

س: يقول الله – تعالى -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [3]، فما معنى الآية؟ وما المراد بالشرك في الآية الكريمة؟ [4]

(١) سورة الإسراء، الآية ٩٧.
(٢) سورة النبأ، الآية ٣٠.
(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٦.
(٤) نشر في مجلة (الدعوة)، في العدد: ١٤٨٣، بتاريخ ١٥/١٠/١٤١٥هـ.

ج: قد أوضح العلماء معناها؛ كابن عباس وغيره.

وإن معناها: أن المشركين إذا سئلوا عمن خلق السموات والأرض ومن خلقهم: يقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون الأصنام والأوثان؛ كاللات والعزى ونحوهما، ويستغيثون بها، وينذرون ويذبحون لها.

فإيمانهم هذا هو: توحيد الربوبية، ويبطل ويفسد بشركهم بالله — تعالى - ولا ينفعهم؛ فأبو جهل وأشباهه يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم، وخالق السماوات والأرض، ولكن لم ينفعهم هذا الإيمان؛ لأنهم أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان.

هذا هو معنى الآية عند أهل العلم.

٧٩- تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(١)

س: ما تفسير قول الحق - تبارك وتعالى - في سورة (الرعد): ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٢)؟

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) من برنامج (نور على الدرب)، الشريط: الثالث عشر، ونشر في هذا المجموع، ج٩، ص: ٢٩٧.

ج: الآية الكريمة آية عظيمة، تدل على أن الله - تبارك وتعالى- بكمال عدله وكمال حكمته، لا يُغير ما بقوم - من خير إلى شر ومن شر إلى خير، ومن رخاء إلى شدة ومن شدة إلى رخاء - حتى يغيروا ما بأنفسهم.

فإذا كانوا في صلاح واستقامة وغيروا، غير الله عليهم بالعقوبات والنكبات والشدائد والجدب والقحط والتفرق، وغير هذا من أنواع العقوبات جزاءً وفاقاً، قال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١).

وقد يمهلهم سبحانه ويملي لهم، ويستدرجهم لعلهم يرجعون، ثم يؤخذون على غرة؛ كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(٢)؛ يعني: آيسون من كل خير - نعوذ بالله من عذاب الله ونقمته. وقد يؤجلون إلى يوم القيامة فيكون عذابهم أشد، كما قال سبحانه ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾(٣)، والمعنى: أنهم يؤجلون ويمهلون إلى ما بعد الموت، فيكون ذلك أعظم في العقوبة وأشد نقمة.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

وقد يكونون في شر وبلاء ومعاصٍ، ثم يتوبون إلى الله ويرجعون إليه ويندمون ويستقيمون على الطاعة فيغير الله ماهم؛ من بؤس وفرقة ومن شدة وفقر، إلى رخاء ونعمة واجتماع كلمة وصلاح حال؛ بأسباب أعمالهم الطيبة، وتوبتهم إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في الآية الأخرى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. فهذه الآية تبين لنا أنهم إذا كانوا في نعمة ورخاء وخير ثم غيروا بالمعاصي، غير عليهم – ولا حول ولا قوة إلا بالله – وقد يمهلون - كما تقدم -.

والعكس كذلك؛ إذا كانوا في سوء ومعاص أو كفر وضلال، ثم تابوا وندموا واستقاموا على طاعة الله، غير الله حالهم من الحالة السيئة إلى الحالة الحسنة، وغير تفرقهم إلى اجتماع ووئام، وغير شدتهم إلى نعمة وعافية ورخاء، وغير حالهم من جدب وقحط وقلة مياه ونحو ذلك، إلى إنزال الغيث ونبات الأرض، وغير ذلك من أنواع الخير.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1] وبين أن القوم لا يستطيعون أن يغيروا ما كتب لهم؟

س: ما هو تفسير قوله – تعالى -:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؟ وتقول السائلة: مع أن الله هو الذي خلق الأنفس وهو الذي يتحكم بتغييرها، فكيف يستطيع القوم أن يغيروا ما بأنفسهم، ويغيروا ما كتب عليهم؟ أرجو التفضل بالشرح الوافي حول هذا الموضوع - وجزاكم الله خيراً -.[2]

ج: الله سبحانه هو مدبر الأمور، وهو مصرف العباد كما يشاء - سبحانه وتعالى- وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهو سبحانه قد شرح لعباده الأسباب التي تقربهم منه، وتسبب رحمته وإحسانه إليهم، ونهاهم عن الأسباب التي تسبب غضبه عليهم وبعدهم منه، وحلول العقوبات بهم، وهم مع ذلك لا يخرجون عن قدره؛ بفعل الأسباب التي شرعها لهم، والتي نهاهم عنها، وهم بذلك لا يخرجون عن قدره - سبحانه-. فالله أعطاهم عقولاً، وأعطاهم

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) السؤال من (برنامج نور على الدرب).

أدوات، وأعطاهم أسباباً يستطيعون بها أن يتحكموا فيما يريدون؛ من جلب خير أو دفع شر، وهم بهذا لا يخرجون عن مشيئته كما قال - تعالى -: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا، قالوا له: يا رسول الله: إن كان ما نفعله قد كتب علينا وفرغ منه، ففيم العمل؟ قال عليه الصلاة والسلام: ((اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له))[٢].

أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا عليه الصلاة والسلام قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[٣].

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[٤].

---

(١) سورة التكوير، الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (التوحيد)، باب (قول الله – تعالى -: (ولقد يسرنا القرآن للذكر)، برقم: ٦٩٩٦، ومسلم في كتاب (القدر)، باب (كيفية خلق الآدمي)، برقم: ٤٧٨٧.

(٣) سورة الليل، الآيات ٥ – ١٠.

(٤) سورة الرعد، الآية ١١.

فأمره نافذ سبحانه وتعالى لكنه - جل وعلا - يغير ما بالناس إذا غيروا، فإذا كانوا على طاعة واستقامة ثم غيروا إلى المعاصي، غيرَّ الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلى غير ذلك.

وقد يملي لهم سبحانه ويتركهم على حالهم استدراجاً، ثم يأخذهم على غرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - كما قال - تعالى-: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٢].

فالواجب الحذر، وعلى المؤمن أن يتقي الله، ويسعى في الحق وأن يستقيم عليه، وألا يحيد عنه إلى الباطل؛ فإنه متى حار عنه إلى الباطل، فقد تعرض لغضب الله؛ أن يغير قلبه، وأن يغير ما به من نعمة إلى ضدها؛ من جدب وقحط وفقر وحاجة وغير ذلك، وهكذا بعد الصحة إلى المرض، وهكذا بعد الأمن إلى الخوف إلى غير ذلك؛ بأسباب الذنوب والمعاصي.

وهكذا العكس؛ إذا كانوا في معاصٍ وشرور وانحراف، ثم توجهوا إلى الحق، وتابوا إلى الله ورجعوا إليه

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

واستقاموا على دينه، فإن الله يغير ما بهم سبحانه من الخوف والفقر والاختلاف والتشاحن، إلى أمن وعافية واستقامة، إلى رخاء وإلى محبة وإلى تعاون وإلى تقارب؛ فضلاً منه سبحانه ومن هذا قوله – تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. فالعبد عنده أسباب وعنده عمل، وعنده إرادة وعنده مشيئة، ولكنه بذلك لا يخرج عن قدر الله ومشيئته.

فالواجب عليه أن يستعمل ما استطاع في طاعة الله ورسوله، وأن يستقيم على ما أمره الله به، وأن يحذر ما نهى الله عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام وأن يسأل ربه العون والتوفيق، والله سبحانه هو المتفضل وهو الموفق، وهو الهادي - جل وعلا - وله الفضل وله النعمة، وله الإحسان - سبحانه وتعالى - بيده الفضل وبيده توفيق العباد، وبه هدايتهم وبيده إضلالهم، يهدي من يشاء ويضل من يشاء سبحانه.

والخلاصة: أن العبد له أسباب وأعمال، والله أعطاه أدوات يعرف بها الضار والنافع والخير والشر؛ فإذا استعمل عقله وأسبابه في الخير جازاه الله على ذلك بالخير العظيم، وأدر عليه نعمه، وجعله في نعمة وعافية بعدما كان في سوء وشر؛ فإذا تاب إلى الله وأناب واستقام فالله - جل وعلا - بجوده وكرمه يغيّر حاله السيئة إلى

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

حالة حسنة، وهكذا إذا كان العبد على راحة واستقامة وهدى، ثم انحرف وحاد عن الطريق، وتابع الهوى والشيطان، فالله سبحانه قد يعاجله بالعقوبة، وقد يغير عليه - سبحانه وتعالى-؛ فينبغي له أن يحذر وأن لا يغتر بأنعم الله - تعالى- عليه - سبحانه وتعالى-.

٨١- تفسير قوله تعالى:
﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

السؤال: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(١)] على من يعود الضمير في قوله - تعالى-: ﴿وَجَادِلْهُم﴾؟[(٢)]

الجواب: يعود على المدعوين، والمعنى: ادع الناس إلى سبيل ربك، فالضمير في (جادلهم) يعني المدعوين - سواء كانوا مسلمين أو كفار -.

ومثلها قوله – تعالى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(٣)]، وأهل الكتاب هم: الكفرة من اليهود والنصارى

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) نشر في جريدة (الرياض)، العدد: ١٠٩٢٤، في ١٤١٩/١/٢٦هـ.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم؛ فالظالم يعامل بما يستحقه.

٨٢- تفسير قوله تعالى:
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

س: ما تفسير قوله – تعالى -: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟

ج: قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الورود في الآية، بأنه المرور على متن جهنم؛ لأن الصراط منصوب على متنها؛ فالمتقون يمرون وينجيهم الله من شرها، والكافرون يسقطون فيها، والعاصي على خطر من ذلك - نسأل الله العافية - قال الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

(١) سورة مريم، الآيتان ٧١، ٧٢.

٨٣- تفسير قوله تعالى:
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾

س: أريد من سماحتكم تفسير قوله – تعالى -: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]؟[2]

ج: معنى الآية الكريمة عند العلماء: أن الله سبحانه منورها؛ فجميع النور في السموات والأرض ويوم القيامة كان من نوره سبحانه.

والنور نوران: نور مخلوق، وهو ما يوجد في الدنيا والآخرة، وفي الجنة، وبين الناس الآن من نور القمر والشمس والنجوم، وهكذا نور الكهرباء والنار، كله مخلوق، وهو من خلقه سبحانه وتعالى.

أما النور الثاني: فهو غير مخلوق، بل هو من صفاته سبحانه وتعالى والله - سبحانه وبحمده - بجميع صفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق؛ فنور وجهه - عز وجل - ونور ذاته - سبحانه وتعالى- كلاهما غير مخلوق، بل هما صفة من صفاته - جل وعلا -.

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢) أجاب عليه سماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في أحد مساجد مدينة الرياض في ١٤/١١/١٤١٦هـ بعنوان (واجب المسلمين تجاه دينهم).

وهذا النور العظيم له سبحانه وليس مخلوقاً، بل هو صفة من صفاته؛ كسمعه وبصره ويده وقدمه، وغير ذلك من صفاته العظيمة - سبحانه وتعالى-. وهذا هو الحق الذي درج عليه أهل السنة والجماعة.

٨٤- تفسير قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ الآية

س: ما معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾(١)؟

هل المقصود في الآية: أن يفعل الإنسان الكبائر الثلاث ثم يخلد في النار؟ أم المقصود إذا ارتكب إحدى هذه الكبائر يخلد في النار؟ فمثلاً: ارتكب جريمة القتل. هل يخلد في النار أم لا؟ نرجو أن تتفضلوا بالتفسير المفصل لهذه الآية الكريمة؟

(١) سورة الفرقان، الآيتان ٦٨، ٦٩.

ج: هذه الآية العظيمة فيها التحذير من الشرك والقتل والزنا، والوعيد لأصحاب هذه الجرائم بما ذكره الله - سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[1] قال بعض المفسرين: إنه جُب في جهنم، وقال آخرون: معنى ذلك: إنه إثم كبير عظيم، فسره سبحانه بقوله: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[2]، فهذا جزاء من اقترف هذه الجرائم الثلاث؛ أنه يضاعف له العذاب، ويخلد فيه مهاناً لا مكرماً. وهذه الجرائم الثلاث مختلفة في المراتب:

فجريمة الشرك: هي أعظم الجرائم وأعظم الذنوب، وصاحبها مخلد في النار أبد الآباد، لا يخرج من النار أبداً بإجماع أهل العلم، كما قال الله -تعالى- في كتابه العظيم: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [3]، وقال - تعالى-: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [4]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٨.
(٢) سورة الفرقان، الآية ١٧.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، وقال في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2]. والآيات في هذا كثيرة.

فالمشرك إذا مات على شركه و لم يتب، فإنه مخلد في النار، والجنة عليه حرام، والمغفرة عليه حرام بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[4]؛ فجعل المغفرة حراماً على المشرك إذا مات على الشرك، أما ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله.

والخلاصة: أن المشرك إذا مات على شركه فهو مخلد في النار أبد الآباد - بإجماع أهل العلم - وذلك مثل الذي يعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الكواكب أو الشمس أو القمر أو الأنبياء.

أو يعبد الأموات ومن يسموهم بالأولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، أو بعيداً منها. مثل قول بعضهم: يا سيدي

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٨.

فلان: المدد المدد، يا سيدي البدوي: المدد المدد، أو يا سيدي عبد القادر، أو يا سيدي رسول الله: المدد، الغوث الغوث، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب، أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون، وهذا كله من الشرك الأكبر – والعياذ بالله – فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار – والعياذ بالله - والخلود فيها.

أما الجريمة الثانية وهي: القتل، والثالثة وهي: الزنا، فهاتان الجريمتان دون الشرك، وهما أكبر المعاصي وأخطرها، إذا كان من يتعاطهما لم يستحلهما، بل يعلم أنهما محرمتان، ولكن حمله الغضب أو الهوى أو غير ذلك على الإقدام على القتل، وحمله الهوى والشيطان على الزنا، وهو يعلم أن القتل بغير حق محرَّم، وأن الزنا محرم. فأصحاب هاتين الجريمتين متوعدون بالعقوبة المذكورة، إلا ان يعفو الله عنهم، أو منّ عليهم بالتوبة النصوح قبل الموت.

ولعظم هاتين الجريمتين وكثرة ما يحصل بهما من الفساد، قرنهما الله بجريمة الشرك في هذه الآية، وتوعد أهل هذه الجرائم الثلاث بمضاعفة العذاب والخلود فيه؛ تنفيراً منها، وتحذيراً للعباد من عواقبها الوخيمة.

ودلت النصوص الأخرى من الكتاب والسنة، على أن القتل والزنا دون الشرك في حق من لم يستحلهما، وأنهما

داخلان في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[1]، أما من استحلهما فهو كافر؛ حكمه حكم الكفرة في الخلود في العذاب يوم القيامة - نسأل الله العافية -.

أما من تاب من أهل هذه الجرائم الثلاث وغيرها توبةً نصوحاً فإن الله يغفر له، ويبدل سيئاته حسنات إذا أتبع التوبة بالإيمان والعمل الصالح، كما قال سبحانه بعدما ذكر هذه الجرائم الثلاث وعقوبة أصحابها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

فالله سبحانه يغفر لأهل المعاصي التي دون الشرك إذا شاء ذلك، أو يعذبهم في النار على قدر معاصيهم، ثم يخرجهم منها بشفاعة الشفعاء؛ كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة الملائكة والأفراط والمؤمنين.

ويبقى في النار أقوامٌ من أهل التوحيد لا تنالهم الشفاعة من أحد فيخرجهم الله - سبحانه وتعالى- برحمته؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإيمان، ولكن لهم أعمال خبيثة ومعاصٍ دخلوا بها النار، فإذا طهروا منها ومضت المدة التي كتب الله عليهم، أُخرجوا من النار برحمة من الله - عز وجل - ويلقون في نهر يقال له (نهر الحياة) من أنهار الجنة؛ ينبتون فيه كما تنبت

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة.

وبهذا يعلم: أن العاصي كالقاتل والزاني لا يخلد في النار خلود الكفار، بل له خلود خاص على حسب جريمته، لا كخلود الكفار.

فخلود الشرك خلودٌ دائم ليس له منه محيص، وليس له نهاية، كما قال تعالى في سورة (البقرة) في حق المشركين: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾(١)، وقال – تعالى - في سورة (المائدة): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٢). أما من دخل النار من العصاة، فإنهم يخرجون منها إذا تمت المدة التي كتب الله عليهم، وإما بشفاعة الشفعاء، وإما برحمة الله سبحانه وتعالى من دون شفاعة أحد، كما جاء ذلك في أحاديث الشفاعة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فيها أنه يبقى في النار أقوامٌ لم يخرجوا بشفاعة الشفعاء، فيخرجهم سبحانه منها بدون شفاعة أحد؛ لكونهم ماتوا على التوحيد، وخلود من يخلَّد من العصاة في النار خلود مؤقت له نهاية. والعرب تسمي الإقامة

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٣٦، ٣٧.

الطويلة خلوداً، كما قال بعض الشعراء يصف قوماً: "أقاموا فأخلدوا"؛ أي: طولوا الإقامة.

فلا يخلد في النار الخلود الدائم إلا أهلها؛ وهم الكفرة؛ فتطبق عليهم ولا يخرجون منها، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ.عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ. فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[2]، نسأل الله العافية والسلامة.

٨٥-تفسير قوله تعالى: ﴿الم.غُلِبَتِ الرُّومُ﴾

س: ما تفسير هذه الآيات الكريمات، منها: قوله تعالى: ﴿الم.غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[3]. أرجو من فضيلة الشيخ تفسير هذه الآيات الكريمة، ومن هم الروم المذكورون فيها؟

ج: الروم هم: النصارى المعروفون، وكانت الحروب بينهم وبين الفرس سجالاً، تارة يدال هؤلاء على هؤلاء، وتارة هؤلاء على هؤلاء، أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم غُلِبوا؛ غلبتهم الفرس:

---

(١) سورة البلد، الآيتان ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الهمزة، الآيتان ٨، ٩.

(٣) سورة الروم، الآيات ١ – ٣.

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)].

فوقع ذلك، فغلبت الروم الفرس، وكان ذلك أول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حين كان الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة، وكان ذلك من الآيات والدلائل على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله حقاً؛ لوقوع الأمر كما أخبر الله به في كتابه العظيم.

فالله - جل وعلا - هو العالم بالمغيبات، ويخبر نبيه بما يشاء منها سبحانه وتعالى كما أخبره عن الكثير مما يكون في آخر الزمان، كما أخبره فيما مضى من الزمان؛ من أخبار عاد، وثمود، وقوم نوح، وفرعون، وغيرهم، وكما أخبره أيضاً عليه الصلاة والسلام عما يكون يوم القيامة، ومن حال أهل الجنة وأهل النار، إلى غير ذلك.

فهذا من جملة الأخبار الغيبية التي أخبر بها القرآن ووقعت كما أخبر، وكان ذلك من علامة صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرح المسلمون بذلك؛ لأن الروم أقرب إلى المسلمين من الفرس؛ لأنهم أهل كتاب،

---

(١) سورة الروم، الآيتان، ٣، ٤.

والفرس عُبّاد أوثان، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْـرَحُ الْمُؤْمِنُـونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [1]. الآية.

٨٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى..﴾

س: قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [2]. هل المثل يعني الشبيه؟

ج: يعني المثل: الوصف الأعلى من كل الوجوه؛ فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [3]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [4]. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة الروم، الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة الروم، الآية ٢٧.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

(٤) سورة الإخلاص.

٨٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

س: أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

ج: هذه الآية عظيمة، وهي تدل على أن العلماء - وهم العلماء بالله وبدينه، وبكتابه العظيم، وسنة رسوله الكريم - هؤلاء هم أكمل الناس خشية لله، وأكملهم تقوى لله وطاعة له سبحانه وعلى رأسهم الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

فمعنى: (إنما يخشى الله)؛ أي الخشية الكاملة من عباده (العلماء)، وهم الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه سبحانه وتعالى وتبصروا في شريعته، وآمنوا بما عنده من النعيم لمن اتقاه، وما عنده من العذاب لمن عصاه وخالف أمره.

فهم لكمال علمهم بالله، وكمال معرفتهم بالحق، كانوا أشد الناس خشية لله، وأكثر الناس خوفاً من الله؛ وتعظيماً له سبحانه وتعالى.

وليس معنى الآية: أنه لا يخشى الله إلا العلماء، فإن كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة يخشى الله - عز وجل - ويخافه سبحانه لكن الخوف

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨.

متفاوت، ليسوا على حدٍ سواء. فكلما كان المؤمن أعلم بالله وأفقه في دينه، كان خوفه من الله أكثر، وخشيته أكمل، وهكذا المؤمنة؛ كلما كانت أعلم بالله وأعلم بصفاته وعظيم حقه، كان خوفها من الله أعظم، وكانت خشيتها لله أكمل من غيرها، وكلما قلَّ العلم وقلّت البصيرة قلّ الخوف من الله، وقلّت الخشية له سبحانه.

فالناس متفاوتون في هذا، حتى العلماء متفاوتون، فكلما كان العالم أعلم بالله، وكلما كان العالم أقوم بحقه وبدينه، وأعلم بأسمائه وصفاته، كانت خشيته لله أكمل ممن دونه في هذه الصفات، وكلما نقص العلم نقصت الخشية لله.

ولكن جميع المؤمنين والمؤمنات كلهم يخشون الله سبحانه وتعالى على حسب علمهم ودرجاتهم في الإيمان؛ ولهذا يقول - جل وعلا -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[(٣)]. فهم مأجورون

---

(١) سورة البينة، الآيتان ٧، ٨.

(٢) سورة الملك، الآية ١٢.

(٣) سورة الرحمن، الآية ٤٦.

على خشيتهم لله، وإن كانوا غير علماء وكانوا من العامة، لكن كمال الخشية يكون للعلماء؛ لكمال بصيرتهم وكمال علمهم بالله، فتكون خشيتهم لله أعظم. وبهذا يتضح معنى الآية، ويزول ما يتوهم بعض الناس من الإشكال في معناها. والله ولي التوفيق.

٨٨ -تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾ الآية.

س: ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]؟

ج: هذه الآية الكريمة فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر – رضي الله عنه - وهو قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر قال: ((يا أبا ذر: أتدري ما مستقرها؟))، فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) سورة يس، الآيات ٣٨ – ٤٠.

((مستقرها: أنها تسجد تحت عرش ربها - عز وجل - ذاهبة وآية بأمره سبحانه وتعالى))[١]؛ سجوداً الله أعلم بكيفيته سبحانه وتعالى.

وهذه المخلوقات كلها تسجد لله وتسبح له - جل وعلا - تسبيحاً وسجوداً يعلمه سبحانه وإن كنا لا نعلمه ولا نفقهه، كما قال - عز وجل -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾[٣]. الآية.

هذا السجود يليق به، لا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه ومن هذا قوله تعالى في سورة (الرعد): ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[٤].

فالشمس تجري كما أمرها الله؛ تطلع من المشرق وتغيب من المغرب إلى آخر الزمان، فإذا قرب قيام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق)، باب: (صفة الشمس والقمر)، برقم: ٢٩٦٠.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٤.
(٣) سورة الحج، الآية ١٨.
(٤) سورة الرعد، الآية ١٥.

الساعة طلعت من مغربها، وذلك من أشراط الساعة العظمى، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا انتهى هذا العالم وقامت القيامة كُوِّرت، كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[1]، فتُكوّر ويذهب نورها، وتُطرح هي والقمر في جهنم؛ لأنهما قد ذهبت الحاجة إليهما بزوال هذه الدنيا.

والمقصود: أنها تجري لمستقر لها ذاهبة وآيبة، ومستقرها سجودها تحت العرش في سيرها طالعة وغاربة - كما تقدم ذكر ذلك في الحديث الصحيح - ذلك بتقدير العزيز العليم، وهو الذي قدر سبحانه وتعالى لها ذلك.

(العزيز)، ومعناه: المنيع الجناب، الغالب لكل شيء، العليم بأحوال خلقه سبحانه وتعالى. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة التكوير، الآية ١.

٨٩ - تفسير قوله تعالى:
﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ﴾

س: ما تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ﴾[١] من هو المستثنى هنا؟

ج: الله أعلم. وقال بعض أهل العلم: إنهم الملائكة، وقال بعضهم: إنهم الشهداء، والله سبحانه وتعالى هو أعلم بمراده بذلك.

٩٠- تفسير قوله تعالى:
﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:[٢]

فأشير إلى استفتائك المقيد بإدارة البحوث العلمية والإفتاء برقم: ٣١٣٧، في ١٤٠٨/٧/١١هـ، الذي نصه: لقد كنا في حلقة

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٢) صدرت من مكتب سماحته برقم: ٢٨٢٣ / ٢، في ١٤٠٨/٩/١٧هـ.

تفسير في مسجد بمنطقة (الصليبية) في الكويت، وقد تعرض إمام المسجد إلى تفسير قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١) فقال: قيل معناها: منة الله عليهم، وقيل: قوة الله معهم، وقيل: الله عليم بحالهم ونياتهم. فتكلم أحد الشباب من إخواننا في الله بعد الدرس، وقال: تفسيرك هذا ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة، بل هو من كلام الأشاعرة؛ فغضب الإمام وقال: إن هذا موجود في كتاب الماوردي وابن كثير، فرد الشاب وقال: ليس هذا في ابن كثير وإنما هو عند الماوردي الأشعري. فلما رأى العامة الشيخ غضبان غضبوا له، ورمى بعضهم الشاب بكلمة (أنت مسيحي) (أنت بوذي)، وكادوا أن يضربوه لولا أن بعضهم حماه. والله يعلم أن هذا الشاب لم يتكلم إلا غيرة على عقيدة المسلمين، ومن باب أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فأشار الشاب أن يقضي فضيلتكم بينهم، فوافق العوام على ذلك، فأفيدونا، ونحن بانتظار ردكم - وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء -.

الجواب: وأفيدك أن ما نعتقده في إثبات صفة اليد لله - تبارك وتعالى - وغيرها في الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة هو: إثباتها لله - تبارك وتعالى - إثباتاً حقيقياً على ما يليق بجلال الله

(١) سورة الفتح، الآية ١٠.

سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونؤمن بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له، ولا كفؤ له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى.

فكما أن له سبحانه ذاتاً حقيقية لا تشبه ذوات خلقه، فكذلك له صفات حقيقية لا تشبه صفات خلقه، ولا يلزم من إثبات الصفة للخالق سبحانه مشابهتها لصفة المخلوق، وهذا هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم في القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف إلى يومنا هذا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "حكى غير واحد إجماع السلف: أن صفات الباري جل وعلا تجري على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنه، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله؛ فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فنقول: إن لله سبحانه يداً وسمعاً، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ومعنى السمع العلم". ثم استدل رحمه الله على إثبات صفة اليد لله سبحانه من القرآن بقول الله سبحانه: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ**

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[١]، وقال تعالى لإبليس: **﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾**[٢]، وقال سبحانه: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**[٤]، وقال تعالى: **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٥].

ثم قال رحمه الله تعالى: "فالمفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به، ذاتيتين له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيده اليمنى، وأن يديه مبسوطتان، ومعنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء؛ لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدّها، وتركه يكون ضماً لليد على العنق، كما قال تعالى: **﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾**[٦]، وصار من الحقائق العرفية أنه إذا قيل هو مبسوط اليد

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٢) سورة ص، الآية ٧٥.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٤) سورة الملك، الآية ١.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

فهم منه يد حقيقية". وقال رحمه الله تعالى: "إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد لا أصل له في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية".

ثم استدل رحمه الله تعالى على إثبات صفة اليد لله سبحانه من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: ((المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن؛ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوا))[2] رواه مسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة))[3].

---

(١) سورة ص، الآية ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الإمام العادل)، برقم: ٣٤٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (التوحيد)، باب (قوله - تعالى -: ((لما خلقت بيدي))، برقم: ٦٨٦٢، ومسلم في كتاب (الزكاة)، باب: (الحث على النفقة وتبشير المنفق)، برقم: ١٦٥٩.

رواه مسلم. وفي الصحيح - أيضاً - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ أحدكم بيده خبزته في السفر))[1].

وفي الصحيح - أيضاً - عن ابن عمر – رضي الله عنهما – يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يأخذ الرب - عز وجل - سماواته وأرضه بيديه، وجعل يقبض يديه ويبسطهما، ويقول: (أنا الرحمن)[2]، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه، حتى أني أقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟!)) وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] قال: ((يقول الله: أنا الله. أنا الجبار))[4]، وذكره، وفي الصحيح أيضاً عن أبي

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق)، باب (يقبض الله الأرض)، برقم: ٦٠٣٩، ومسلم في كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، باب (نزل أهل الجنة)، برقم: ٥٠٠٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، برقم: ٤٩٩٦.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في (مسند المكثرين من الصحابة)، (مسند عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –) برقم: ٥١٥٧.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك. أين ملوك الأرض؟!))(١).

وفي حديث صحيح: ((أن الله لَمَّا خلق آدم قال له، ويداه مقبوضتان: (اختر أيهما شئت)(٢)، قال اخترت يمين ربي - وكلتا يدي ربي يمين مباركة - ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته)).

وفي الصحيح: ((إن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق: (إن رحمتي تغلب غضبي))(٣) وفي الصحيح: أنه لما تحاجَّ آدم وموسى، قال آدم: ((يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده))، وقد قال موسى: ((أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه))(٤).

وفي حديث آخر: أنه قال سبحانه: (وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي، كمن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق)، باب (يقبض الله الأرض يوم القيامة)، برقم: ٦٠٣٨، ومسلم في كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، برقم: ٤٩٩٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة المعوذتين)، برقم: ٣٢٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (التوحيد)، برقم: ٦٨٥٥، ومسلم في كتاب (التوبة)، في (سعة رحمة الله - تعالى -)، برقم: ٤٩٣٩.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب (القدر)، باب (حجاج آدم وموسى - عليهما السلام -)، برقم: ٤٧٩٥.

قلت له كن فكان))[١]. وفي حديث آخر في السنن: ((لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: (خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيده الأخرى، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون))[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهذه الأحاديث وغيرها نصوص قاطعة لا تقبل التأويل، وقد تلقتها الأمة بالقبول والتصديق".

ثم قال رحمه الله تعالى: "فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن يديه مبسوطتان، وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر لا يبينون للناس إن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره، حتى ينشأ جهم بن صفوان - بعد انقراض عهد الصحابة - فيبين للناس ما نزل إليهم على نبيهم، ويتبعه عليه بشر بن غياث، ومن سلكوا سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق؟

وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى (الخرأة)، ويقول: ((ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وحدثتكم به، تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص: ٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة الأعراف)، برقم: ٣٠٠١.

هالك))[1]، ثم يترك الكتاب المنزل عليه وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم، وإن اعتقاده ظاهره ضلال، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه؟

وكيف يجوز للسلف أن يقولوا: أمروها كما جاءت، مع أن معناها المجازي هو المراد، وهو شيء لا يفهمه العرب، حتى يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟!". أ. هـ. باختصار من (مجموع الفتاوى)، ج٦، ص: ٣٥١ إلى ٣٧٣.

وبما ذكرنا، يتضح للجميع أن ما ذكره الشاب هو الصواب.

ونسأل الله أن يهدي الجميع لإصابة الحق في القول والعمل؛ إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب (المقدمة)، باب (اتباع سنة الخلفاء الراشدين)، برقم: ٤٣.

٩١- ما مدى صحة قصة الغرانيق؟

س: ورد في تفسير الجلالين في سبب نزول الآية (٥٢) من سورة (الحج): أن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[١]، أن الشيطان ألقى على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى. فهل هناك ما يدل على صحة هذه القصة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أم هي من الإسرائيليات؟ أفيدونا - أفادكم الله -.

ج: ليس في إلقاء هذه الألفاظ في قراءته صلى الله عليه وسلم حديث صحيح يعتمد عليه فيما أعلم، ولكنها رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث مرسلة، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية (الحج).

ولكن إلقاء الشيطان في قراءته صلى الله عليه وسلم في آيات النجم، وهي قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ الآيات، شيء ثابت بنص الآية في سورة (الحج)، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى

---

(١) سورة النجم، الآيتان ١٩، ٢٠.

الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١]. فقوله سبحانه: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾؛ أي: تلا، وقوله سبحانه: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾؛ أي: في تلاوته.

ثم إن الله سبحانه ينسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان ويوضح بطلانه في آيات أخرى، ويحكم آياته؛ ابتلاءً وامتحاناً، كما قال سبحانه بعد هذا: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[٢] الآيات.

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يلقيه الشيطان من الشبُّه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح الأدلة، وأن يفسر المشتبه بالمحكم؛ حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله سبحانه في أول سورة (آل عمران): ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٣].

---

(١) سورة الحج، الآية ٥٢.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧.

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنه قال: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم))[1] متفق على صحته. والله ولي التوفيق.

٩٢- تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾

س: ما هو المراد بكلمة (اللَّمم) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[2]. الآية[3]؟

ج: إن علماء التفسير يرحمهم الله اختلفوا في تفسير ذلك، وذكروا أقوالاً في معناه، أحسنها قولان:

(١) أخرجه البخاري في كتاب (تفسير القرآن)، باب (منه آيات محكمات)، برقم: ٤١٨٣، ومسلم في كتاب (العلم)، باب (النهي عن اتباع متشابه القرآن)، برقم: ٤٨١٧.

(٢) سورة النجم، الآية ٣٢.

(٣) نشر في جريدة (المسلمون)، في العدد: ٥٣٠، بتاريخ ١٤١٥/٥/٣٠هـ، وفي كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٨٠.

أحدهما: أن المراد به: ما يُلِم به الإنسان من صغائر الذنوب؛ كالنظرة والاستماع لبعض ما لا يجوز من محقرات الذنوب وصغائرها، ونحو ذلك.

وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف، واحتجوا على ذلك بقوله سبحانه في سورة (النساء): ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[1]، قالوا: المراد بالسيئات المذكورة في هذه الآية هي: صغائر الذنوب، وهي اللمم؛ لأن كل إنسان يصعب عليه التحرز من ذلك، فمن رحمة الله سبحانه أن وعد المؤمنين بغفران ذلك لهم إذا اجتنبوا الكبائر، و لم يصروا على الصغائر. وأحسن ما قيل في ثبوت الكبائر: أنها المعاصي التي فيها حد في الدنيا؛ كالسرقة، والزنى، والقذف ، وشرب المسكر.

أو فيها وعيد في الآخرة بغضب من الله أو لعنة أو نار؛ كالربا، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين.

ومما يدل على غفران الصغائر باجتناب الكبائر ، وعدم الإصرار على الصغائر ، قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، فهو مدرك ذلك لا محالة؛ فزنى العين النظر، وزنى اللسان المنطق، وزنى الأذن الاستماع،

---

(١) سورة النساء، الآية ٣١.

وزنى اليد البطش، وزنى الرجل الخطى، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه))(١).

ومن الأدلة على وجوب الحذر من الصغائر والكبائر جميعاً، وعدم الإصرار عليها، قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٢).

القول الثاني: أن المراد باللمم هو: ما يُلِم به الإنسان من المعاصي، ثم يتوب إلى الله من ذلك، كما قال في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً..﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)، وما جاء في معنى ذلك من الآيات الكريمات،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الاستئذان)، باب (زنا الجوارح دون الفرج)، برقم: ٥٧٧٤، ومسلم في كتاب (القدر)، باب (قدر على ابن آدم حظه من الزنا)، برقم: ٤٨٠١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٥، ١٣٦.

(٣) سورة النور، الآية ٣١.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))(١) ، ولأن كل إنسان معرض للخطأ.

والتوبة النصوح يمحو الله بها الذنوب، وهي المشتملة على الندم على ما وقع من المعصية، والإقلاع عنها، والعزيمة الصادقة على ألا يعود إليها؛ خوفاً من الله سبحانه وتعظيماً له، ورجاء مغفرته.

ومن تمام التوبة إذا كانت المعصية تتعلق بحق الآدميين؛ كالسرقة، والغصب، والقذف، والضرب، والسب، والغيبة، ونحو ذلك: أن يعطيهم حقوقهم، أو يستحلهم منها.

إلا إذا كانت المعصية غيبة - وهي: الكلام في العرض – و لم يتيسر استحلال صاحبها؛ حذراً من وقوع شر أكثر، فإنه يكفي في ذلك أن يدعو له بظاهر الغيب، وأن يذكره بما يعلم من صفاته الطيبة وأعماله الحسنة في الأماكن التي اغتابه فيها، ولا حاجة إلى إخباره بغيبته ، إذا كان يخشى الوقوع في شر أكبر.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يحفظنا وإياكم من كل سوء، وأن يمن علينا جميعاً بالاستقامة على دينه، والسلامة من أسباب غضبه، والتوبة إليه سبحانه من جميع ما يخالف شرعه؛ إنه جواد كريم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين)، برقم: ١٢٥٧٦.

٩٣- تفسير قوله تعالى: ﴿مرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾

س: سائل يسأل عن تفسير قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[١] هل هذان البحران في الدنيا أم في الآخرة؟

ج: هذان البحران في الدنيا؛ فالبحار تختلط، ثم إذا أراد الله تمييزها، تميز هذا من هذا، وخرج ماء النهر وحده وماء البحر وحده.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، لا يبغي هذا على هذا، فالأنهار تجري على حالها حلوة، والبحار على حالها مالحة، وبينهما برزخ لا يبغي هذا على هذا؛ ينفصل هذا عن هذا.

---

(١) سورة الرحمن، الآية ١٩.

٩٤- تفسير قوله تعالى:
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[١]

س: ما رأي سماحتكم فيمن قال في معنى اسم الله (الظاهر) أي: الظاهر في كل شيء. هل يدخل هذا في القول بالحلول أم لا؟

ج: هذا باطل؛ لأنه خلاف ما فسر به النبي صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة؛ فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء؛، فاقض عني الدين وأغنني من الفقر))[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. فالظاهر معناها: العالي فوق جميع الخلق، ولكن آياته ودلائل وجوده وملكه وعلمه موجودة في كل شيء، وأنه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم.

فأنت أيها الإنسان الذي أعطاك الله السمع والبصر والعقل، وأعطاك هذا البدن، والأدوات التي تبطش بها وتمشي بها، من جملة الآيات الدالة على أنه رب العالمين، وهكذا السماء والأرض والليل والنهار

---

(١) سورة الحديد، الآية ٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (ما يقول عند النوم)، برقم: ٤٨٨٨.

والمعادن والحيوانات، وكل شيء، كلها آيات له سبحانه وتعالى تدل على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته، وأنه المستحق للعبادة، كما قال الشاعر:

فوا عجبا؛ كيف يعصى الإله		أم كيف يجحده الجاحد

وفي كـل شيء له آيـة		تـدل علـى أنه واحد!

والله يقول - جل وعلا -: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]. فأوضح سبحانه في هذه الآية أنواعاً من مخلوقاته الدالة على أنه سبحانه هو الإله الحق، الذي لا تجوز العبادة لغيره سبحانه وتعالى فكل شيء له فيه آية ودليل على أنه رب العالمين، وأنه موجود، وأنه الخلاق، وأنه الرزاق، وأنه المستحق لأن يعبد سبحانه وتعالى.

وأما معنى الظاهر فهو: العالي فوق جميع الخلق، كما تقدم في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

٩٥- تفسير سورة (التغابن)[١]

بعد تلاوة سورة (التغابن) قال: أما بعد:

فقد سمعنا جميعاً هذه السورة العظيمة - سورة (التغابن) - وقوله – تعالى -: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] إلى آخر هذه السورة العظيمة، وكل سور القرآن عظيمة.

بيّن الله فيها سبحانه أن الخلائق تسبحه - جل وعلا - كما بين في سور كثيرة وآيات كثيرة ذلك، فقال في سورة (الصف): ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]، وقال في سورة (التغابن): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال في سورة (الجمعة): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٤]، وقال في سورة (بني إسرائيل): ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن

---

(١) كلمة وعظية لسماحته في مخيمه بمنى، في ١١/١٢/١٤٠٧هـ.

(٢) سورة التغابن، الآية ١.

(٣) سورة الصف، الآية ١.

(٤) سورة الجمعة، الآية ١.

شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]. وهذا يدل على أنه - جل وعلا - يسبحه كل شيء؛ لكمال ملكه وكمال إحسانه سبحانه وتعالى وهو الخلاق العليم، وهو الرزاق العليم والمالك لكل شيء، وهو المحسن لعباده - جل وعلا -؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[2]، من جامد ومتحرك، جميع ما في السماوات والأرض.

ثم قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ وهو المالك لكل شيء، وهو المستحق للثناء سبحانه وتعالى وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال - جل وعلا -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3]؛ لا تفهمونه وهو يعلمه سبحانه وتعالى فالملائكة والطيور وجميع الحيوانات وجميع المخلوقات تسبحه سبحانه تسبيحاً يعلمه هو – سبحانه وتعالى - وإن كنا لا نعلم أكثره.

فجدير بنا - أيها العقلاء - جدير ببني آدم الذين وهبهم الله العقل، وأرسل إليهم الرسل، جدير بهم أن يسبحوا الله، وأن يقدسوه

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤.
(٢) سورة التغابن، الآية ٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

وينزهوه عن كل ما لا يليق به – سبحانه وتعالى - وأن يشهدوا له بأنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه مستحق لأن يعبد دون كل ما سواه؛ فهو المالك لكل شيء، وهو القادر على كل شيء، وهو الخلاق العليم، الذي خلق الخلق من عدم، وغذاهم بالنعم، وخلق الثقلين ليعبدوه، وأرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب؛ فضلاً منه وإحساناً.

ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]. فقد سبق في علمه أن أمة بني آدم، وهكذا الجن، ينقسمون إلى كافر ومؤمن لحكمة بالغة، فهذا يعصي ويكفر ويتعدى الحدود، وهذا يطيعه ويتبع شريعته وينقاد لأمره، والله بما تعملون بصير.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2]. ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: ما خلقها عبثاً ولا سدى، بل خلقها لحكمة عظيمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، صوركم عقلاء تمشون على أقدامكم، ما جعلكم كالبهائم تمشون على أربع، جعلكم تمشون على قدمين رافعي الرؤوس، مستقيمي البدن، وجعل لكم

---

(١) سورة التغابن، الآية ٢.

(٢) سورة التغابن، الآية ٣.

في الوجه: العينين والأنف والفم واللسان، وجعلكم تنطقون وتعبرون عن حاجاتكم، لا كالبهائم، هذه من نعمه العظيمة.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، فهو خلقكم في هذه الدار، وصوركم وأحسن صوركم، وعلمكم، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لحكمة بالغة؛ لتعبدوه وتعظموه، وتستقيموا على أمره وتنتهوا عن نهيه – سبحانه وتعالى -.

فالواجب على العاقل المكلف التنبه لهذا الأمر، وأن يعدَّ العدة للقاء ربه؛ فهو لم يخلق عبثاً، قال – تعالى -: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[(١)]؛ يعني مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، كلاّ بل خُلِق لأمر عظيم، وأُمِر بأمر عظيم، وأُرسِلت له الرسل وأُنزِلت الكتب؛ حتى يعلم حق الله وحق عباده، وحتى يؤدي ما عليه من حق لله ولعباده.

فهو لن يهمل، قال سبحانه منكراً على من ظن ذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[(٢)] سبحانه وتعالى أن يكون خلقهم عبثاً، بل خُلِقوا لأمر عظيم، خُلِق هذان الثقلان لأمر عظيم الجن والإنس: ﴿وَمَا

---

(١) سورة القيامة، الآية ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ١١٥، ١١٦.

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[2]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾[3]؛ هم مخلوقون لأمر عظيم بينه الله في كتابه، وبينه رسوله عليه الصلاة والسلام وهذا الأمر العظيم: أن يعبدوه، ويطيعوا أمره، ويتبعوا رسله، ويعظموا ما عظم، ويذلوا من أذل، وينقادوا للأمر ويطيعوه، ويقفوا عند الحدود.

ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾؛ إليه المرجع، ليس لأحد الفرار منه سبحانه وتعالى بل إليه ترجع الأمور، وإليه يصير الناس، وإليه الجزاء والحكم فيهم سبحانه وتعالى بعدله، فريق في الجنة وفريق في السعير.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[4]، يعلم كل شيء يعلم ما في السماوات؛ من دقيقه وجليّه، من ملك وغيره، ويعلم ما في الأرض وطبقاتها، وما تحتها وما فيها، ولا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى ويعلم ما تسرون في قلوبكم وما تعلنونه للناس، لا يخفى

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١.

(٣) سورة الحج، الآية ١.

(٤) سورة التغابن، الآية ٤.

عليه خافية - جل وعلا - إنه عليم بذات الصدور سبحانه وتعالى.

فيا أخي: إذا كنت تؤمن بهذا، فإياك أن تضمر ما يضر إخوانك أو يضرك، فاحرص على أن تكون سريرتك طيبة؛ تحب الله ورسوله، وتحب إخوانك المؤمنين، وتنصح لله ولعباده، لا تضمر سوءًا لنفسك، بل حاسب نفسك وجاهدها لله، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سبحانه وتعالى.

فالواجب على العاقل من ذكر وأنثى، أن يحذر كوامن هذه النفوس، وما تسره من خبث وشر، وأن يحذرها ما حذرها الله منه، وأن يضمر الخير لنفسه، وأن يكون حريصاً على طاعة الله ورسوله، وعلى نفع عباده، وعلى النصح لهم، وعلى إيصال الخير إليهم، وعلى دفع الشر عنهم، هكذا المؤمن، وهو يعلم السر وأخفى. ثم يقول جل وعلا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾[1]، ألم تأتكم الأخبار عن الماضين، وما جرى عليهم لما غيَّروا أو بدَّلوا، وما أصابهم من العقوبات؟

قد جاءتكم الأنباء الواضحة في القرآن - أصدق الكلام -: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[2]، فيقول سبحانه: ﴿نَحْنُ

(١) سورة التغابن، الآية ٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٢.

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[(١)]، وهو أحسن القصص وأصدق القصص، وهو أحسن الحديث: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾[(٢)]، يعني: يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً.

فقد نبأنا عمن مضى من الأمم؛ نبأنا عن آدم وما جرى عليه مع إبليس عدو الله، وما حصل له من الكرامة بإسجاد الملائكة، وأن الله خلقه ونفخ فيه من روحه، وأخبرنا عما أصاب غيره من الأمم، كما أصاب قوم هود، وقوم صالح، وقوم نوح، وقوم شعيب، وقوم لوط، وفرعون وقومه.

لذلك أخبرنا، لماذا؟ للعبر لنعتبر، ولقد ذاقوا وبال أمرهم، ذاقوا شر أمرهم ولهم عذاب أليم، يعني: ذلك الذي فعلوه من الشر ذاقوا وباله في الدنيا قبل الآخرة، وعذاب الآخرة أكبر.

﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل﴾؛ أي: خبر من قبلكم: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٣)]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[(٤)]. هذا حالهم لما كفروا وعاندوا أصابهم العقاب المعجل؛ فأصابهم ما أصابهم

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣.

(٢) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٣) سورة التغابن، الآية ٥.

(٤) سورة التغابن، الآية ٦.

أخذهم بالريح العقيم حتى هلكوا: قوم صالح أخذهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وقوم لوط أصابهم ما أصابهم من الخسف وقلب مدائنهم عليهم، وأمطرهم ما أمطرهم من الحجارة، وهذا من العذاب المعجل غير عذاب الآخرة؛ النار - نسأل الله العافية - وقوم شعيب أصابهم ما أصابهم من الرجفة والصيحة حتى هلكوا، وهكذا فرعون أصابه وقومه ما أصابهم من الغرق. كل هذا عبر وعقوبات: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾(١)، هكذا كل واحد أُخذ بذنبه، عُجلوا بالعقوبات، وآخرون أمهلوا وأنذروا، وعقوبة الله في الآخرة أشد.

ثم يبين سبحانه بعض كفرهم، فقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢). هكذا الكفرة؛ كذبوا بالبعث والنشور، وقالوا: لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور، ولا جزاء ولا عقاب، وليس هناك حياة أخرى، إنما هي هذه الدنيا، فمنهم من عاجله الله بالعقوبة، ومنهم من أُمهل إلى يوم القيامة. وردّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾، قل يا محمد، يا رسول الله: بلى وربي، حلف بربه لهم عليه الصلاة والسلام وأمره بأن يحلف لهم

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٠.

(٢) سورة التغابن، الآية ٧.

معظماً ربه: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾؛ لتخبرن بما عملتم ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وهو لابد منه، كلٌ ينبأ بما قدم وأخر، وكل إنسان يعطى جزاءه. فالعاقل يُعد العدَّة لهذا اليوم، فلا يتساهل، ويعلم أنه ميت وأنه مجازى، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. وقال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]؛ فيؤمرون بالإيمان بالله ورسوله، والإيمان بالله أنه ربهم، وإلههم الحق المستحق للعبادة، لا يدعى سواه ولا يستغاث بغيره، ولا ينذر إلا له ولا يذبح إلا له، كل العبادات له سبحانه كما قال - جل وعلا -: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[2]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3].

فآمنوا بالله وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام وأنه رسول الله حقاً، بعثه الله للناس كافة من جن وإنس، من تبعه وانقاد لشرعه وصدقه فهو السعيد الناجي، ومن حاد عن ذلك فهو الهالك الشقي.

﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ المراد: ما بعثه الله من النور، وهو القرآن العظيم والسنة المطهرة.

---

(١) سورة التغابن، الآية ٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٣) سورة الفاتحة، الآية ٥.

والنور: ما بعثه الله من الهدى والعلم النافع الذي جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة، هذا هو النور، من أخذ هذا النور واستضاء به واتبعه فهو السعيد، ومن حاد عن هذا النور فهو الهالك نعوذ بالله من ذلك.

ثم ذكرهم بيوم القيامة فقال – تعالى -: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، هذا يوم الجمع يوم القيامة، يبعث الله فيه الأولين والآخرين، ثم قال في سورة الواقعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[1]، كلهم مجمعون؛ أولهم وآخرهم، جنهم وإنسهم. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

هذا يوم التغابن، وهو يوم القيامة؛ حين تغبن في سيارة أو في أرض أو في عمارة بمائة ألف أو بمليون أو أكثر أو أقل، هذا غبن، لكنه يسير بالنسبة إلى من غُبن يوم القيامة وصار إلى النار – نعوذ بالله من هذا المصير-.

هذا هو الغبن؛ أن ترى خادمك وجارك وابن عمك إلى الجنة، وأنت تساق إلى النار، هذا هو الغبن – نعوذ بالله - وأن ترى أناساً تحقرهم في الدنيا، وتراهم فقراء في الدنيا ضعفاء، وتراهم إلى الجنة وإلى الكرامة والمنازل العالية، وأنت وأشباهك تساق إلى النار؛ باستكبارك وعصيانك، هذا هو الغبن العظيم، هذا هو الخسران الكبير. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾؛

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٤٩، ٥٠.

أهل النار يغبنون أهل الجنة إلى ما فازوا به من النعيم العظيم والخير الكريم: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، هذا اليوم العظيم هذا يوم التغابن. ثم فصَّل ذلك سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١)، هذه حالة السعداء من آمن بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات فله الجنة وأنجاه من النار وهو السعيد: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم يقول - جل وعلا - في جزاء المعاندين المكذبين بآيات الله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢). ينبغي للعاقل أن يتنبه لهذا اليوم، ويعد له العدة؛ بماذا؟

بطاعة الله ورسوله، بتوحيد الله والإخلاص له، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، والبراءة من الكفر وأهله، وإقامة أمر الله وترك ما نهى الله عنه، والمحافظة على الصلوات كما أمر الله، وأداء الزكاة كما أمر الله، وصوم رمضان كما أمر الله والحج كما أمر الله والجهاد كما أمر الله،، وصدق الحديث، وبر الوالدين

---

(١) سورة التغابن، الآية ٩.

(٢) سورة التغابن، الآية ١٠.

وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك ما حرم الله.

وعليك أن تجتهد في أداء ما أوجب الله والبعد عما حرم الله، هذا هو الطريق، وهذا هو الصراط المستقيم، وهذا هو سبيل الله، الذي أنت تسأله أن يهديك إليه في قراءتك الفاتحة تقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ هذا هو الصراط المستقيم، الصراط المستقيم هو: دين الله الإسلام، وهو طاعة الله ورسوله، والانقياد لأمر الله تعالى وترك ما نهى الله عنه.

هذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه - جل وعلا -: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[1] الرسل وأتباعهم أنعم الله عليهم، فهداهم ووفقهم، فعلموا وعملوا؛ علموا الحق وصدّقوا به، وعملوا بذلك وانقادوا لأمر الله، هؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم، الذين عرفوا الحق في كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وانقادوا له، ووالوا عليه وعادوا عليه، وأحبوا فيه وأبغضوا فيه، حتى ماتوا عليه، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم.

وهو الصراط الذي قال الله فيه في حق محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وهو الذي قال فيه: ﴿وَأَنَّ

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥٢.

﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾[1]، السبل: ما خالف الصراط من البدع والمعاصي والمخالفات. فأنت مأمور باتباع صراط الله وسبيله، وهو دينه الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وتوحيده والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، والموالاة في ذلك والمناصحة في ذلك، والمعاداة في ذلك والبغضاء في ذلك، هكذا المؤمن في هذه الدار حتى يلقى ربه، وهذا هو الصراط المستقيم. أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا.

وهذا من منافع الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ من المنافع: أن تشهد نصيحة تُنصح بها، أو موعظة توعظ بها، أو كلمة تنفعك، هذه هي المنافع؛: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾؛ بأن يسمع المؤمن كلمة تنفعه أو موعظة توجه إليه أو نصيحة توجه إليه، في منى أو في مزدلفة أو في عرفات أو في المسجد الحرام، أو في أي مكان، ثم يبلغها غيره يسمعها وينتفع بها، ويبلغها غيره، هذه من المنافع العظيمة. وأنتم منصرفون من هذا المكان بعد مدة يسيرة، فاتقوا الله في أنفسكم وحاسبوها، ولا ترجعوا إلى المعاصي بعد هذا الحج الذي منَّ الله

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

عليكم به؛ فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة؛ فاحرص يا أخي أن ترجع إلى الخبائث بعدما طهرك الله منها، فاحرص أن تستمر على التوبة والعمل الصالح أينما كنت - في بلادك وفي غير بلادك - واحرص أن تقطع العهد الذي أنت عاهدت الله عليه، وأن تستقيم على دينه، وأن تدع ما نهاك عنه، وأن تقف عند حدوده حتى تلقاه. ولا تقل: أنا شاب سوف أتوب، كم من شاب أخذه الموت قبل أن يشيب! وكم من زارع أصابه الهلاك قبل أن يحصد زرعه! فالموت يأتي بغتة، والعمل الصالح ينفعك في الدنيا والآخرة، ولو عشت ألف عام وأنت في طاعة الله فأنت على خير، لا تغتر بالشباب والقوة والمال، احذر وأعد العدة شاباً أو كهلاً أو شيخاً حتى تلقى ربك. فاحذر أسباب الهلاك، واسأل ربك التوفيق والإعانة؛ فهو سبحانه الهادي والموفق - جل وعلا - فاضرع إليه أن يهديك، وأن يثبتك، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وهذا اليوم يسمى يوم القَرِّ، وأن الحجاج قارُّون في منى ليس فيه نفير، هذا هو أول أيام منى وهو أولها، هذا اليوم الحادي عشر، وأول أيام منى هو يوم القر. وغداً يوم النفر، يوم الخميس - غداً - وهو النفر الأول لمن تعجل يوم الثاني عشر لمن تعجل، وهو يوم الخميس في هذه السنة؛ إذا زالت الشمس ورمى الجمرات الثلاث

فله التعجل إذا شاء، فيتعجل إلى مكة ويطوف الوداع ويسافر، وله البقاء في مكة - إذا أراد - ما يشاء من الأيام، ثم يودع البيت ويسافر، فيقال له يوم النفر الأول وهو اليوم الثاني عشر وهو غداً يوم الخميس.

ويوم الجمعة هو النفر الثاني وهو الثالث عشر، يقال له: النفر الثاني لمن استكمل الإقامة في منى، والنبي صلى الله عليه وسلم استكملها وأقام اليوم الثالث عشر عليه الصلاة والسلام ثم نفر.

والأمر - بحمد الله - واسع، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ يعني هذه الثلاثة يعني الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾[1]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أيام منى ثلاثة؛ من تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه))[2]. فبعض الناس يغلط، فيظن يوم العيد منها، لا، ليس يوم العيد منها، أولها: هذا اليوم - الحادي عشر - وثانيها: غداً يوم الخميس، وهو النفر الأول، وثالثها: يوم الجمعة، وهو النفر الثاني، وليس لأحد أن ينفر إلا بعد طواف

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (أول مسند الكوفيين)، (من حديث عبد الرحمن بن يعمر – رضي الله عنه –)، برقم: ١٨٠٢٢.

الوداع، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت))[1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: "وأمر الناس أن يكون آخر عهدهم البيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض".

فالمرأة التي معها الحيض أو النفاس ليس عليهما وداع، إذا كانتا طافتا طواف الإفاضة طواف الحج يوم العيد أو بعده فليس عليهما طواف الوداع، إذا كانتا عند السفر حائضاً أو نفساء، أما غيرهما فعليه الوداع إن استطاع ماشياً أو راكباً أو محمولاً.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى، وتقبل الله من الجميع حجهم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الحج)، برقم: ٢٣٥٠، باب (وجوب الوداع وسقوطه عن الحائض) ٣٠٦١

٩٦- تفسير قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد(١):

فقد سمعنا جميعاً قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

حيث إن الكفار - كفار العرب وغيرهم - إلا من رحم الله ينكرون البعث والنشور؛ لأنها حياة منتهية ويرون أن من مات مات؛ فلا عودة ولا بعث ولا نشور، هكذا قال لهم شيطانهم.

وقد بين الله - جل وعلا - أنه لابد من البعث والنشور، والجزاء والحساب؛ ولهذا قال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ زعموا: أي كذبوا ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يبعثون وينبئون بأعمالهم - خيرها وشرها - هكذا أخبر الله في كتابه العظيم أنه لابد من البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ

---

(١) كلمة ألقاها سماحته في ١١/١٢/١٤١٥هـ، شريط ٦/٤٩.

(٢) سورة التغابن، الآية ٧.

أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1]، فلابد من البعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار؛ ولهذا فإن من أصول الإيمان: الإيمان بالأركان الستة التي هي أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر - يوم القيامة - والبعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب.

ثم قال جل وعلا: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ أي: آمنوا بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق، وهو الخلاق العليم، المالك لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر فوق عباده، المستحق أن يعبد دون كل ما سواه.

﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام وسائر الرسل جميعاً، الرسول: مفرد يعم الرسل، وبالأخص خاتمهم وإمامهم وأفضلهم؛ محمد عليه الصلاة والسلام فلابد من الإيمان بالله، وجميع الرسل والأنبياء، وبكل ما أخبر الله به ورسوله.

ثم قال: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾؛ النور الذي أنزل الله: شريعته التي جاء بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهي نور، من عرفها

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٣.

(٢) سورة التغابن، الآية ٨.

عرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال وصار كالبصير بين العميان، يرى الأشياء على ما هي عليه، فهي نور، جعلها الله للعباد يعرفون بها ما يرضيه وما يسخطه، وما أعده لأوليائه وما أعده لأعدائه، وما سيقع يوم القيامة.

نور كما قال - جل وعلا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[1]، فالإيمان بالله والرسول، والإيمان بالكتاب المترل هو القرآن، وفيه أمر بطاعة الله ورسوله؛ فلابد من هذا النور، لابد من الإيمان بهذا النور، والأخذ به والتفقه من هذا النور، وهو: ما أنزل من كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام حتى تعرف مواضع الرضى والغضب، وتعرف الشرائع التي شرعها الله والأوامر، وحتى تعرف الأشياء التي نهى عنها.

فبالأوامر وامتثالها تحصل النجاة، وبترك النواهي والمعاصي كذلك، هذا هو النور: أن تكون على بصيرة وبينة، تعرف هذا وهذا؛ تعرف الأوامر فتأتي بها وتؤديها، وتعرف النواهي فتحذرها وتجتنبها، فهذا هو المقصود، مع الإيمان والتصديق بذلك هذا هو

(١) سورة النساء، الآية ١٣٦.

الواجب على الجميع - الجن والإنس - أن يعرفوا أوامر الله فيمتثلوها، وأن يعرفوا نواهيه فيجتنبوها؛ وذلك بالتفقه في الدين بالتعلم، وبالعناية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبسؤال أهل الذكر.

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))[2].

ويقول: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والنور كمثل غيث أصاب أرضاً؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء – يعني: مواضع مطمئنة أمسكت الماء – فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً – وهذه هي حال الناس – فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل

(١) أخرجه البخاري في كتاب (العلم)، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)، برقم: ٦٩، ومسلم في كتاب (الزكاة)، باب (النهي عن المسألة)، برقم: ١٧١٩.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الذكر والدعاء)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن)، برقم: ٤٨٦٧.

من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[١].

هذه هي أقسام الناس مثل الأرض: أرض طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهم: أهل العلم والإيمان والتعليم والتوجيه والإرشاد.

وطائفة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا، وهم: حملة العلم، فحملوه للناس حتى استفادوا منه وفجرّوا ينابيعه للناس؛ حفظوه وفقّهوا غيرهم من طريق أهل العلم الذين نقلوه عنهم وأخذوه عنهم، فهم حفظة استفادوا وأفادوا، وأهل العلم والفقه في الدين وأهل التبصر استخرجوا ما فيه من العلوم ، استخرجوا ما فيه من الأحكام والفوائد ونشروها في الناس، مثل إذا أخذوا الماء فشربوا وسقوا وزرعوا.

وغالب الخلق مثل القيعان؛ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، هذه هي حال أكثر الخلق، لا خير فيهم؛ لا علم ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣]،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الفضائل)، باب (بيان مثل ما بعثني به النبي)، برقم: ٤٢٣٢.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٣.

(٣) سورة سبأ، الآية ١٣.

وقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

فاحذر أن تكون من الأكثرين المعْرِضِين الضالين، واحرص أن تكون من القليل الناجي، من المؤمنين الصادقين المصدقين، المتفقهين في الدين المتعلمين، وهذا كتاب الله بين أيدينا - بحمد الله - أقبل عليه، أكثر من تلاوته، يقول سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(٣)، ويقول: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤)، ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٥)، ويقول: ﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.
(٢) سورة سبأ، الآية ٢٠.
(٣) سورة ص، الآية ٢٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٥.
(٥) سورة النحل، الآية ٨٩.

﴿الْأَلْبَابِ﴾[1]، ويقول سبحانه: **﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾**[2].

تأملوا هذا القرآن، وكل واحد يجب أن يكون له عناية في الليل أو في النهار أو فيهما جميعاً، به يقرأ ما تيسر، ويتدبر ويتعقل، ويحث أهله وأولاده وإخوانه وجيرانه على كثرة القراءة والتدبر والتعقل.

وهكذا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التي حفظها العلماء ونقلوها إلينا مثل: الصحيحين، والسنن الأربع في (المنتقى)، وفي (بلوغ المرام)، وفي (عمدة الحديث)، و(رياض الصالحين)، وفي غيرها من كتب الحديث التي نقل فيها أهل العلم هذه الأحاديث وصححوها؛ فالمؤمن يستفيد منها يقرأ ويستفيد، ويسمع ويسأل.

وهذا اليوم هو يوم القر - يوم الخميس - هذا هو يوم القر، وهو اليوم الأول من أيام التشريق، وغداً هو يوم النفر الأول، ويوم السبت هو يوم النفر الثاني.

بعض الناس قد يخلط؛ يحسب أن هذا اليوم هو النفر الأول، يوم العيد لا يعد من الأيام الثلاثة، يوم العيد مستقل وحده، ومحل أعمال الحج أيام التشريق، التي أولها هذا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٩.

اليوم الحادي عشر، وثانيها الثاني عشر، وثالثها الثالث عشر، وهي المراد في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[1]، هذه هي الأيام المعدودات.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ يعني يوم الجمعة في هذه السنة ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾؛ يعني يوم السبت ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، هذه الأيام المعدودات أيام التشريق، وهي التي يصومها من عجز عن الهدي - هدي المتمتع - يجوز له صومها، أما غيره فلا يصومها.

هي أيام عيد، أيام أكل وشرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله - عز وجل -))[2]، وكان يبعث من ينادي في الناس ويعلمهم: أن هذه الأيام أيام أكل وشرب وليست أيام صيام، إلا لمن فقد الهدي ولمن عجز عن الهدي.

أولها هذا اليوم، والنفر الأول غداً - يوم الجمعة - إذا رمى الجمار بعد الزوال، وأحب أن ينفر إلى مكة ليقيم فيها أياماً أو إلى بلاده، فلينفر قبل غروب الشمس من منى، يمر بمكة، ويطوف طواف

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.

(٢) أخرجه أحمد في (أول مسند البصريين)، (من حديث نبيشة الهذلي – رضي الله عنها -)، برقم: ١٩٧٩٧.

الوداع إن كان طاف طواف الإفاضة، أو يطوف طـــواف الإفاضـــة وينوي الوداع معه، ثم ينفر بعده إذا أحب، أو يقيم في مكة ما شاء الله، ثم إذا عزم على السفر طاف طواف الوداع. والنفر الثاني يوم الـــسبت يـــوم الثالث عشر، فإذا غابت الشمس انتهت أيام التشريق، وانتهت أيام الرمي، ولو جلس في منى فليس عليه رمي؛ لو جلس الرابع عشر في منى ما عليـــه رمي، انتهت أيام الرمي بغروب الشمس.

وهذه الأيام هي أيام تكبير أيضاً مطلق ومقيد؛ في أدبـــار الـــصلوات وبقية الأوقات يكبر، في الضحى، وفي الظهر، وفي الليل؛ كـــان عمـــر – رضي الله عنه – في هذه الأيام يكبر في مخيمه، فيسمعه الناس وترتجُّ مـــنى تكبيراً؛ في أسواقهم وفي طرقاهم؛ يذكِّر الناس – رضي الله عنه -.

وهذه هي أيام الذبح؛ مثل الضحايا والهدايا في هذه الأيـــام الأربعـــة، هذا الصحيح من أقوال العلماء: أربعة أيام، يوم العيد وثلاثة أيام بعـــده، كلها أيام ذبح إلى غروب الشمس من يوم الثالث عـــشر ذبـــح الهـــدايا والضحايا؛ الضحايا في جميع الدنيا - في البر والبحر، في القرى والأمـــصار - هذه الضحايا.

والهدي هو: هدي التمتع والقران في هذه الأيام في مكة، ومن فاتتـــه الأيام و لم يذبح هديه - إما

عاجزاً، أو لم يحصل الدراهم إلا بعد الحج، أو ضل هديه ووجده فيما بعد، أو اقترض واشترى - فإنه يذبح ولو بعد الأيام، كالقضاء.

إذا فاتت الأيام ثم تيسر له الهدي يذبحه، ولو كان قد صام الثلاثة يذبحه بعد الثلاثة، ويسقط عنه صيام السبعة، ولو تيسر له ذبيحة يوم أربعة عشر أو خمسة عشر يذبحها ويأكل ويطعم، ويسقط عنه صيام السبعة إن وكان قد صام الثلاثة، وإن كان ما صام الثلاثة سقطت عنه العشرة كلها، إذا تيسر الذبح في الرابع عشر أو في الخامس عشر أو في السادس عشر أو في السابع عشر أو بعده، يذبحه في الحرم ويأكل ويطعم.

وهذا اليوم يوم رمي إلى آخر الليل، يبدأ بعد الزوال، قبل الصلاة أفضل - إن تيسر - وإلا بعد الصلاة، وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء إلى آخر الليل، كله رمي عن هذا اليوم - يوم الحادي عشر - وغداً كله رمي بعد الزوال إلى آخر الليل عن اليوم الثاني عشر، ويوم السبت يرمي بعد الزوال إلى غروب الشمس فقط.

وفق الله الجميع، وثبت الجميع على الهدى، وتقبل منا ومنكم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وسلم.

٩٧- تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾

س: طالب يسأل ويقول: ما هو الحق في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(١)؟ (٢)

ج: الرسول صلى الله عليه وسلم فسرها بأن المراد: يوم يجيء الرب يوم القيامة، ويكشف لعباده المؤمنين عن ساقه، وهي العلامة التي بينه وبينهم – سبحانه وتعالى - فإذا كشف عن ساقه عرفوه وتبعوه.

وإن كانت الحرب يقال لها: كشفت عن ساق، إذا اشتدت، وهذا معنى معروف لغوياً قاله أئمة اللغة.

ولكن في الآية الكريمة، يجب أن يُفسر بما جاء في الحديث الشريف، وهو كشف الرب عن ساقه سبحانه وتعالى وهذه من الصفات التي تليق بجلال الله وعظمته، لا يشابهه فيها أحد - جل وعلا - وهكذا سائر

(١) سورة القلم، الآية ٤٢.

(٢) سؤال طرح على سماحته بعد محاضرة بمكة بجامعة أم القرى، ونشر في (مجلة الدعوة)، العدد: ١٧١٨، وتاريخ ١٠/٨/١٤٢٠هـ.

الصفات؛ كالوجه واليدين والقدم والعين، وغير ذلك من الصفات الثابتة بالنصوص.

ومن ذلك: الغضب والمحبة والكراهة وسائر ما وصف به نفسه سبحانه في الكتاب العزيز، وفيما أخبر به عنه النبي صلى الله عليه وسلم.. كلها صفات حق، وكلها تليق بالله - جل وعلا - لا يشابهه فيها أحد سبحانه وبحمده، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان من أئمة العلم والهدى. والله الموفق.

٩٨- تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾

س: قرأت في (تفسير الصابوني) عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[3] فأوّلها وقال: في الحديث: " يسجد لله كل

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة القلم، الآية ٤٢.

مؤمن ومؤمنة "، ولما رجعت إلى (صحيح البخاري) وجدت الحديث يقول: "يكشف ربنا عن ساقه؛ فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ".

فقد حذف الصابوني الجزء الأول من الحديث، فهل يجوز له ذلك؟ وماذا يسمى هذا العمل، ولاسيما إذا كان متعمداً؟[1]

ج: على كل حال هذا خطأ وغلط، والواجب عليه وعلى غيره بيان الحق. فالحديث: ((يكشف عن ساقه)) العلماء اختلفوا في الآية عن ساقه، قال بعضهم: عن شدة، ولكن جاء في الحديث الصحيح فسر الآية بما لا يجوز معه خلاف الحديث، والمعنى يكشف عن ساقه.

والله - جل وعلا - يوصف بذلك على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كما يوصف بالوجه واليد والقدم والأصابع والعين، كذلك يوصف بالساق على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى لا يشابه الخلق في شيء من صفاته، ولا يجوز للعالم أن يخفي الحق، أو يتأول التأويل الباطل. والله المستعان.

(١) من فتاوى الحج، الشريط الرابع.

٩٩- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

س: أرجو أن تتفضلوا بالإجابة عما يلي: ما الفرق بين الآيات الكريمة الآتية: في الآية الخامسة عشرة من سورة (الجن)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(١)، وفي الآية الثامنة من سورة (الممتحنة): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢)، وفي الآية الثانية والأربعين من سورة (المائدة): ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٣) (٤).

ج: القسط الذي أمر الله بالحكم به هو: العدل، والمقسطون هم أهل العدل في حكمهم وفي أهليهم، وفيما ولاهم الله عليهم، وأقسط أي: عدل في الحكم، وأدى الحق ولم يجُر. أما القاسط فهو: الجائر الظالم، يقال: قسط يقسط قسطاً، فهو قاسط إذا جار وظلم؛

(١) سورة الجن، الآية ١٥.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٢.

(٤) نشر في هذا المجموع ج٦ ص٣٥٩.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾؛ يعني: الظالمين الجائرين المعتدين، المتعدين لحدود الله، وهم الذين توعدهم الله بأن يكونوا حطباً لجهنم.

أما المقسطون – بالميم – من أقسطوا من الرباعي، فهؤلاء هم: أهل العدل الموفقون المهديون، الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم، وفيمن ولاهم الله عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؛ يعني: يحب أهل العدل والاستقامة والإنصاف، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - عز وجل - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما وُلوا))[1].

١٠٠- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ...﴾ الآيات

س: أرجو تفسير قوله - تعالى - من سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل)، برقم: ٣٤٠٦.

الْمَأْوَى﴾[(١)]. وما هي الأمور التي تنهى النفس عن الهوى؟ وهل يكون عمل المرأة من هذه الأمور التي يجب نهي النفس عنها في حالة عدم احتياجها للعمل مادياً؟

ج: هذه الآية آية عظيمة ومعناها واضح، وقبلها يقول تعالى: **﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾**[(٢)]. الآية. أي خاف القيام بين يدي الله؛ فلهذا نهى نفسه عن هواها المحرم؛ أي نهاها عن المعاصي التي تهواها النفس، وهذا هو الذي له الجنة والكرامة.

فإن النفس قد تميل إلى الزنا والخمر والربا، وإلى أشياء أخرى مما حرم الله، وتهوى ذلك لأسباب، فإذا وفق الله المؤمن أو المؤمنة لمحاربة هذا الهوى، ومخالفته وعدم الانصياع إليه، صار هذا من أسباب دخول الجنة.

وعمل المرأة لا بأس به إذا كان مباحاً أو مشروعاً، ولا يترتب عليه شيء من المعاصي؛ كالخلوة بالرجل الأجنبي، أو عصيان الزوج، أو نحو ذلك مما حرم الله عليها.

---

(١) سورة النازعات، الآيتان ٤٠، ٤١.

(٢) سورة النازعات، الآيات ٣٧ – ٤٠.

١٠١- تفسير قوله تعالى:

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

س: المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة – الزبور – الإنجيل – القرآن، فماذا عن صحف إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم؛ الآيتان رقم: ١٨، ١٩ من سورة (الأعلى). أرجو إعطائي نبذة وتعريفاً عن هذه الصحف المطهرة؟

ج: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾[1]. الآية من سورة (النحل)، والزبر هي: الكتب.

وقال سبحانه في سورة (الحديد): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2]. الآية، ونص سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة (سبح اسم

---

(١) سورة النحل، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

ربك الأعلى)، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. والله ولي التوفيق.

١٠٢- تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

س: فسروا لنا قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (١) ؟(٢)

ج: جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله وعد رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرضيه في أمته، ومن ذلك أنه يأذن له بالشفاعة، فيشفع لهم في دخول الجنة، ويشفع لكثير منهم دخل النار أن يخرج منها، وهذا مما أعطاه الله له عليه الصلاة والسلام لأهل الموقف حتى يقضي بينهم، وهو المقام المحمود الذي وعده الله به.

---

(١) سورة الضحى، الآية ٥.

(٢) من برنامج (نور على الدرب)، الشريط الأول.

١٠٣- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

س: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١)، فإذا كان الإنسان لديه القدرة على العيش في رغد، فهل تنطبق عليه هذه الآية الكريمة؟ وما معنى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؟(٢)

ج: معنى الآية: أن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدث بنعم الله؛ فيشكر الله قولاً كما يشكره عملاً.

فالتحدث بالنعم كأن يقول المسلم: إننا بخير والحمد لله، وعندنا خير كثير، وعندنا نعم كثيرة، نشكر الله على ذلك؛ لا يقول: نحن ضعفاء، وليس عندنا شيء.. لا، بل يشكر الله ويتحدث بنعمه، ويقر بالخير الذي أعطاه الله، لا يتحدث بالتقتير؛ كأن يقول: ليس عندنا مال ولا لباس... ولا كذا ولا كذا، لكن يتحدث بنعم الله، ويشكر ربه - عز وجل -.

والله سبحانه إذا أنعم على عبده نعمة، يحب أن يرى

---

(١) سورة الضحى، الآية ١١.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة لسماحته، بعد محاضرته التي ألقاها في إحدى الجمعيات الخيرية بالرياض في شهر رجب عام ١٤٠٤هـ، ونشرت بجريدة (الجزيرة)، العدد: ٤٢١٠، في ١٤٠٤/٧/٧هـ، ونشرت في هذا المجموع، ج٤.ص١١٨

أثرها على ملابسه وفي أكله وفي شربه، فلا يكون في مظهر الفقراء، والله قد أعطاه المال ووسع عليه، لا تكون ملابسه ولا مأكله كالفقراء، بل يظهر نعم الله في مأكله ومشربه وملبسه.

ولكن لا يفهم من هذا: الزيادة التي فيها الغلو، وفيها الإسراف والتبذير.

١٠٤- تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ...﴾

س: أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ.وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(١)؟

ج: الآية الكريمة المذكورة على ظاهرها، والويل إشارة إلى شدة العذاب، والله – سبحانه - يتوعد المصلين الموصوفين بهذه الصفات التي ذكرها - عز وجل - وهي قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ.وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

السهو عن الصلاة: هو الغفلة عنها والتهاون بشأنها، وليس المراد تركها؛ لأن

---

(١) سورة الماعون، الآيات ٤ – ٧.

الترك كفر أكبر وإن لم يجحد وجوبها - في أصح قولي العلماء -. نسأل الله العافية.

أما التساهل عنها: فهو التهاون ببعض ما أوجب الله فيها؛ كالتأخر عن أدائها في الجماعة - في أصح قولي العلماء - وهذا فيه الوعيد المذكور.

أما إن تركها عمداً، فإنه يكون كافراً كفراً أكبر وإن لم يجحد وجوبها - في أصح قولي العلماء - كما تقدم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر))(١). خرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح، ولقوله عليه الصلاة والسلام: ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))(٢) خرجه الإمام مسلم في صحيحه، فهذان الحديثان وما جاء بمعناهما حجة قائمة، وبرهان ساطع على كفر تارك الصلاة وإن لم يجحد وجوبها.

---

(١) أخرجه أحمد في (باقي مسند الأنصار)، من (حديث بريدة الأسلمي – رضي الله عنه –)، برقم: ٢١٨٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان)، باب (بيان إطلاق اسم الكفر على تارك الصلاة)، برقم: ١١٦، ١١٧.

أما إن جحد وجوبها، فإنه يكفر بإجماع العلماء ولو صلى، أما السهو فيها فليس هو المراد في هذه الآية، وليس فيه الوعيد المذكور؛ لأنه ليس في مقدور الإنسان السلامة منه، وقد سها النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة غير مرة، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وهكذا غيره من الناس يقع منه السهو من باب أولى.

ومن السهو عنها: الرياء فيها؛ كفعل المنافقين.

فالواجب أن يصلي المؤمن لله وحده، يريد وجهه الكريم، ويريد الثواب عنده سبحانه وتعالى؛ لعلمه بأن الله فرض عليه الصلوات الخمس؛ فيؤديها إخلاصاً لله، وتعظيماً له، وطلباً لمرضاته - عز وجل - وحذراً من عقابه.

ومن صفات المصلين الموعودين بالويل: أنهم يمنعون الماعون، والماعون: فسر بـ: الزكاة وأنهم يمنعون الزكاة؛ لأن الزكاة قرينة الصلاة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[2].

---

(١) سورة البينة، الآية ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٣.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه العارية، وهي التي يحتاج إليها الناس ويضطرون إليها. وفسره قوم بـ: الدلو لجلب الماء، وبالقدر للطبخ ونحوه. ولكن منع الزكاة أعظم وأكبر.

فينبغي للمسلم أن يكون حريصاً على أداء ما أوجب الله عليه، وعلى مساعدة إخوانه عند الحاجة للعارية؛ لأنها تنفعهم، وتنفعه أيضاً ولا تضره.

١٠٥- كتب التفسير المفيدة

س: أريد أن تدلوني على بعض أسماء الكتب في التفسير والحديث والفقه للإفادة منها - وجزاكم الله خيراً - [(١)].

ج: من الكتب المفيدة في التفسير: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وابن سعدي، والشنقيطي.

ومن كتب الحديث المفيدة: الصحيحان، والسنن الأربع، و(منتقى الأخبار)، و(عمدة الحديث)، و(بلوغ المرام)، و(الأربعون النووية)، وتتمتها للحافظ ابن رجب: الجميع خمسون حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم من

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٤٧، في ١٤١٩/٣/١هـ.

جوامع الكلم. ومن كتب الفقه المفيدة: (المغني) للإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن قدامة – رحمه الله – و(المقنع) له أيضاً، و(الروض المربع شرح زاد المستقنع) بحاشية العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله -، و(شرح المهذب) للنووي – رحمه الله -. والله الموفق.

١٠٦- ملاحظات حول كتاب صفوة التفاسير للصابوني وتأويله لآيات الصفات

س: ما رأيكم في كتاب (صفوة التفاسير)، وقد نقل عن الصاوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم منبع الرحمات والتجليات، والصاوي يقول: الأخذ بظواهر القرآن والسنة كفر؟

ج: كل هذا غلط كله خطأ، ليس الرسول منبع الرحمات إلا بالتأويل إذا كان من جهة الشريعة، وإلا الرحمة من الله - عز وجل - هذه العبارة خاطئة غلط، وكذلك قوله: إن الأخذ بظاهر النصوص كفر.

وأن الصاوي كلامه وقوله قبيح منكر - نسأل الله العافية - فالكفر هو الضلال لو عقله، ولو كان يعقل ما يقول. هذا المنكر من المقالتين، لا قوله: منبع الرحمات والتجليات، ولا قوله: إنه لا يؤخذ بظاهر النصوص. كل هذا منكر عظيم – نعوذ بالله من ذلك -.

١٠٧- جمع المصحف على حرف واحد

س: هل صحيح أن عثمان – رضي الله عنه – عندما جمع القرآن في مصحف واحد حذف بعض الأحرف؟ أم أنه أثبت بعض القراءات دون بعض؟[١]

ج: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه))[٢]. وقال المحققون من أهل العلم: إنها متقاربة في المعنى مختلفة في الألفاظ.

وعثمان – رضي الله عنه – لما بلغه اختلاف الناس، وجاءه حذيفة – رضي الله عنه – وقال: أدرك الناس، استشار الصحابة الموجودين في زمانه؛ كعلي وطلحة والزبير وغيرهم، فأشاروا بجمع القرآن على حرف واحد حتى لا يختلف الناس، فجمعه – رضي الله عنه –.

وكوّن لجنة رباعية لهذا، ويرأسهم زيد بن ثابت – رضي الله عنه - فجمعوا القرآن على حرف واحد، وكتبه ووزعه في الأقاليم؛ حتى يعتمده

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ٢٠، ونشر في المجموع، ج٩ ص٣٦١.
(٢) رواه البخاري في (الخصومات)، برقم: ٢٢٤١، وفي (فضائل القرآن)، برقم: ٤٦٥٣، ومسلم في (صلاة المسافرين)، برقم: ١٣٥٤، والترمذي في (القراءات)، برقم: ٢٨٦٧.

الناس، وحتى ينقطع التراع. أما القراءات السبع أو القراءات العشر، فهي موجودة في نفس ما جمعه عثمان - رضي الله عنه - في زيادة حرف أو نقص حرف، أو مد، أو شكل للقرآن، كل هذا داخل في الحرف الواحد الذي جمعه عثمان – رضي الله عنه -.

والمقصود من ذلك: حفظ كلام الله، ومنع الناس من الاختلاف الذي قد يضرهم ويسبب الفتنة بينهم. والله - جل وعلا - لم يوجب القراءة بالأحرف السبعة؛ بل قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فاقرأوا ما تيسر منه)).

فجمع الناس على حرف واحد عمل طيب، ويشكر عليه عثمان والصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم -؛ لما فيه من التيسير والتسهيل، وحسم مادة الخلاف بين المسلمين.

١٠٨-تعدد القراءات لا يُغيرّ المعنى

س: يقولون: إن تعدد القراءات في القــرآن معنــاه اخــتلاف في القرآن؛ حيث يؤدي إلى معان ثانية؛ مثل آية الإسراء: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ عند يلقاه منشورا؟[1]

ج: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن نزل من عنــد الله على سبعة أحرف؛ أي لغات من لغات العرب ولهجاتها؛ تيسيراً لتلاوتهــا عليهم، ورحمة من الله بهم، ونقل ذلك نقلاً متواتراً، وصدَّق ذلك واقــع القرآن وما وجد فيه من القراءات؛ فهي كلها تتريل من حكيم حميد.

ليس تعددها من تحريف أو تبديل، ولا لبس في معانيها، ولا تناقض في مقاصدها ولا اضطراب، بل بعضها يصدق بعضاً ويبين مغزاه، وقد تتنوع معاني بعض القراءات؛ فيفيد كل منها حكماً يحقق مقصداً مــن مقاصــد الشرع، ومصلحة من مصالح العباد، مع اتساق معانيها وائتلاف مراســيها وانتظامها في وحدة تشريع محكمة كاملة، لا تعارض بينها ولا تــضارب فيها.

---

(١) نشر في (مجلة البحوث الإسلامية)، العدد: التاسع، عام ١٤٠٤هـــ، وفي كتاب (فتاوى إســلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٤٨.

فمن ذلك ما ورد من القراءات في الآية التي ذكرها السائل، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾(١).

فقد قرئ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ بضم النون وكسر الراء، وقرئ: (يَلْقَاهُ) بفتح الياء والقاف مخففة، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتاباً - هو صحيفة عمله - يصل إليه حال كونه مفتوحاً، فيأخذه بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقياً.

وقرئ: (يُلَقَّاه منشُوراً) بضم الياء وتشديد القاف، والمعنى: ونحن نخرج للإنسان يوم القيامة كتاباً — هو صحيفة عمله — يعطى الإنسان ذلك الكتاب حال كونه مفتوحاً، فمعنى كل من القراءتين يتفق في النهاية مع الآخر؛ فإن من يلقى إليه الكتاب فقد وصل إليه، ومن وصل إليه الكتاب فقد ألقي إليه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٢). قرئ (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال، بمعنى: يخبرون بالأخبار الكاذبة عن الله والمؤمنين. وقرئ (يُكَذّبون) بضم الياء وفتح الكاف

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠.

وتشديد الذال المكسورة، بمعنى: يكذبون الرسل فيما جاءوا به من عند الله من الوحي، فمعنى كل من القراءتين لا يعارض الآخر ولا يناقضه، بل كل منهما ذكر وصفاً من أوصاف المنافقين، وصفتهم الأولى: بالكذب في الخبر عن الله ورسله وعن الناس، وصفتهم الثانية: بتكذيبهم رسل الله فيما أُوحي إليهم من التشريع، وكلٌ حق؛ فإن المنافقين جمعوا بين الكذب والتكذيب.

ومن ذلك يتبين أن تعدد القراءات كان بوحي من الله؛ لحكمة لا عن تحريف وتبديل، وأنه لا يترتب عليه أمور شائنة، ولا تناقض أو اضطراب، بل معانيها ومقاصدها متفقة. والله الموفق.

١٠٩- قراءة القرآن بدون وضوء

س: هل يجوز قراءة القرآن بدون وضوء؟ ومن هم المطهرون؟(١)

ج: تجوز قراءة القرآن بدون وضوء إذا كان لا يمس المصحف، بل يقرأ عن ظهر قلب، أما مس المصحف فلا يجوز إلا على طهارة.

والمطهرون المذكورون في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٩٠، في ١٤٢٠/١/٢٠هـ.

الْمُطَهَّرُونَ﴾[1] هم: المتطهرون من الحدث الأكبر والأصغر - في قول بعض العلماء -. والصحيح: أن المراد بهم الملائكة.

وأما الجنب فلا يقرأ شيئاً من القرآن لا حفظاً ولا من المصحف؛ لما ثبت عن علي – رضي الله عنه – أنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحجزه شيء عن القرآن سوى الجنابة)).

١١٠- لا يمس القرآن إلا طاهر

س: ما حكم مس المصحف بدون وضوء، أو نقله أو تحريكه من مكان إلى آخر؛ علماً بأن الذي مسه طاهر في جسمه؟[2]

ج: مس المصحف على غير وضوء لا يجوز عند جمهور أهل العلم، والذي عليه الأئمة الأربعة – رحمة الله عليهم – وهو الذي كان يفتي به أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يمس القرآن إلا طاهر، وقد ورد في ذلك حديث صحيح لا بأس به من حديث عمرو بن حزم – رضي الله عنه – أن النبي - صلى الله عليه

(١) سورة الواقعة، الآية ٧٩.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٣.

وسلم: ((كتب إلى أهل اليمن أن لا يمس القرآن إلا طاهر))[1]. وهو حديث جيد له طرق يشد بعضها بعضاً.

هذا هو الواجب، وكذلك نقل المصحف أو تحريكه من مكان إلى مكان، لا ينقله إلا من كان طاهراً، أو إذا تم ذلك بواسطة، كأن يأخذه في لفافة، أو يكون المصحف في لفافة فيأخذه بالعلاقة، أما أخذه مباشرة بيديه وهو على غير طهارة، فلا يجوز على الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم. وأما القراءة فلا بأس أن يقرأ وهو محدث عن ظهر قلب، أو يقرأ ويمسك عليه القرآن من يرد عليه.. ويفتح عليه، فلا بأس.

لكن الجُنُب لا يقرأ؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحجزه شيء عن القراءة إلا الجنابة، فروى أحمد بإسناد جيد عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الغائط وتلا شيئاً من القرآن، وقال: ((هذا لمن ليس بجنب، أما الجنب فلا، ولا آية))[2].

(١) أخرجه مالك في (الموطأ)، برقم: ٤١٩، في كتاب (النداء للصلاة)، باب (الأمر بالوضوء لمن مس القرآن)،، والدارمي برقم: ١٢٦٦ في كتاب (الطلاق)، باب (لا طلاق قبل نكاح).

(٢) أخرجه أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، برقم: ٨٣٠.

المقصود: أن من عليه الجنابة لا يقرأ من المصحف ولا عن ظهر قلب حتى يغتسل، وأما من عليه الحدث الصغر وليس بجنب، فهذا يقرأ عن ظهر قلب، ولا يمس المصحف.

وهنا مسألة تتعلق بهذا، وهي الحائض والنفساء، وهل تقرآن أم لا تقرآن؟ في ذلك خلاف بين أهل العلم: فمنهم من قال لا تقرآن.

ومنهم من قال: تقرآن عن ظهر قلب دون مس المصحف؛ لأن مدتهما تطول - أي مدة الحيض والنفاس - وليس مثل الجنب؛ حيث يغتسل في الحال ويقرأ، ولكن فترة الحيض قد تطول وتصل إلى عشرة أيام أو نحوها، والنفساء كذلك تطول فترتها أكثر.

فالصواب: لا مانع من قراءتهما عن ظهر قلب، وهذا هو الأرجح، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة لما حاضت في الحج: ((افعلي ما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري))[1].

والحاج يقرأ القرآن، و لم يستثنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فدل ذلك على جواز القراءة لها، وهكذا قال لأسماء بنت عميس لما ولدت محمد بن أبي بكر في الميقات في حجة الوداع، هذا يدل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الحيض)، برقم: ٢٩٤، ١٥٤٠، باب (تقضي الحائض المناسك إلا الطواف بالبيت، ومسلم في (الحج)، برقم: ٢١١٤، ٢١١٥.

على أنها تقرأ، ولكن دون مس المصحف..

وأما حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن))[1]، فهو حديث ضعيف؛ في إسناده موسى بن عتبة، وفي إسناده ابن عياش عن موسى بن عتبة، وأهل العلم بالأحاديث يضعفون رواية موسى، ويقولون: إنه جيد في روايته عن أهل الشام بلاده، ولكنه ضعيف في روايته عن أهل الحجاز، وهذا الحديث من روايته عن أهل الحجاز؛ فيكون ضعيفاً.

١١١- لا يمس المصحف إلا مسلم

س: يعمل في طباعة المصحف بعض الكفرة ويقومون بإمساك المصحف، فما الحكم في ذلك مع توفر وجود غيره؟

ج: إذا استطعت أن تمنعهم امنعهم إذا كان لك سلطان امنعهم، ولا يمسك المصحف إلا مسلم، أما إذا ما كان لك سلطان فلا تمنعهم، ولا يضرك، والإثم على الدولة التي مكنتهم منه.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (الطهارة)، برقم: ١٢١، باب (ما جاء في الجنب والحائض أنهما لا تقرآن القرآن)، وابن ماجة في (كتاب الطهارة وسننها)، رقم: ٥٨٨، باب (ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة).

١١٢-حكم مس النصراني للمصحف

س: ما حكم مس النصراني للمصحف، وكذلك مسه لترجمة معاني القرآن الكريم؟[١]

ج: هذا فيه نزاع بين أهل العلم، والمعروف عند أهل العلم منع النصراني واليهودي وسائر الكفرة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، قال: ((لئلا تناله أيديهم))[٢]، فدل ذلك على أنهم لا يمكّنون منه.

وإنما يمكنون من السماع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾[٣]. الآية، يعني: يتلى عليهم حتى يسمعوه، ولكن لا يُدفع إليهم القرآن.

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك إذا رجي إسلام الكافر، واحتجوا على هذا بأنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل عظيم الروم قوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[٤]. الآية،

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٤١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة)، برقم: ٣٤٧٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

قالوا: هذه الآية العظيمة، آية من كتاب الله وقد كتبها إلى هرقل.

والصواب: أنه ليس بحجة، وإنما يدل على جواز الكتابة للآية والآيتين من كتاب الله. أما تسليم المصحف، فليس بثابت عنه صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة لترجمة معاني القرآن فلا حرج في أن يمسه الكافر؛ لأن المترجم معناه أنه كتاب تفسير وليس بقرآن، أي أن الترجمة تفسير لمعاني القرآن، فإذا مسه الكافر أو من ليس على طهارة فلا حرج؛ لأنه ليس له حكم القرآن.

وحكم القرآن يختص بما إذا كان مكتوباً بالعربية وحدها وليس فيه تفسير، أما إذا كان معه الترجمة فحكمه حكم التفسير، والتفسير يجوز أن يحمله المحدث والمسلم والكافر؛ لأنه ليس كتاب القرآن، ولكنه يعتبر من كتب التفسير.

١١٣- الواجب إتلاف الصحف والأوراق المشتملة على الآيات والذكر بعد الفراغ منها

س: إننا نجد بعض آيات القرآن الكريم في بعض الصحف والمذكرات، كما أننا نجد "بسم الله الرحمن الرحيم " في بداية بعض الأوراق والرسائل، فماذا نصنع بهذه الآيات بعد أن نفرغ من قراءة الصحيفة أو المستند أو الرسالة. هل نقوم بتمزيقها، أم حرقها، أم ماذا نصنع بها؟[١]

ج: الواجب بعد الفراغ من الصحف والأوراق المذكورة حفظها أو إحراقها، أو دفنها في أرض طيبة؛ صيانة للآيات القرآنية وأسماء الله سبحانه من الامتهان، ولا يجوز إلقاؤها في القمامات، ولا طرحها في الأسواق، ولا اتخاذها ملفات للحاجات، ولا فراشاً للطعام ونحو ذلك؛ لما في هذا العمل من الامتهان لها وعدم الصيانة.

والله ولي التوفيق.

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٥، كما نشر في (جريدة العالم الإسلامي)، في ١٤٢٠/١/١٠هـ، ونشرت في (مجلة اقرأ)، العدد: ٧٧٣، في ١٤١٠/١٢/٢٠هـ.

١١٤- طهارة قارئ القرآن من المصحف واجبة

س: هل المدرس الذي يدرس تلاميذه القرآن من المصحف الشريف يجب عليه أن يكون طاهراً أم لا يشترط طهارته؟[(١)]

ج: المدرس وغيره في هذا الباب سواء، ليس له أن يمس المصحف وهو على غير طهارة عند جمهور أهل العلم، ومنهم الأئمة الأربعة – رحمة الله عليهم -؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن حزم: ((لا يمس القرآن إلا طاهر))[(٢)]، وهو حديث جيد الإسناد، رواه أبو داود وغيره متصلاً ومرسلاً، وله طرق تدل على صحته واتصاله، وبذلك أفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، - ورضي الله عنهم – والله ولي التوفيق.

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٦.

(٢) أخرجه مالك في (الموطأ)، برقم: ٤١٩، في كتاب (النداء للصلاة)، باب (الأمر بالوضوء لمن مس المصحف)، والدارمي برقم: ٢١٦٦ في كتاب (الطلاق)، باب (لا طلاق قبل نكاح).

١١٥- حكم قراءة القرآن للحائض والنفساء

س: اعتدت يا سماحة الشيخ أن أقرأ بعض السور من القرآن الكريم قبل النوم، ولكن هناك أياماً لا يمكنني أن أقرأ فيها بسبب الدورة الشهرية، فهل يجوز أن أكتب السور في ورقة واقرأها أيام الدورة الشهرية؟[1]

ج: يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن في أصح قولي العلماء؛ لعدم ثبوت ما يدل على النهي عن ذلك بدون مس المصحف، ولهما أن يمسكاه بحائل كثوب طاهر ونحوه، وهكذا الورقة التي كتب فيها القرآن عند الحاجة إلى ذلك. والله ولي التوفيق.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٧.

١١٦- حكم قراءة الحائض للأذكار والأدعية

س: هل يجوز للحائض قراءة الأدعية يوم عرفة على الرغم من أن بها آيات قرآنية؟[١]

ج: لا حرج أن تقرأ الحائض والنفساء الأدعية المكتوبة في مناسك الحج، ولا بأس أن تقرأ القرآن - على الصحيح أيضاً -؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح يمنع الحائض والنفساء من قراءة القرآن، إنما ورد في الجنب خاصة بأن لا يقرأ القرآن وهو جنب؛ لحديث علي – رضي الله عنه وأرضاه -. أما الحائض والنفساء، فورد فيهما حديث ابن عمر ((لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن))، ولكنه ضعيف؛ لأن الحديث من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين، وهو ضعيف في روايته عنهم.

ولكنها تقرأ دون مس المصحف عن ظهر قلب، أما الجنب فلا يجوز له أن يقرأ القرآن - لا عن ظهر قلب ولا من المصحف - حتى يغتسل.

والفرق بينهما: أن الجنب وقته يسير، وفي إمكانه أن يغتسل في الحال من حين يفرغ من إتيانه أهله، فمدته لا تطول، والأمر بيده متى شاء اغتسل، وإن عجز عن الماء تيمم

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٥.

وصلى وقرأ. أما الحائض والنفساء فليس بيدهما وإنما هو بيد الله - عز وجل - فمتى طهرت من حيضها أو نفاسها اغتسلت، والحيض يحتاج إلى أيام، والنفاس كذلك؛ ولهذا أبيح لهما قراءة القرآن لئلا تنسيانه، ولئلا يفوتهما فضل القراءة، وتعلم الأحكام الشرعية من كتاب الله، فمن باب أولى أن تقرأ الكتب التي فيها الأدعية المخلوطة من الأحاديث والآيات، إلى غير ذلك.

هذا هو الصواب، وهو أصح قولي العلماء – رحمهم الله – في ذلك.

١١٧- هل يسجد للتلاوة من لم يكن على طهارة؟

س: الأخ / م. م. ص. من اللاذقية في سوريا يقول في سؤاله: إذا كنت أقرأ القرآن الكريم وأنا غير مستقبل القبلة، ومررت بآية فيها سجدة تلاوة، فهل أسجد؟ وهل يشترط لسجدة التلاوة أن يكون الإنسان على طهارة؟ وإذا كنت أقرأ القرآن الكريم وأنا مسافر بالسيارة أو الطائرة، ومررت بآية فيها سجدة تلاوة، فهل أسجد وأنا على الكرسي؟ وماذا لو

مررت بها وأنا جالس على الكرسي في المكتب أو المترل؟ نرجو التكرم بالإجابة - جزاكم الله خيراً - [(١)].

ج: السنة لمن مر بآية السجدة في حال قراءته أن يسجد؛ تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه – رضي الله عنهم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بين أصحابه، فإذا مر بآية فيها سجدة سجد وسجدوا معه. والسنة استقبال القبلة إذا تيسر ذلك، وسجدة التلاوة ليست مثل الصلاة؛ بل هي خضوع لله، وتأسٍ برسوله صلى الله عليه وسلم فلا يشترط لها شروط الصلاة؛ لعدم الدليل على ذلك.

ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن في مجلسه بين أصحابه، فإذا مر بآية السجدة سجد وسجدوا معه، ولم يقل لهم: لا يسجد إلا من كان على طهارة، والمجالس تجمع من هو على طهارة ومن هو على غير طهارة، فلو كانت الطهارة شرطاً لنبههم النبي إلى ذلك؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أنصح الناس، وقد أمره الله بالبلاغ، ولو كانت الطهارة شرطاً في سجود التلاوة لأبلغهم بذلك – رضي الله عنهم – ولو بلغهم لنقلوا ذلك لمن بعدهم، كما نقلوا عنه سيرته وأحاديثه عليه الصلاة والسلام.

فإذا كان القارئ في الطائرة أو السيارة أو الباخرة أو

(١) نشر في (المجلة العربية) ربيع أول ١٤١٧هـ.

على دابة في السفر، فإنه يسجد إلى جهة سيره، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك في أسفاره في صلاة النافلة، وإن تيسر له استقبال القبلة حال صلاة النافلة عند الإحرام، ثم يتجه إلى جهة سيره فذلك أفضل؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث. والله ولي التوفيق.

١١٨- جواز مس كتب التفسير بدون طهارة

س: هل يجوز الإمساك بالمصحف المفسر بدون طهارة؛ والمقصود هو المصحف الذي على جوانبه تفسير للقرآن الكريم؛ أي أنه " قرآن وتفسير "؟ نرجو من سماحتكم إفادتنا(١).

ج: يجوز إمساك كتب التفسير من غير حائل، ومن غير طهارة؛ لأنها لا تسمى مصحفاً، أما المصحف المختص بالقرآن فقط فلا يجوز مسه لمن لم يكن على طهارة؛ لقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا**

---

(١) نشر في (المجلة العربية) ربيع أول ١٤١٧هـ.

﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يمس القرآن إلا طاهر)). والأصل في الطهارة المطلقة في العرف الشرعي هي: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، كما فهم ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و لم يحفظ عن أحد منهم – فيما نعلم – أنه مس المصحف وهو على غير طهارة، وهذا هو قول جمهور أهل العلم، وهو الصواب. والله الموفق.

١١٩- الأفضل وضع المصحف في مكان مرتفع أثناء سجود التلاوة

س: إذا كنت أقرأ القرآن ووصلت إلى آية فيها سجدة، فهل يجوز لي أن أضع المصحف – شرفه الله – على الأرض حتى أفرغ من سجدة التلاوة، أم لابد من وضعه على شيء مرتفع؟ [2]

ج: لا حرج في وضعه في الأرض إذا كانت طاهرة وقت سجود التلاوة، وإذا تيسر مكان مرتفع وضعه فيه، أو تسليمه إلى أخيك الذي بجوارك - إن وجد - حتى تفرغ من السجود؛

(١) سورة الواقعة، الآيات ٧٧ - ٧٩.

(٢) نشر في جريدة العالم الإسلامي، الاثنين ١٣ – ١٩ رجب ١٤١٩هـ.

لأن ذلك من تعظيمه والعناية به، ولئلا يظن بعض النـــاس أنـــك أردت إهانته، أو قلة المبالاة به. وبالله التوفيق.

١٢٠- حكم مس المصحف للصغير

س: عندنا مدرسة أطفال يحفظون القـــرآن الكـــريم، ولا يمكنـــهم الالتزام بالطهارة دائماً، هل يلزم الأطفال الوضوء لمس المصحف؟[١]

ج: يلزم وليهم أن يأمرهم بذلك، وهكذا الأستاذ الذي يعلمهـــم إذا كانوا أبناء سبع سنين فأكثر؛ لأن المصحف لا يجوز أن يمـــسه إلا طـــاهر للأدلة الشرعية الواردة في ذلك، أما دون سبع فلا يُمَكَّـــن مـــن مـــس المصحف لو توضأ؛ لأنه لا وضوء له لعدم تمييزه.

(١) نشر في (جريدة الندوة)، العدد: ١٢٠٨٠، في ١٤١٩/٤/٤هـ.

١٢١- حكم مس الكافر لترجمة معاني القرآن

س: يوجد لديَّ ترجمة لمعاني القرن الكريم باللغة الإنجليزية، فهل يجوز أن يمسها الكافر؟[(١)]

ج: لا حرج أن يمس الكافر ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، أو غيرها من اللغات؛ لأن الترجمة تفسير لمعاني القرآن، فإذا مسها الكافر أو من ليس على طهارة فلا حرج في ذلك؛ لأن الترجمة ليس لها حكم القرآن، وإنما لها حكم التفسير، وكتب التفسير لا حرج أن يمسها الكافر، ومن ليس على طهارة، وهكذا كتب الحديث والفقه واللغة العربية. والله ولي التوفيق.

(١) نشر في (مجلة الدعوة)، في ١/٢/١٤١٧هـ.

١٢٢- حكم مس كتب التفسير من غير وضوء

س: هناك بعض الكتب يكون القرآن مكتوباً فيها كاملاً في وسط الكتاب، وفي الأعلى وعن شمال ويمين مكتوب فيها تفسير مختصر للآيات؛ مثل (تفسير الجلالين)، هل يجوز مس مثل هذه الكتب وقراءة القرآن منها وأنا غير متوضئ؟[1]

ج: هذه لها حكم التفسير، مادامت كتب تفسير لها حكم التفسير، فلك أن تقرأ فيها، ولك أن تحملها وأنت على غير وضوء.

أما الجنب فلا يقرأ القرآن حتى يغتسل، لا يقرأ لا من المصحف ولا من غيره حتى يغتسل، أما غير الجنب فله أن يمس كتب التفسير والحديث والفقه.

١٢٣- فضل قراءة القرآن بتدبر

س: الأخت / ع. م. أبو سعيد من الدار البيضاء في المغرب. تقول في رسالتها: هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن في المصحف أو عن ظهر قلب؟ وإذا قرأت القرآن في المصحف

(١) (نور على الدرب)، شريط رقم: ٥، حج عام ١٤١٨هـ.

فهل تكفي القراءة بالعينين، أم لابد من تحريك الشفتين؟ وهل يكفي تحريك الشفتين أم لابد من إخراج الصوت؟ نرجو التفصيل يا سماحة الشيخ؟[1]

ج: لا أعلم دليلاً يفرق بين القراءة في المصحف أو القراءة عن ظهر قلب، وإنما المشروع التدبر وإحضار القلب - سواء قرأ من المصحف أو عن ظهر قلب -.

وإنما تكون قراءة إذا سمعها، ولا يكفي نظر العينين، ولا استحضار القراءة من غير تلفظ، والسنة للقارئ أن يتلفظ ويتدبر، كما قال الله - عز وجل -: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2]، وقال - عز وجل -: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[3].

وإذا كانت القراءة عن ظهر قلب أخشع لقلبه، وأقرب إلى تدبر القرآن فهي أفضل، وإن كانت القراءة من المصحف أخشع لقلبه، وأكمل في تدبره كانت أفضل. والله ولي التوفيق.

---

(١) السؤال من (المجلة العربية).

(٢) سورة ص، الآية ٢٩.

(٣) سورة محمد، الآية ٢٤.

١٢٤- الحث على قراءة القرآن بالتدبر

س: كم يوماً يحتاج الإنسان إلى ختم القرآن بالفهم والتدبر؟ وهل إذا ختم القرآن في شهرين يكون قد تأخر في قراءته؟ أفيدونا - أفادكم الله -.[١]

ج: النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: ((اقرأ القرآن في شهر))، فلم يزل يقول: زدني يا رسول الله، حتى قال: ((اقرأه في أسبوع))[٢] ثم طلب الزيادة إلى ثلاث.

وكان الصحابة يقرأون في أسبوع، فالأفضل في أسبوع، وإذا تيسر في الثلاثة أيام فلا بأس، لكن مع العناية بالتدبر والتعقل والخشوع.

وإذا قرأ الإنسان القرآن في شهر أو شهرين فلا حرج، لكن مع التدبر، وإذا رتب الإنسان القراءة كل شهر؛ يقرأ كل يوم جزءاً فهذا حسن، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن

---

(١) من برنامج (نور على الدرب).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن)، برقم: ٤٦٦٤ – ٤٦٦٦، باب (في كم يقرأ القرآن؟)، ومسلم في كتاب (الصيام)، برقم: ١٩٦٣، ١٩٦٤، باب (النهي عن صوم الدهر).

العاص: ((اقرأه في شهر، فالحسنة بعشر أمثالها)) فالمقصود: أن يتحرى في قراءته الخشوع والتدبر والتعقل والاستفادة، فمن قرأه في شهر أو شهرين أو أقل أو أكثر فلا حرج، لكن يكره أن يكون ذلك في أقل من ثلاث، فأقل شيء ثلاثة أيام يقرأ في ثلاثة أيام ولياليها؛ في كل يوم وليلة عشرة أجزاء، هذا أقل ما ورد.

١٢٥- حكم من ينظر في المصحف دون تحريك الشفتين

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز - سلمه الله -.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن بعض الناس يأخذون المصحف ويطالعون فيه دون تحريك شفتيهم. هل هذه الحالة ينطبق عليها اسم قراءة القرآن، أم لابد من التلفظ بها؛ والإسماع؛ لكي يستحقوا بذلك ثواب قراءة القرآن؟ وهل المرء يثاب على النظر في المصحف؟ أفتونا - جزاكم الله خيراً -.(١)

---

(١) نشر في المجموع، ج٨.

ج: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لا مانع من النظر في القرآن من دون قراءة؛ للتدبر والتعقل وفهم المعنى، لكن لا يعتبر قارئاً، ولا يحصل له فضل القراءة إلا إذا تلفظ بالقرآن، ولو لم يُسمع من حوله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه))[1] رواه مسلم.

ومراده صلى الله عليه وسلم بأصحابه: الذين يعملون به، كما في الأحاديث الأخرى، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها))[2] خرجه الترمذي والدارمي بإسناد صحيح.

ولا يعتبر قارئاً إلا إذا تلفظ بذلك كما نص على ذلك أهل العلم. والله ولي التوفيق.

(١) أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، برقم: ١٣٣٧، باب (فضل قراءة القرآن)، وأحمد في (باقي مسند الأنصار)، برقم: ٢١١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب (فضائل القرآن)، برقم: ٢٨٣٥، باب (ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر).

١٢٦- حكم قراءة القرآن الكريم لمن لا يجيد قواعد اللغة العربية

س: لي قريب يحب قراءة القرآن الكريم، غير أنه لا يجيد قواعد اللغة العربية والتلاوة، فماذا يفعل؟[١]

ج: عليه أن يجتهد في قراءة القرآن، ويتدبر ولا يعجل، ويقرأ على من هو أعلم منه؛ حتى يعلمه ما يجهل، ولا ييأس، وله أجر عظيم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق ويتتعتع فيه له أجران))[٣] متفق عليه.

---

(١) نشر في (مجلة الدعوة)، العدد رقم: ١٥٢٠، في ١٤١٦/٧/١٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري في (فضائل القرآن)، برقم: ٤٦٣٩، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

(٣) رواه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، برقم: ١٣٢٩، وابن ماجة في (الآداب)، برقم: ٣٧٦٩.

١٢٧- حكم نسيان الآيات

س: الأخت / م. م. ع. من صنعاء تقول في سؤالها:

حفظت جزءاً كاملاً من القرآن الكريم، ولعدم وجود من يسمع لي باستمرار نسيته، فهل عليَّ ذنب؟ وهل أعيد حفظه؟[١]

ج: ليس عليك إثم – إن شاء الله – في ذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٢]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني))[٣]؛ ولأن النسيان يغلب على الإنسان ولا يستطيع السلامة منه. أما ما ورد في ذلك من الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو ضعيف.

ويشرع لك أن تجتهدي في حفظ ما تيسر من كتاب الله، ولاسيما حزب المفصل؛ حتى تستطيعي بذلك القراءة في صلاتك

---

(١) ضمن أسئلة (المجلة العربية)، في ٢٩/٥/١٤١٧هـ، ونشر في المجموع، ج٩ ص٣٠٩.

(٢) سورة طه، الآية ١١٥.

(٣) رواه البخاري في كتاب (الصلاة)، برقم: ٣٨٦، واللفظ له، ورواه مسلم في (المساجد ومواضع الصلاة)، برقم: ٨٨٩، ٨٩١، ٨٩٣.

بما تيسر منه بعد الفاتحة، فحفظها واجب؛ لأنها ركن في الصلاة في كل ركعة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))[1] متفق على صحته.

وبذلك يعلم أن قراءتها ركن في الصلاة - في الفريضة والنافلة، في حق الإمام والمنفرد —.

أما المأموم فهي واجبة في حقه - على الصحيح من أقوال العلماء - وتسقط في حقه بالنسيان والجهل، وفيما إذا أدرك الإمام راكعاً أو عند الركوع و لم يتمكن من قراءتها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعلكم تقرأون خلف إمامكم))، قلنا: نعم. قال: ((لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها))[2] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان بإسناد صحيح، عن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه.

ولما ثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة — رضي الله عنه أنه أتى إلى المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف ثم دخل في الصف، فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر له ذلك، فقال - عليه الصلاة

(١) رواه البخاري في (الأذان)، برقم: ٧١٤، ومسلم في (الصلاة)، برقم: ٥٩٥.

(٢) رواه أبو داود في (الصلاة)، برقم: ٧٠١، وأحمد في (مسند الشاميين)، برقم: ١٧٣٧٦، وفي (مسند البصريين)، برقم: ١٩٦٩٠.

والسلام -: ((زادك الله حرصاً ولا تعد))[1] و لم يأمره بقضاء الركعة؛ فدل ذلك على أن المأموم إذا لم يدرك القراءة مع الإمام لكونه أتى قرب الركوع، فإن الركعة تجزئه، ومثل ذلك من نسيها أو جهلها من المأمومين كسائر الواجبات في الصلاة. والله ولي التوفيق.

١٢٨ - الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة

س: ما رأي سماحتكم في رجل يقرأ القرآن الكريم وهو لا يحسن القراءة؛ بسبب أنه لم يحصل على قسط وافر من التعليم، وهو في قراءته يلحن لحناً جلياً؛ بحيث يتغير مع قراءته المعنى، ويحتج بحديث عائشة – رضي الله عنها -: " الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به... ". الحديث؟[2]

ج: عليه أن يجتهد ويحرص على أن يقرأه على من هو أعلم

(١) رواه البخاري في (الأذان)، برقم: ٧٤١، والنسائي في (الإمامة)، برقم: ٨٦١، وأحمد في (مسند البصريين)، برقم: ١٩٥١٠.

(٢) من ضمن الأسئلة التي طرحت على سماحته، بعد المحاضرة التي ألقاها في جامع الطائف بتاريخ ١٤١٢/٢/٥هـ، ونشر في هذا المجموع، ج٧ ص١٨٦.

منه، ولا يدع القراءة؛ لأن التعلم يزيده خيراً، والحديث المذكور حجة له، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق ويتتعتع فيه له أجران))[1] رواه مسلم، ومعنى يتتعتع: قلة العلم بالقراءة، وهكذا قوله: ((وهو عليه شاق))؛ معناه: قلة علمه بالقراءة.

فعليه أن يجتهد ويحرص على تعلم القراءة على من هو أعلم منه، وفي ذلك فضل عظيم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) خرجه البخاري في صحيحه، فخيار المسلمين هم أهل القرآن؛ تعلُّماً وتعليماً وعملاً ودعوةً وتوجيهاً.

والمقصود من العلم والتعلم هو العمل، وخير الناس من تعلم القرآن وعمل به وعلَّمه الناس، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((اقرأوا هذا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة)) رواه مسلم في صحيحه، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((القرآن حجة لك أو عليك))[2]. خرجه مسلم أيضاً في صحيحه، والمعنى: أنه حجة لك إن عملت به، أو حجة عليك إن لم تعمل به. والله أعلم.

(١) رواه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، برقم: ١٣٢٩، وابن ماجة في (الآداب)، برقم: ٣٧٦٩.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الطهارة)، برقم: ٣٢٨، باب (فضل الوضوء).

١٢٩ - من يقرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران

س: ما حكم من يقرأ القرآن وهو يخطئ في التشكيل؟ هل يؤجر على ذلك؟[١]

ج: يشرع للمؤمن أن يجتهد في القراءة ويتحرى الصواب، ويقرأ على من هو أعلم منه؛ حتى يستفيد ويستدرك أخطاءه، وهو مأجور ومثاب، وله أجره مرتين إذا اجتهد وتحرى الحق؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق ويتتعتع فيه له أجران))[٢] متفق على صحته عن عائشة – رضي الله عنها - وهذا لفظ مسلم.

(١) من أسئلة (المجلة العربية)، في ١٤١٦/١٢/٢٦هـ، ونشر في المجموع، ج٩ ص٤١٦.
(٢) رواه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، برقم: ١٣٢٩، وابن ماجة في (الآداب) برقم: ٣٧٦٩.

١٣٠ -المقصود
من قراءة القرآن: التدبر والعمل

س: شخص يجيد القراءة – ولله الحمد – فهل الأفضل في حقه الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في المصحف، أم الاستماع إلى أحد القراء عبر الأشرطة المسجلة؟[١]

ج: الأفضل أن يعمل بما هو أصلح لقلبه، وأكثر تأثيراً فيه من القراءة أو الاستماع؛ لأن المقصود من القراءة هو: التدبر والفهم للمعنى، والعمل بما يدل عليه كتاب الله - عز وجل - كما قال الله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾[٤] الآية.

---

(١) نشر في (فتاوى إسلامية)، جمع محمد المسند، ج٤، ص: ٣٧.
(٢) سورة ص، الآية ٢٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.
(٤) سورة فصلت، الآية ٤٤.

١٣١- الحث على دراسة القرآن وحفظه

س: سماحة الشيخ: حلق جماعات تحفيظ القرآن الكريم في هذا البلد المبارك نفع الله بها نفعاً عظيماً. بماذا توجهون معلمي هذه الحلق وطلابها؟(١)

ج: نوجههم، نوصيهم بتقوى الله، والاستمرار في هذا الخير، والصبر على هذا الخير، والإخلاص لوجه الله - جل وعلا - في التعلم والتعليم؛ لأن تعلم القرآن وحفظ القرآن من أهم القربات ومن أفضل القربات، فنوصي الجميع - المعلم والمتعلم - نوصيهم بتقوى الله، والعمل بما علموا، والإخلاص لله في العمل؛ حتى يبارك الله في أعمالهم، وحتى يُوفّقوا في أعمالهم. ألا وهي: أن الطالب يتعلم أن يستفيد ويعمل، والمعلم يقصد وجه الله في تعليم الطالب وتوجيهه إلى الخير، يرجو من عند الله المثوبة - وإن أخذ أجرة - يرجو ما عند الله ويحتسب الأجر، وينصح في تعليمه، ويجتهد في الأسباب التي توصل المعلومات إلى الطالب وتستقر في ذهنه؛ فهذا يتقي الله،

(١) نشر في جريدة (الرياض)، العدد: ١٠٧٦٣، وتاريخ ١٢/٨/١٤١٨هـ.

وهذا يتقي الله، يكون عند كل واحد إخلاص ورغبة في الخير، وأن يتعلم ما يرضي الله ويقرب لديه، وأن يستعين بما أعطاه الله من علم على طاعة الله.

١٣٢ -حكم تعلم تجويد القرآن الكريم

س: إنني فتاة قائمة بتعاليم ديني – والحمد لله – ولكن قراءتي للقرآن لا أعرف أن أُجوّد القرآن أو أن أرتله كما يجب، ولا يوجد من يعلمني، فهل أقرأ القرآن على حالتي تلك؟ وجهوني جزاكم الله خيراً[(١)].

ج: عليك أن تجتهدي في قراءة القرآن بتأمل وعناية، ولا حرج عليك؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق ويتتعتع فيه له أجران)).

فأنت اجتهدي في قراءة القرآن، وتأملي الحروف، والحرص على النطق الجيد، وإذا تيسر لك من يعلمك؛ من أخيك أو أبيك أو غيرهما، أو امرأة تجيد القراءة تقرأين عليها فاحرصي، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(١) من برنامج (نور على الدرب).

١٣٣ -لا يجوز الكف
عن تدريس القرآن خشية الثناء أو المدح

س: سائل من مصر يقول: أنا أقوم بتعليم قراءة القرآن الكريم لوجه الله – تعالى - بعد صلاة العشاء من كل يوم؛ وذلك لأجناس مسلمة غير عربية - من باكستانيين وهنود وصوماليين، وغير ذلك - في موقع السكن؛ حيث إننا نسكن في مجمع سكني يوجد به مسجد أقامه أهل الخير – بارك الله فيهم -.

وقد قمت منذ وصولي بتدريس القرآن لهؤلاء الناس، وبدأوا معي بداية طيبة، والآن أصبحوا يقرأون، وكثير منهم استغنى عني، ولازلت أواصل عليها.

ولكن المشكلة أهم يشكرونني ويبالغون في الثناء عليّ وفي مدحي، وأنا أخشى من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – في الثلاثة الذين يدخلون النار، ومنهم قارئ القرآن حيث يقول الله له: " قرأت ليقال عنك قارئ وقد قيل "[١]. وأنا في الحقيقة أستنكر فعلهم هذا

(١) رواه مسلم في كتاب (الإمارة)، باب (من قاتل للرياء والسمعة استحق النار)، برقم: ٣٥٢٧.

وأردهم عنه، لكن ما ذنبي في أهم يقولونه، هل عليّ ذنب أن أوقف القراءة، أم ماذا أفعل؟[1]

ج: أنت على كل حال مشكور على هذا العمل الطيب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[2]، فأنت مشكور على عملك، وأنت على أجر عظيم، ولا حرج عليك مادمت مخلصاً لله في عملك هذا، ولا يضرك ثناؤهم عليك، وعليك أن تنصحهم وتوصيهم بعدم المبالغة في الثناء، أو يكفي الدعاء لك بدلاً من الثناء. زادك الله من النشاط والتوفيق.

أما الوعيد الوارد في الحديث فهو لمن قرأ ليقال هو قارئ، وتعلّم ليقال عالم ، أما من علم الناس يريد ثواب الله ويطلب الأجر منه سبحانه وتعالى فإنه لا يضره ثناء الناس مادام مخلصاً لله سبحانه في عمله. والله الموفق.

---

(١) نشر في مجلة (البحوث الإسلامية)، العدد: ٤٩، ص: ١٣٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، برقم: ٥٠٢، والبخاري في كتاب (فضائل القرآن)، برقم: ٥٠٢٧.

١٣٤ -حكم من حفظ القرآن ثم نسيه

س: هل يأثم من حفظ القرآن ثم نسيه بعد ذلك لانشغاله بأمور حياته؟[١]

ج: الصحيح أنه لا يأثم بذلك، ولكن يشرع للمسلم العناية بمحفوظه من القرآن وتعاهده حتى لا ينساه؛ عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((تعاهدوا هذا القرآن؛ فوالذي نَفْسُ محمد بيده إنه لأشد تفلُّتاً من الإبل في عقلها))[٢].

وإنما المهم الأعظم: العناية بتدبر معانيه والعمل به؛ فمن عمل به فهو حجة له، ومن ضيعه فهو حجة عليه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((والقرآن حجة لك أو عليك)) رواه مسلم في صحيحه، من حديث الحارث الأشعري في حديث طويل.

---

(١) نشر في (فتاوى إسلامية)، من جمع محمد المسند، ج٤، ص: ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها)، برقم: ١٣١٧، باب (الأمر بتعهد القرآن)، وأحمد في (أول مسند الكوفيين)، برقم: ١٨٧٢٥.

١٣٥ -الاستماع إلى القرآن عبادة

س: أنا شاب في يوم رأيت شاباً يستمع إلى الغناء، وأنا أعلم أنه حرام، وأحببت أن أنصحه، فبعد أن نصحته سألني يقول: ماذا تستفيد من القرآن؟ فقلت: الاستماع للقرآن عبادة وتفقه في الدين، قال: أنا أستفيد مثلما تستفيد من القرآن، فما حكم ذلك؟[١]

ج: هذا قول منكر، لا يقوله من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة القرآن، وأنه كلام الله، ويخشى على صاحبه من الردة عن الإسلام، إذا كان يعتقد أنه يستفيد من الأغاني كما يستفاد من القرآن.

فنسأل الله العافية والسلامة من زيغ القلوب وزلات اللسان؛ إنه سميع قريب.

وينبغي أن يقال لهذا الشاب الجاهل وأمثاله إذا قال: ماذا تستفيد من القرآن؟ إنني أستفيد من القرآن ما فيه صلاحي وهدايتي، وما فيه نجاتي وصلاح قلبي وعملي، وما فيه سلامة ديني ودنياي،

(١) من ضمن الأسئلة التابعة لمحاضرة عنوانها: (السنة ومكانتها)، ونشر في المجموع، ج٩ ص٣٨٧.

وأستفيد منه مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال التي ترضي الله وتقرب لديه، فإن القرآن الكريم يدعو إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعلمنا فرائض الله التي علينا، ويعلمنا ما نهى الله عنه، ويعلمنا طريق الرسل قبلنا، ويعلمنا صفات الأنبياء والمؤمنين، يعلمنا صفات أهل الجنة وأخلاقهم، يعلمنا صفات أهل النار وأخلاقهم، كل هذا في القرآن العظيم.

وهل هناك فائدة أكبر من هذه الفائدة؟! هل هناك في الدنيا شيء أكبر من هذه الفوائد؟! أن تعلم ما يرضي الله عنك، وما يغضبه عليك، وأن تعلم أسمائه سبحانه وصفاته، وأن تعلم صفات الأبرار والأخيار والمؤمنين؛ حتى تأخذ بها، وأن تعلم صفات أهل الأشرار والكفار وأهل النار؛ حتى تحذرها. هل هناك شيء أفضل من هذا؟!

أما الغناء، فإنه لا يستفيد منه إلا مرض قلبه، وانحرف عن الهدى، وزاغ عن الحق، هذه الفائدة من الغناء، قال ابن مسعود – رضي الله عنه – فيما صح عنه: ((الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل))(١)، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢). **(من يشتري)**: أي

(١) رواه أبو داود في (الأدب)، برقم: ٤٢٧٩.

(٢) سورة لقمان، الآية ٦.

يعتاض، **(من الناس)**: هذا ذم لبعض الناس، **(يشتري)**: يعتاض، **(الحديث)**، قال أكثر المفسرين: معناه الغناء، وذهب بعضهم إلى تفسير لهو الحديث بالغناء وآلات الملاهي والطرب، وكل صوت يصد عن الحق فكله داخل في لهو الحديث.

ثم قال بعدها: ﴿**لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ وقرأ بعضهم: ﴿**لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ بفتح الياء، فدل على أن اعتياض الأغاني فيه ضلال عن سبيل الله، وإضلال عن سبيل الله، يعني: عاقبة لهو الحديث الضلال والإضلال – نسأل الله العافية -.

ثم من فوائده الخطيرة: أنه سبب لاتخاذ آيات الله هزواً؛ يعني: أنه يدعو صاحبه بعد ذلك إلى الاستهزاء بالقرآن، وعدم الأنس بقراءته، والاستكبار عن سماعه أيضاً – نعوذ بالله من ذلك -؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا**﴾[١].

فهذه فوائد الغناء: الضلال، والإضلال، والسخرية بسبيل الله، والاستكبار عن سماع آيات الله –. نعوذ بالله من ذلك - ونسأله سبحانه لنا وللمسلمين العافية من كل ما يغضبه.

---

(١) سورة لقمان، الآية ٧.

١٣٦- دعوة إلى المساهمة المادية في تحفيظ القرآن الكريم(١)

إن (الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم) بمنطقة الرياض قد أنشئت منذ سنوات، وافتتحت عدداً من الحلق في المساجد، وامتد نشاطها إلى مناطق واسعة من المملكة، واحتضنت أعداداً كبيرة من أبناء المسلمين وبناهم ونفع الله بها وظهرت آثارها وقامت بافتتاح معهد خاص لتعليم القرآن ومبادئ العلوم الإسلامية بالرياض، وذلك في ظل الرعاية التي توليها الدولة لها.

إن الجماعة تعتمد في أعمالها على الله، ثم على ما تتلقاه من حكومتنا – وفقها الله – بواسطة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، وما تتلقاه من تبرعات المحسنين؛ ولهذا، فإن المساهمة المادية في تعليم القرآن وتيسير ذلك للمسلمين تعتبر خدمة لكتاب الله – وهو يبقى – وأجر لا ينقطع؛ لما ثبت عن رسول الله صلى

(١) نشر في جريدة (الرياض)، في ٢٢/١٢/١٤١٥هـ، عدد: ٩٨٢٧. وفي المجموع، ج٩ ص٢٥٦.

الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))(١)، والإنفاق في هذا من الصدقة الجارية والعلم النافع.

١٣٧ -لا يجوز قراءة القرآن الكريم بأجرة للأموات

س: يقول السائل: إذا جاء الإنسان بشخص إلى بيته ليقرأ عنده القرآن، ويجزيه بعد ذلك بمبلغ من المال، فما حكم ذلك؟ أفيدونا - أفادكم الله؟ -(٢)

ج: أخذ الأجرة على التلاوة أمر لا يجوز، وقد حكى بعض أهل العلم إجماع أهل العلم على ذلك، فلا يجوز أن يقرأ الإنسان بالأجرة، فلا يقوم بالتلاوة حتى يأخذ الأجرة في بيت فلان أو فلان، أو على ميت فلان، بل يقرأ احتساباً ولا يُعطى أجرة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب (الوصية)، برقم: ٣٠٨٤، واللفظ له، ورواه الترمذي في (الأحكام)، رقم: ١٢٩٧، والنسائي في (الوصايا)، برقم: ٣٥٩١.

(٢) نشر في جريدة (عكاظ)، العدد رقم: ١١٦٦٠، في ١٤١٩/٤/٢هـ.

أما إن أُهدي هدية أو أُعطي شيئاً من دون مشارطة، فنرجو ألا يكون عليه شيء من ذلك؛ من باب الإحسان إذا كان فقيراً، أما أن يكون مشارطة؛ يعني أن يكون اليوم بكذا، أو الجزء أو السورة بكذا، فهذا منكر لا يجوز.

١٣٨ -جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن

س: ما حكم أخذ الأجرة على تدريس القرآن الكريم في مدارس تحفيظ القرآن الكريم؟

ج: لا حرج في ذلك - في الصحيح - ولا بأس في ذلك؛ لأن في أخذ الأجرة إعانة له في الاستمرار على التعليم والصبر عليه، ولأن كثيراً من الناس قد لا يستطيع أن يعلم من دون شيء؛ لأنه ليس له دخل يقوم بحاله حتى يتفرغ للتعليم، فإذا أعطي أجرة على ذلك تفرغ للتعليم ونفع الناس. وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله))[1]، هذا يشمل التعليم، فالتعليم هو أهم ما يطلبه؛ أي تعليم الناس وتوجيههم وإرشادهم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب)، باب (الشرط في الرقية بقطيع من الغنم)، برقم: ٥٢٩٦.

هذا يُحفّظ، وهذا يعلّم، هذا من أهم المهمات، ومن أفضل القربات، فإذا أخذ الأجرة التي تعينه على هذا الأمر العظيم فلا بأس.

١٣٩ -حكم قراءة القرآن للناس بأجرة

س: ما حكم قراءة القرآن للناس بأجرة؟ أفيدونا - جزاكم الله خيراً -؟[١]

ج: إن كان المقصود تعليم القرآن للناس وتحفيظهم إياه، فلا حرج في أخذ الأجرة على ذلك - في أصح قولي العلماء -؛ للحديث الصحيح في القراءة على اللديغ بشرط أجرة معلومة، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه: ((إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)) أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه، أما إذا كان المراد أخذ الأجرة على مجرد التلاوة في أي مناسبة، فهذا لا يجوز أخذ الأجرة عليه.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا يعلم نزاعاً بين أهل العلم في تحريم ذلك.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع محمد المسند، الجزء: الرابع، ص: ٢٠.

١٤٠ -لا حرج في الاجتماع على تلاوة القرآن

س: أقوم أنا وزملائي في العمل بالاجتماع ليلة في الأسبوع نتلو فيها آيات محددة من كتاب الله؛ للتعلم وإجادة القرآن، ثم نتحدث بعد ذلك في أمور عديدة، وقد سمعنا أنه لا يجوز الاجتماع من أجل التلاوة، ويجوز من أجل الحفظ، فهل هذا صحيح؟[(١)]

ج: لا حرج في الاجتماع من أجل التلاوة ومدارسة القرآن وحفظه، والتفقه في الدين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))[(٢)] رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعرض القرآن على جبرائيل – عليه السلام – ويدارسه إياه كل ليلة في رمضان، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس مع

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، الجزء: الرابع، ص: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، برقم: ٤٨٦٧.

أصحابه كثيراً يقرأ عليهم القرآن، ويذكرهم بالله - عز وجل - وربما أمر بعض أصحابه أن يقرأ عليه بعض القرآن.

وفيما ذكرنا كله دلالة صريحة على شرعية الاجتماع لسماع القرآن، ومدارسته والمذاكرة فيه ومدارسة العلم. والله ولي التوفيق.

١٤١ -حكم قراءة القرآن بصوت مرتفع عند من يصلي

س: هل تجوز تلاوة القرآن بصوت مرتفع بالمسجد، علماً بوجود من يتنفل في تلك اللحظات بالمسجد من المصلين؟[١]

ج: لا ينبغي رفع الصوت بالقراءة في المسجد، إذا كان حوله من يتشوش بذلك من المصلين بالقراءة، وهكذا إذا كان القارئ في أي مكان حوله مصلون أو قراء، فإن السنة أن لا يرفع صوته عليهم؛ لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه خرج ذات يوم على الناس يصلون في المسجد ويجهرون بالقراءة فقال عليه الصلاة والسلام: ((كلكم يناجي الله فلا يؤذ بعضكم بعضاً))[٢].

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند ، الجزء الرابع، ص: ٣٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين)، برقم: ١١٤٦١.

١٤٢ -حكم رفع الصوت بالقرآن

س: الأخ م. م. ح. من بور سودان من جمهورية السودان، يقول في سؤاله: ما حكم رفع الصوت بقراءة القرآن قبل الصلاة؟[(١)]

ج: لا يرفع صوته إذا كان عنده أحد، بل يقرأ بينه وبين نفسه؛ كي لا يؤذي الناس، ولا يشغل المصلين، ولا يشغل القراء، ولكن يرفع بحيث يكون خفيفاً.

١٤٣- معنى التغني بالقرآن

س: ما معنى التغني بالقرآن يا سماحة الشيخ؟[(٢)]

ج: جاء في السنة الصحيحة الحث على التغني بالقرآن؛ يعني: تحسين الصوت به، وليس معناه أن يأتي به كالغناء، وإنما المعنى

(١) نشر في (المجلة العربية) جمادى الأولى ١٤١٣هـ.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ١٨.

تحسين الصوت بالتلاوة. ومنه الحديث الصحيح: ((ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به))[١]، وحديث: ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به))[٢]، ومعناه: تحسين الصوت بذلك كما تقدم.

ومعنى الحديث المتقدم: ((ما أذن الله))؛ أي: ما استمع الله ((كإذنه))؛ أي: كاستماعه، وهذا استماع يليق بالله لا يشابه صفات خلقه - مثل سائر الصفات - يقال في استماعه سبحانه وإذنه مثل ما يقال في بقية الصفات على الوجه اللائق بالله - عز وجل -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣].

والتغني: الجهر به مع تحسين الصوت والخشوع فيه؛ حتى يحرك القلوب؛ لأن المقصود تحريك القلوب بهذا القرآن؛ حتى تخشع وحتى تطمئن وحتى تستفيد.

ومن هذا قصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التوحيد)، باب (قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: الماهر)، برقم: ٦٩٨٩، ومسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن)، برقم: ١٣١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التوحيد)، باب (قوله - تعالى-: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ..﴾، برقم: ٦٩٧٣.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

فجعل يستمع له عليه الصلاة والسلام وقال: ((لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود))(١)، فلما جاء أبو موسى أخبره النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، قال أبو موسى: "لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إلي لحبرتّه لك تحبيراً".

و لم ينكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام ذلك؛ فدل على أن تحبير الصوت وتحسين الصوت والعناية بالقرآن أمر مطلوب؛ ليخشع القارئ والمستمع، ويستفيد هذا وهذا.

١٤٤- حكم قراءة المصحف بالنظر دون تحريك الشفتين

سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز - سلمه الله -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن بعض الناس يأخذون المصحف ويطالعون فيه دون تحريك شفتيهم. هل هذه الحالة ينطبق عليها اسم قراءة القرآن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (فضائل القرآن)، باب (حسن الصوت بالقراءة للقرآن) برقم: ٤٦٦٠، ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: ١٣٢٢.

أم لابد من التلفظ بها والإسماع؛ لكي يستحقوا بذلك ثواب قراءة القرآن؟ وهل المرء يثاب على النظر في المصحف؟ أفتونا - جزاكم الله خيراً -.

ج: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لا مانع من النظر في القرآن من دون قراءة للتدبر والتعقل وفهم المعنى، لكن لا يعتبر قارئاً، ولا يحصل له فضل القراءة إلا إذا تلفظ بالقرآن ولو لم يُسمع من حوله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه))(١) رواه مسلم.

ومراده صلى الله عليه وسلم بأصحابه: الذين يعملون به، كما في الأحاديث الأخرى، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها))(٢) خرجه الترمذي، والدارمي بإسناد صحيح.

ولا يعتبر قارئاً إلا إذا تلفظ بذلك، كما نص على ذلك أهل العلم. والله ولي التوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب فضل قراءة القران وسورة البقرة برقم ١٣٣٧، برقم: ١٣٣٧، باب (فضل قراءة القرآن)، وأحمد في (باقي مسند الأنصار)، برقم: ٢١١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب (فضائل القرآن)، باب (ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر)، برقم: ٢٨٣٥ ، والدارمي في سننه، كتاب (الرقاق)، باب (الحسنة بعشر أمثالها) برقم: ٢٦٤٥.

١٤٥ -المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة

س: أنا - والحمد لله - أقرأ القرآن جيداً بدرجة أقرب إلى الحفظ، ولكن مشكلتي إذا جهرت في القراءة بدون مصحف كثيراً ما أغلط، فهل قراءتي إذا قرأت في السر عليّ جرم، أو ينقص ذلك من ثوابي؟[١]

ج: السر أفضل، كما أوضح الحديث الذي رواه جماعة بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المسر في القرآن كالمسر بالصدقة، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة))[٢].

هذا يدل على أن السر أفضل، كما أن الصدقة في السر أفضل، إلا إذا دعت الحاجة والمصلحة إلى الجهر؛ كالإمام الذي يصلي بالناس، والخطيب الذي يخطب بالناس.

فإذا كان السر أنفع لك فهو أفضل، إلا إذا احتاج إليك إخوانك لتسمعهم، فأسمعهم من المصحف حتى لا يصدر عنك خطأ، أو يكون فيهم من يحفظ فيفتح عليك.

---

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٤٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في (مسند الشاميين)، برقم: ١٧١٢٨، (بقية حديث عقبة بن عامر – رضي الله عنه-).

١٤٦ -حكم التكلم بالقرآن بين الناس

س: هل يجوز التكلم بالقرآن؛ فمثلاً إذا سلم بعض الناس بقولـــه: (سلامٌ قولاً من رب رحيم)[١]، كما فعلت المرأة في القصة التي حكاها عبد الله بن المبارك؟[٢]

ج: المعروف عند أهل العلم أنه لا ينبغي اتخاذ القرآن بدلاً من الكلام، بل الكلام له شأن والقرآن له شأن، وأقل أحواله الكراهة، وعليه أن يسلم السلام العادي، هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وأصـــحابه – رضي الله عنهم - يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتـــه، ســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهكذا يستعمل العبارات المعتـــادة في تحيـــة إخوانه.

(١) سورة يس، الآية ٥٨.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب محمد المسند، ج٤، ص: ٣٨.

١٤٧- وضع المصحف
في السيارة وغيرها بقصد التبرك

س: يعلق بعض الناس آيات قرآنية وأحاديث نبوية في غرف المنازل، أو في المطاعم أو المكاتب، وكذلك في المستشفيات والمستوصفات، يُعلقون قوله - تعالى-: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [(١)]، وغير ذلك..، فهل تعليق ذلك يعتبر من التمائم المنهي عنه شرعاً، علماً بأن مقصودهم استنزال البركات وطرد الشياطين، وقد يقصد من ذلك أيضاً تذكير الناسي وتنبيه الغافل..؟ وهل من التمائم وضع المصحف في السيارة بحجة التبرك به؟[(٢)]

ج: إذا كان المقصود بما ذكره السائل تذكرة الناس وتعليمهم ما ينفعهم، فلا حرج في ذلك، أما إذا كان المقصود اعتبارها حرزاً من الشياطين أو الجن، فلا أعلم لهذا أصلاً، وهكذا وضع المصحف في السيارة للتبرك بذلك، ليس له أصل وليس بمشروع، أما إذا وضعه في السيارة ليقرأ فيه بعض الأحيان، أو ليقرأ فيه بعض الركاب، فهذا طيب ولا بأس. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٨٠.

(٢) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص ٢٩.

١٤٨- حكم تعليق الآيات في المكاتب

س: هل يجوز تعليق بعض الآيات القرآنية في المكاتب؟ وهل صحيح أن حكمها حكم الصور المعلّقة؟[١]

ج: تعليق الصور لا يجوز، أما تعليق الآيات والأحاديث في المكاتب للتذكير فلا نعلم بأساً بذلك. والله ولي التوفيق.

١٤٩- الجواب عن قراءة سورة (الكهف) يوم الجمعة

س: ما ثواب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة؟[٢]

ج: جاء فيها بعض الأحاديث الضعيفة، وثبت عن بعض الصحابة أنه كان يقرؤها يوم الجمعة، فإذا قرأها يوم الجمعة فحسن - إن شاء الله -؛ لأنه ثبت عن بعض الصحابة قراءتها.

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع وترتيب الشيخ / محمد المسند، ج٤ ص: ٢٩.

(٢) من ضمن الأسئلة التي ألقيت على سماحته في المسجد الحرام، في تاريخ ١٤١٣/١٢/٢٦هـ.

١٥٠ -هل في القرآن مجاز؟

س: كثيراً ما أقرأ في كتب التفاسير وغيرها بأن هذا الحرف زائد؛ كما في قوله – تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[(١)]؛ فيقولون بأن (الكاف) في ﴿كَمِثْلِهِ﴾ زائدة.

وقد قال لي أحد المدرسين بأنه: ليس في القرآن شيء اسمه زائد أو ناقص أو مجاز، فإذا كان الأمر كذلك، فما القول في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[(٢)]، وقوله - تعالى-: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ﴾[(٣)]؟[(٤)]

ج: الصحيح الذي عليه المحققون: أنه ليس في القرآن مجاز على الحد الذي يعرفه أصحاب فن البلاغة، وكل ما فيه فهو حقيقة في محله.

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٩٣.

(٤) نشر في هذا المجموع، ج٤ ص٣٨٢، وفي كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٤٦.

ومعنى قول بعض المفسرين: أن هذا الحرف زائد، يعني من جهة قواعد الإعراب، وليس زائداً من جهة المعنى، بل لـــه معنـــاه المعـــروف عنـــد المتخاطبين باللغة العربية؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم.

كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ يفيد المبالغة في نفـــي المثـــل، وهو أبلغ من قولك: ليس مثله شيء، وهكذا قوله ســـبحانه: ﴿وَاسْـــأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ فإن المراد بذلك ســـكان القرية وأصحاب العير، وعادة العرب تطلق القرية على أهلها، والعير على أصحابها.

وذلك من سعة اللغة العربية وكثرة صيغها في الكلام، وليس من باب المجاز المعروف في اصطلاح أهل البلاغة، ولكن ذلك من مجـــاز؛ أي: ممـــا يجوز فيها ولا يمتنع.

١٥١ -جواز ترجمة معاني القرآن إلى لغات أخرى غير العربية

س: سؤال عن جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات أخـــرى غير العربية؟[(١)]

---

(١) نشر في (مجلة الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة.

ج: ذلك جائز لمسيس الحاجة إليها[1]؛ ولأنه ليس في الأدلة الشرعية ما يمنع ذلك، ولأن ذلك من وسائل التبليغ عن الله ورسوله، وهو مأمور به شرعاً.

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود؛ ليترجم كتبهم للنبي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على أن جنس الترجمة من العربية وإليها أمر مطلوب عند الحاجة إليه، بشرط أن يكون المترجم عالماً باللغتين، أميناً في ذلك.

١٥٢ - دواء قسوة القلب

س: أنا شاب ملتزم – والحمد لله – وأحاول تطبيق السنة في كل أمور حياتي؛ أقوم الليل، وأصوم النهار، وأختم كل يوم جزءاً من كتاب الله، ولا أفرط في صلاة الضحى، وأحرص على الصدقة، لكن مع ذلك أشكو من قسوة القلب وعدم البكاء عند سماع كتاب الله، فبماذا تنصحوني - أثابكم الله -؟

ج: أحسن ما يوصى به لعلاج القلب وقسوته: العناية بالقرآن الكريم وتدبره، والإكثار من تلاوته، مع الإكثار من ذكر

(١) أي إلى ترجمة معاني القرآن؛ وهي تفسيره، أما ترجمة ألفاظه فلا تجوز.

الله - عز وجل -؛ فإن قراءة القرآن الكريم بالتدبر، والإكثار من ذكر الله، وقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كل هذه من أسباب إزالة القسوة.

١٥٣- علاج الأمراض العضوية بالقرآن

س: سؤال من / م. ب. من الرياض:

هل التداوي والعلاج بالقرآن يشفي من الأمراض العضوية؛ كالسرطان، كما هو يشفي من الأمراض الروحية؛ كالعين والمس وغيرهما؟ وهل لذلك دليل؟ جزاكم الله خيراً.(١)

ج: القرآن والدعاء فيهما شفاء من كل سوء - بإذن الله -.

والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٤٩٧، بتاريخ ١/٢/١٤١٦هـ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى شيئاً، قرأ في كفيه عند النوم سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و(المعوذتين) ثلاث مرات، ثم يمسح في كل مرة على ما استطاع من جسده؛ فيبدأ برأسه ووجهه وصدره في كل مرة عند النوم، كما صح الحديث بذلك عن عائشة رضي الله عنها.

١٥٤- حكم وضع المصحف خلف المصلي

س: ما حكم وضع المصاحف على الحامل بين الصفوف خلف ظهور المصلين؟[٣]

ج: لا نعلم بأساً في ذلك للضرورة.

١٥٥- حكم أخذ المصحف من المسجد

س: الأخ / أ. ح. م. من الرباط في المملكة المغربية، يقول في سؤاله: ما حكم أخذ المصحف من المسجد إلى البيت؟[٤]

ج: لا يجوز أخذه؛ لأن مصاحف المسجد تبقى في المسجد ولا تؤخذ. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٢.
(٣) نشر في (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٤٨.
(٤) نشر في (المجلة العربية) جمادى الأولى عام ١٤١٣هـ.

١٥٦- حكم كتابة البسملة على الفواتير والوصفات الطبية ونحوها

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم / نايف بن عبد العزيز - وزير الداخلية - سلمه الله -.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد(١):

فأشفع - لسموكم الكريم - نسخة من كتاب فضيلة الشيخ / عبد الله بن محمد العجلان ومشفوعاته؛ الموجه لنا لأخذ الرأي الشرعي في كتابة البسملة على المطبوعات من: فواتير ومسودات، ووصفات طبية، وأكياس الأدوية.

وأفيد سموكم: بأن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء درست هذا الموضوع من جميع نواحيه، واتضح لها أن كثيرا من الشركات والمؤسسات والمستشفيات والمستوصفات وأشباهها تطبع على بعض الأوراق (بسم الله الرحمن الرحيم)، أو بعض أسماء الله، أو بعض الآيات القرآنية. وهذه الأوراق تستعمل أوعية لبعض الحوائج، وملفات لبعض الأغراض، أو تستعمل في

(١) صدرت من سماحته برقم: ٢٤٤١/ ٢، في ١٢/١١/١٤٠٦هـ.

المستوصفات والمستشفيات وعاء للدواء، أو لما يؤخذ من المريض من العينات للتحليل.

ولاشك أن كتابة البسملة أو شيء من أسماء الله، أو كتابة بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية على هذه الأوراق - التي يؤول الأمر فيها إلى الامتهان - فيه امتهان لها لا يليق؛ فأرجو من سموكم الكريم التعميم على الجهات المعنية بمنع ذلك.

وفقكم الله لما فيه رضاه، وأعانكم على كل خير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

١٥٧- حكم الدخول بالمصحف إلى الحمام وحكم تمزيق الأوراق المكتوب فيها آيات قرآنية

س: إذا كان في جيبي مصحف لأقرأ فيه أينما كنت، وأدخل الحمام وهو في جيبي، فهل في ذلك شيء؟ وفي بعض الأحيان أكتب الآيات في ورقة لتثبيت حفظها في ذهني، وبعد حفظها أمزقها وأضعها في صندوق المهملات، فهل في ذلك شيء؟ أفيدونا - جزاكم الله خيراً -؟[١]

ج: أما دخول الحمام بالمصحف فلا يجوز إلا عند الضرورة؛ إذا كنت تخشى عليه أن يسرق فلا بأس.

وأما تمزيق الآيات التي حفظتها؛ إذا مزقتها تمزيقاً ما يبقى معه شيء فيه ذكر الله - أي: تمزيقاً دقيقاً - فلا حرج في ذلك، وإلا فادفنها في أرض طيبة أو احرقها، أما التمزيق الذي يبقى معه آيات لم تمزق فإنه لا يكفي.

---

(١) سؤال موجه لسماحته بعد المحاضرة التي ألقاها بعنوان (الصلاة وأهميتها)، ونشر في هذا المجموع لسماحته ج٩ ص٢٦٦.

١٥٨- لا يجوز امتهان كل ما فيه ذكر الله

س: الأخ / ع. ص. س. من تعز في اليمن، يقول في سؤاله:

قرأنا فتوى لسماحتكم: أنه لا يجوز امتهان الصحف والمجلات؛ لوجود بعض الآيات والأحاديث النبوية فيها.

وسؤالي - يا سماحة الشيخ - عن الرسائل التي تصل الإنسان من البريد. كيف أتصرف بالنسبة لها إذا كان مكتوب عليها اسم الله؛ فهل عبد الرحمن وعبد الله أو البسملة داخل الرسالة؟ نرجو التكرم بالإجابة.[١]

ج: حكم الرسائل التي فيها ذكر الله أو آيات من القرآن الكريم، حكم الصحف التي فيها ذكر الله أو بعض الآيات، لا يجوز امتهانها، بل الواجب حفظها في محل مناسب، أو إحراقها أو دفنها في أرض طيبة؛ صيانة لأسماء الله سبحانه وكتابه عن الامتهان. والله ولي التوفيق.

---

(١) سؤال موجه من (المجلة العربية)، وأجاب عنه سماحته بتاريخ ١٤١٧/١/٢١هـ.

١٥٩- القرآن الكريم
يحرق إذا كان متقطعاً لا ينتفع به

س١: ما جزاء من قام بحرق القرآن الكريم سهواً، ولم يعرف إلا بعد ما مضى هذا الفعل؟[(١)]

ج: ليس عليه شيء ما دام سهواً، مثل أن حرقه وهو لا يدري أنه قرآن، وكذلك إذا حرقه عمداً لكونه متقطعاً لا ينتفع به؛ حتى لا يمتهن، فلا بأس عليه؛ لأن القرآن إذا تقطع وتمزق و لم ينتفع به يحرق أو يدفن في محل طيب حتى لا يمتهن.

أما إذا حرقه كارهاً له، ساباً له مبغضاً له، فهذا منكر عظيم وردة عن الإسلام، وهكذا لو قعد عليه أو وطأ عليه برجله إهانة له، أو لطخه بالنجاسة، أو سبه، أو سب من تكلم به، فهذا كفر أكبر وردة عن الإسلام – والعياذ بالله -.

---

(١) هذان السؤالان نشرا في جريدة (عكاظ)، العدد: ١١٩١٠، وتاريخ ١٤١٩/١٢/٢٠هـ.

س٢: هل يجب عليّ أن أتوضأ قبل كل حصة من حصص القرآن الكريم وأنا في المدرسة؟

ج: ليس عليك الوضوء إذا كنت على طهارة، وكذلك إذا كانت القراءة عن ظهر قلب؛ أي من غير المصحف، فليس عليك أن تتطهر.

أما إذا كانت القراءة من المصحف وقد أحدثت بعد الحصة الأولى، فعليك أن تتطهر للحصة الثانية، وهكذا الثالثة؛ فكلما أردت أن تقرأ من المصحف وأنت على غير وضوء فعليك أن تتطهر؛ لما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يمس القرآن إلا طاهر))[1].

وهكذا أفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن المحدث لا يمس القرآن ، وهو الذي عليه جمهور أهل العلم من الأئمة الأربعة وغيرهم.

فالواجب عليك - يا أخي - إذا أردت القراءة من المصحف وأنت على غير طهارة، أن تتوضأ الوضوء الشرعي، أما إذا كنت على جنابة، فليس لك أن تقرأ لا عن ظهر قلب، ولا من المصحف حتى تغتسل.

(١) أخرجه الإمام مالك، في كتاب (النداء للصلاة)، باب (الأمر بالوضوء لمن مس القرآن)، برقم: ٤١٩.

١٦٠- حكم وضع القرآن الكريم على الأرض

س: ما حكم وضع القرآن الكريم على الأرض لفترة قصيرة أو طويلة؟ وهل يجب وضعه في مكان مرتفع عن الأرض بمقدار شبر على الأقل؟(١)

ج: وضعه على محل مرتفع أفضل؛ مثل الكرسي أو الرف في الجدار، ونحو ذلك مما يكون مرفوعاً به عن الأرض.

وإن وضعه على الأرض للحاجة لا لقصد الامتهان، على أرض طاهرة بسبب الحاجة لذلك؛ ككونه يصلي وليس عنده محل مرتفع، أو أراد السجود للتلاوة، فلا حرج في ذلك – إن شاء الله – ولا أعلم بأساً في ذلك. لكنه إذا وضع على كرسي أو على وسادة ونحو ذلك أو في رف كان ذلك أحوط، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم عندما طلب التوراة لمراجعتها؛ بسبب إنكار اليهود حدّ الرجم، طلب التوراة، وطلب كرسياً ووضعت التوراة عليه، وأمر من يراجع التوراة حتى وجدوا الآية الدالة على الرجم وعلى كذب اليهود. فإذا كانت التوراة يشرع وضعها على كرسي؛ لما فيها من كلام

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ٧، ونشر في هذا المجموع، ج٩ ص٢٨٨.

الله سبحانه فالقرآن أولى بأن يوضع على الكرسي؛ لأنه أفضل من التوراة.

والخلاصة: إن وضع القرآن على محل مرتفع ككرسي، أو بشت مجموع ملفوف يوضع فوقه، أو رف في جدار أو فرجة، هو الأولى والذي ينبغي، وفيه رفع للقرآن وتعظيم له واحترام لكلام الله.

ولا نعلم دليلاً يمنع من وضع القرآن فوق الأرض الطاهرة الطيبة عند الحاجة لذلك.

١٦١- حكم تقبيل المصحف

س: ما حكم تقبيل المصحف بعد سقوطه من مكان مرتفع؟(١)

ج: لا نعلم دليلاً على شرعية تقبيله، ولكن لو قبله الإنسان فلا بأس؛ لأنه يروى عن عكرمة بن أبي جهل - الصحابي الجليل – رضي الله تعالى عنه – أنه كان يقبل المصحف ويقول: هذا كلام ربي. وبكل

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ٧، ونشر في هذا المجموع، ج٩ ص٢٨٩.

حال التقبيل لا حرج فيه، ولكن ليس بمشروع وليس هناك دليل على شرعيته، ولكن لو قبله الإنسان تعظيماً واحتراماً عند سقوطه من يده أو من مكان مرتفع، فلا حرج في ذلك ولا بأس – إن شاء الله -.

١٦٢- مسألة في تقبيل المصحف

س: هل تقبيل المصحف جائز أم لا؟(١)

ج: هذا العمل ليس له أصل، وتركه أحسن لأنه ليس عليه دليل.

لكن يروى عن بعض الصحابة أنه قبل المصحف، وقال: هذا كلام ربي، ولا يضر من فعله، لكن ليس عليه دليل وتركه أولى.

و لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم و لم يثبت عن الصحابة، إنما يروى عن عكرمة، قد يصح أو لا يصح؛ فالترك أولى لعدم الدليل.

المهم العمل به، والتلاوة، والإكثار من القراءة والعمل، هذا المهم وهذا الواجب، فالإنسان عليه أن يكثر من قراءة القرآن ويتدبر ويعمل، هذا هو المطلوب منه.

(١) من أسئلة حج عام ١٤١٨هـ في منى.

١٦٣- حكم قراءة القرآن على طريقة المغنين

س: ماذا يقول سماحتكم في قارئ القرآن بواسطة مقامات، هي أشبه بالمقامات الغنائية، بل هي مأخوذة منها؟ أفيدونا بذلك - جزاكم الله خيراً -[1]

ج: لا يجوز للمؤمن أن يقرأ القرآن بألحان الغناء وطريقة المغنين، بل يجب أن يقرأه كما قرأه سلفنا الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان.

فيقرأه مرتلاً متحزناً متخشعاً؛ حتى يؤثر في القلوب التي تسمعه، وحتى يتأثر هو بذلك.

أما من يقرأه على صفة المغنين وعلى طريقتهم فهذا لا يجوز.

(١) من برنامج (نور على الدرب)، شريط رقم: ٧، ونشر في هذا المجموع، ج٩ ص٢٩٠.

١٦٤- تعقيب على فتوى نشرت في جريدة البلاد

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى حضرة الأخ المكرم / سعادة رئيس تحرير (جريدة البلاد) - وفقه الله لكل خير. آمين -.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:[(١)]

فقد جاء في (جريدة البلاد)، العدد: ١١٠٣٠، الصادر يوم الأحد: ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ، في صفحة (روضة الإسلام) (٨)، تحت عنوان (فتاوى العلماء) السؤال التالي مع جوابه المنسوب إليَّ، وهو:

س: سمعت بعض المصلين أثناء قراءته القرآن في الصلاة يقطع القراءة، ويدعو بأدعية مناسبة؛ فيقول عند ذكر الجنة: اللهم إني أسألك الجنة، وعند ذكر النار: اللهم أجرني من النار، فهل ذلك جائز شرعاً؟

ج: يسن لكل من قرأ في الصلاة أو غيرها، إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله - تعالى- من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ به من النار.

(١) صدرت من مكتب سماحته برقم: ١/١٥٠٨، في ١٤١٥/٥/١٢هـ.

وإذا مر بآية تتريه نزهه، فقال: سبحانه وتعالى، أو نحو ذلك.

ويستحب لكل من قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[1]، أن يقول: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2] قال: بلى أشهد، وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[3] قال: آمنت بالله، وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4] قال: لا نكذب بشيء من آيات ربنا، وإذا قال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[5] قال: سبحان ربي الأعلى.

ويستحب هذا للإمام والمأموم والمنفرد؛ لأنه دعاء؛ فهو مطلوب منهم كالتأمين، وكذلك الحكم في القراءة في غير الصلاة. اهـ

ولا أدري من أين نقلتم هذا السؤال مع جوابه، وقد سبق أن كتبنا لكم برقم: ١/٤٠، وتاريخ ١٤١٥/١/٦هـ، نستوضح عن المصدر الذي تأخذون منه هذه الفتاوى.

وهذا السؤال وجوابه فيه أشياء لست أفتي بها... منها: -

---

(١) سورة التين، الآية ٨.

(٢) سورة القيامة، الآية ٤٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(٤) سورة الرحمن، الآية ١٣.

(٥) سورة الأعلى، الآية ١.

- ما يقال عند آخر قراءة سورة (التين)، وآخر سورة (المرسـلات)؛ لأن الحديث في ذلك ضعيف.

- ومنها ما ذكرتم أنه يقال عند قراءة: ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فإنه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند قراءته هذه الآية في الصلاة أو غيرها.

وإنما المنقول عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما قرأ سورة (الـرحمن) على الصحابة – رضي الله عنهم – أخبرهم أن الجن كانوا يقولون لما قرأ عليهم هذه الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد[١].

فاصلة: فأرجو الإفادة عن أي كتاب نقلتم عنه هذا السؤال وجوابه؟ وأرجو أن ترسلوا إليَّ الأسئلة التي تحبون الجواب عنها؛ حتى أجيب عنها – إن شاء الله - ولا أسمح لكم أن تنقلوا الجواب إلا من كتاب آذن لكم بالنقل منه؛ حذراً من الأخطاء.

وفق الله الجميع لما يرضيه، وأعاننا وإياكم على كل خير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة (الرحمن)، برقم: ٣٢١٣.

١٠٥- حكم قول: بلى، عند قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[(١)]

س: هل يجوز قول: بلى عند السور التي تنتهي ببعض الأسئلة، مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[(٢)]، مثل قول آمين عند قراءة الفاتحة - وجزاكم الله خيراً -؛ حيث أسمع بعض المصلين يقولون ذلك؟[(٣)]

ج: لا يشرع ذلك، إلا عند تلاوة آخر آية من سورة (القيامة)، وهي قوله - تعالى-: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾؛ فإنه يستحب أن يقال عند قراءتها: ((سبحانك فبلى))[(٤)]؛ لصحة الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة القيامة، الآية ٤٠.

(٢) سورة التين، الآية ٨.

(٣) أجاب عنه سماحته في ١٤١٩/٦/٢٦هـ.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ج٢، برقم: ٣٥٠٧.

١٦٦- التكبير لسجدة التلاوة

س: هل يلزم التكبير لسجدة التلاوة في الصلاة وخارجها؟ وهل يلزم السلام خارجها؟ أرجو الإفادة - وفقكم الله -[١].

ج: سجدة التلاوة في الصلاة مثل سجود الصلاة، إذا سجد يكبر، وإذا رفع يكبر، والدليل على هذا: ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في الصلاة يكبر في كل خفض ورفع؛ إذا سجد كبر، وإذا نهض كبر، هكذا أخبر الصحابة من حديث أبي هريرة وغيره، وهذا السجود من سجود الصلاة[٢]، هذا هو الظاهر من الأدلة.

أما إذا سجد للتلاوة في خارج الصلاة، فلم يُرو إلا التكبير في أوله، هذا هو المعروف كما رواه أبو داود والحاكم.

أما عند الرفع في خارج الصلاة، فلم يُرو فيه تكبير ولا تسليم، وبعض أهل العلم قال: يكبر عند النهوض، ويسلم أيضاً، ولكن لم يرد في هذا شيء، فلا يشرع له إلا التكبيرة الأولى عند السجود إذا كان خارج الصلاة. وبالله التوفيق.

---

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٥٢٠، في ١٤١٦/٧/١٥هـ.

(٢) لعله: مثل.

١٦٧- بيان سجدات القرآن

س: ما هي السجدات في القرآن الكريم مع بيان السجدات الحتمية منها؟[١]

ج: سجدات التلاوة كلها سنة، ليست حتمية وليست واجبة، وهي خمس عشرة سجدة على الصحيح: منها سجدة آخر (الأعراف) وهي أولها، ومنها سجدة سورة (الرعد)، وسجدة (النحل)، وسجدة في بني إسرائيل (سبحان)، وسجدة في سورة (مريم)، وسجدتان في سورة (الحج)، وسجدة في سورة (الفرقان)، وسجدة في سورة (النمل)، وسجدة في (ألم السجدة)، وسجدة في سورة (ص)[٢]، وسجدة في سورة (فصلت)، وسجدة في سورة (النجم) في آخرها، وسجدة في سورة: (إذا السماء انشقت)، وسجدة في سورة (اقرأ باسم ربك). هذه خمس عشرة سجدة، سنة كلها، إذا سجد فهو أفضل، وإن لم يسجد لا إثم عليه.

وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم في بعض الأحيان ولم يسجد؛ فدل على أنها لا تجب، قال عمر رضي الله عنه: "إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء"؛ فالمعنى: أن من سجد فله أجر، ومن لم يسجد فلا حرج عليه.

---

(١) من برنامج (نور على الدرب)، الشريط رقم: ١٧.

(٢) على قول.

١٦٨- تأكيد سجدة (ص)

س: ما حكم السجدة التي في سورة (ص)؛ حيث إن بعض الأئمة يسجد عند تلاوتها وبعضهم لا يسجد؟[١]

ج: السنة السجود فيها إذا قرأها المسلم في الصلاة أو خارجها؛ لقول ابن عباس – رضي الله عنهما -: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها[٢] – يعني سجدة (ص) – وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٤] رواه البخاري في الصحيح. والله ولي التوفيق.

---

(١) من أسئلة (المجلة العربية).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجمعة)، باب (سجدة (ص))، برقم: ١٠٠٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة)، برقم: ٥٩٥.

١٦٩- ما الحكمة في تقديم ذكر المال على الأولاد في القرآن الكريم

س: دائماً يرد ذكر المال مقدماً على الأولاد في القرآن الكريم، رغم أن الأولاد أغلى لدى الأب من ماله، فما الحكمة من ذلك؟[١]

ج: الفتنة بالمال أكثر؛ لأنه يعين على تحصيل الشهوات المحرمة وغيرها، بخلاف الأولاد، فإن الإنسان قد يفتن بهم، ويعصي الله من أجلهم، ولكن الفتنة بالمال أشد؛ ولهذا بدأ سبحانه بالأموال قبل الأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾[٢] الآية، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣]. الآية، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤].

---

(١) نشر في مجلة (الدعوة)، العدد: ١٦٣٥، في ١٤١٨/١١/٢٨هـ، وفي كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٦٦.

(٢) سورة سبأ، الآية ٣٧.

(٣) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٤) سورة المنافقون، الآية ٩.

١٧٠- حكم استماع القرآن من النساء

س: ما حكم الاستماع إلى تلاوة النساء في مسابقات القرآن الكريم التي تقام سنوياً في بعض البلاد الإسلامية؟ أفيدونا - أفادكم الله - [١].

ج: لا أعلم بأساً في هذا الشيء إذا كان النساء على حدة والرجال على حدة، من غير اختلاط في محل المسابقة، بل يكنَّ على حدة، مع تسترهن وتحجبهن عن الرجال.

وأما المستمع؛ فإذا استمع للفائدة والتدبر لكلام الله فلا بأس، أما مع التلذذ بأصواتهن فلا يجوز.

أما إذا كان القصد الاستماع للفائدة، والتلذذ في استماع القرآن والاستفادة من القرآن، فلا حرج – إن شاء الله – في ذلك.

---

(١) نشر في جريدة (عكاظ)، العدد: ١١٦٦٤، في ١٤١٩/٤/٦هـ.

١٧١- حكم قول: صدق الله العظيم عند انتهاء قراءة القرآن

س: إنني كثيراً ما أسمع من يقول: إن (صدق الله العظيم) عند الانتهاء من قراءة القرآن بدعة، وقال بعض الناس: إنها جائزة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[١].

وكذلك قال لي بعض المثقفين: إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يوقف القارئ قال له: حسبك، ولا يقول: صدق الله العظيم.

وسؤالي هو: هل قول: صدق الله العظيم جائز عند الانتهاء من قراءة القرآن الكريم؟ أرجو أن تتفضلوا بالتفصيل في هذا.[٢]

ج: اعتاد الكثير من الناس أن يقولوا: صدق الله العظيم عند الانتهاء من قراءة القرآن الكريم ، وهذا لا أصل له، ولا ينبغي اعتياده، بل هو على القاعدة الشرعية من قبيل البدع إذا اعتقد قائله أنه سنة؛ فينبغي ترك ذلك، وأن لا يعتاده لعدم الدليل، وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ﴾ فليس في هذا الشأن، وإنما أمره الله — عز

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٥.

(٢) سبق نشره في هذا المجموع، ج٧ ص٣٢٩.

وجل - أن يبين لهم صدق الله فيما بينه في كتبه العظيمة من التوراة وغيرها، وأنه صادق فيما بيّنه لعباده في كتابه العظيم من القرآن.

ولكن هذا ليس دليلاً على أنه مستحب أن يقول ذلك بعد قراءة القرآن، أو بعد قراءة آيات أو قراءة سورة؛ لأن ذلك ليس ثابتاً ولا معروفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته – رضوان الله عليهم -.

ولما قرأ ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم أول سورة (النساء) حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا﴾[١]، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((حسبك))[٢]، قال ابن مسعود: "فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان عليه الصلاة والسلام"؛ أي: يبكي لما تذكر هذا المقام العظيم يوم القيامة المذكور في الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾؛ أي: يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا﴾؛ أي: على أمته عليه الصلاة والسلام، ولم ينقل أحد من أهل العلم - فيما نعلم – عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه

---

(١) سورة النساء، الآية ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن)، باب (قول المقرئ للقارئ: حسبك)، برقم: ٤٦٦٢.

قال: صدق الله العظيم، بعد ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((حسبك)).

والمقصود: أن ختم القراءة بقول القارئ: صدق الله العظيم، ليس له أصل في الشرع المطهر، أما إذا فعلها الإنسان بعض الأحيان لأسباب اقتضت ذلك فلا بأس به.

١٧٢- حكم قراءة القرآن في أوقات العمل

س: أنا موظف، وفي العمل أقرأ القرآن الكريم في أوقات الفراغ، ولكن المسؤول ينهاني عن ذلك بقوله: إن هذا الوقت للعمل وليس لقراءة القرآن، فما حكم ذلك - جزاكم الله خيراً -؟[(١)]

ج: إذا لم يكن لديك عمل فلا حرج في قراءة القرآن، وهكذا التسبيح والتهليل والذكر، وهو خير من السكوت.

أما إذا كانت القراءة تشغلك عن شيء يتعلق بعملك فلا يجوز لك ذلك؛ لأن الوقت مخصص للعمل، فلا يجوز لك أن تشغله بما يعوقك عن العمل.

---

(١) نشر في (مجلة الدعوة)، في العدد: ١٤٨٠، بتاريخ ١٧/٩/١٤١٥هـ.

١٧٣- حكم سماع سورة (البقرة) من المسجل بدلاً من قراءتها في المنزل

س: الأخ / م. ع. م. من الباحة، يقول في سؤاله:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة (البقرة) ".

وسؤالي يا سماحة الوالد: هل يكفي أن يأتي الإنسان بالمسجل ويضع فيه شريطاً مسجلاً عليه سورة (البقرة)، ويقوم بتشغيله حتى يقرا كامل السورة؟ أو لابد أن يقرأ الإنسان بنفسه أو من ينوب عنه السورة؟ وهل يشترط قراءتها كاملة في جلسة واحدة، أو لا بأس بقراءتها على فترات؟ أرجو التكرم بالإفادة[1].

ج: الأظهر – والله أعلم – أنه يحصل بقراءة سورة (البقرة) كلها من المذياع أو من صاحب البيت ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من فرار الشيطان من ذلك البيت، ولكن لا يلزم من فراره أن

---

(١) نشر في (المجلة العربية) في ربيع الأول عام ١٤١٧هـ.

لا يعود بعد انتهاء القراءة، كما أنه يفر من سماع الأذان والإقامة ثم يعود حتى يخطر بين المرء وقلبه، ويقول له: اذكر كذا، واذكر كذا.. كما صح بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالمشروع للمؤمن أن يتعوذ بالله من الشيطان دوماً، وأن يحذر من مكائده ووساوسه وما يدعو إليه من الإثم. والله ولي التوفيق.

١٧٤- حكم قراءة القرآن في منزل فيه كلب

س: ما حكم قراءة القرآن في منزل فيه كلب؟[١]

ج: لا حرج في ذلك، والواجب إخراج الكلب وعدم بقائه في المنزل، إلا إذا كان لأحد ثلاثة أمور، وهي: الصيد، والحرث، والماشية؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من اقتنى كلباً، إلا كلب صيد أو ماشية أو زرع، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان))[٢] متفق عليه. والله ولي التوفيق.

---

(١) نشر في هذا المجموع لسماحته، ج٨ ص٣٦٢، وفي كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الذبائح والصيد)، باب (من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد)، برقم: ٥٠٦٠، ومسلم في كتاب (المساقاة)، باب (الأمر بقتل الكلاب)، برقم: ٢٩٤١.

١٧٥- الأَولى ترك التكبير من سورة (الضحى) إلى آخر القرآن

س: هل ثبت التكبير من سورة (الضحى) إلى آخر القرآن؟

ج: لم يثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في أول تفسير سورة (الضحى)، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء؛ لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك؛ لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة. والله الموفق.

١٧٦- الأفضل ألا يختم القرآن في أقل من ثلاث

س: ما نصيحة الشيخ للذين يمضي عليهم الشهر والشهور الطويلة، ولا يمسون كتاب الله الكريم بدون عذر، وتجد أحدهم يتابع المجلات غير المفيدة؟[1]

ج: يسن للمؤمن والمؤمنة الإكثار من قراءة كتاب الله مع التدبر والتعقل - سواء كان ذلك من المصحف، أو عن ظهر قلب؛

(١) نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، جمع الشيخ / محمد المسند، ج٤، ص: ١٦.

لقول الله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ. لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

والتلاوة المذكورة تشمل القراءة والاتباع، والقراءة بالتدبر والتعقل والإخلاص لله وسيلة للاتباع، وفيها أجر عظيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه))[3]. رواه مسلم في صحيحه، وقال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[4] خرجه البخاري في صحيحه، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من القران فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول [ألم] حرف، ولكن ألف

---

(١) سورة ص، الآية ٢٩.

(٢) سورة فاطر، الآيتان ٢٩، ٣٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل قراءة القرآن)، برقم: ١٣٣٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن)، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، برقم: ٤٦٣٩.

حرف، ولام حرف، وميم حرف))[١]. وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: ((اقرأ القرآن في كل شهر))، فقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فقال: ((اقرأه في سبع))[٢]، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يختمونه في كل سبع.

ووصيتي لجميع قراء القرآن: الإكثار من قراءته بالتدبر والتعقل والإخلاص لله، مع قصد الفائدة والعلم، وأن يختمه في كل شهر، فإن تيسر أقل من ذلك فذلك خير عظيم. وله أن يختمه في أقل من سبع، والأفضل ألا يختمه في أقل من ثلاث؛ لأن ذلك هو أقل ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص، ولأن قراءته في أقل من ثلاث قد تفضي إلى العجلة وعدم التدبر.

ولا يجوز أن يقرأه من المصحف إلا على طهارة، أما إن كان يقرأه عن ظهر قلب، فلا حرج عليه أن يقرأه وهو على غير وضوء.

أما الجنب فليس له قراءته من المصحف ولا عن ظهر قلب حتى يغتسل؛ لما روى الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد حسن عن علي

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (فضائل القرآن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)، باب (ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن)، برقم: ٢٩١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الصيام)، باب (النهي عن صوم الدهر)، برقم: ١٩٦٤.

رضي الله عنه أنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحجزه شيء عن القرآن سوى الجنابة"[1]. وبالله التوفيق.

١٧٧- حكم إهداء تلاوة القرآن الكريم للآخرين

س: في هذا الشهر العظيم - شهر القرآن الكريم - هل يجوز أن أختم القرآن لوالديَّ، علماً بأهما أُميّان - لا يقرآن ولا يكتبان -؟ وهل يجوز أن أختم القرآن لشخص يعرف القراءة والكتابة، ولكن أريد إهداءه هذه الختمة؟ وهل يجوز لي أن أختم القرآن لأكثر من شخص؟[2]

ج: لم يرد في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن صحابته الكرام ما يدل على شرعية إهداء تلاوة القرآن الكريم للوالدين ولا لغيرهما.

وإنما شرع الله قراءة القرآن للانتفاع به، والاستفادة منه، وتدبر معانيه، والعمل بذلك، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب (الطهارة)، باب (حجب الجنب من قراءة القرآن)، برقم: ٢٦٦.

(٢) نشر في (مجلة الدعوة)، في العدد: ١٤٧٨، بتاريخ ١٤١٥/٩/٣هـ.

آياته وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْـدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُـوَ لِلَّـذِينَ آمَنُـوا هُـدًى وَشِفَاء﴾[٣].

وقال نبينا عليه الصلاة والسلام: ((اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه))، ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إنه يؤتى بالقرآن يـوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة (البقرة) و(آل عمران) كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صـواف، تحاجـان عـن أصحابهما))[٤].

والمقصود: أنه أنزل للعمل به وتدبره والتعبد بتلاوته، والإكثار مـن قراءته، لا لإهدائه للأموات أو غيرهم، ولا أعلم في إهدائـه للوالـدين أو غيرهما أصلاً يعتمد عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[٥].

---

(١) سورة ص، الآية ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٣) سورة فصلت، الآية ٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (فضل قراءة القرآن)، برقم: ١٣٣٧.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب (الصلح)، باب (إذا اصطلحوا على صلح جور)، برقم: ٢٤٩٩، ومـسلم في كتاب (الأقضية)، باب (نقض الأحكام الباطلة)، برقم: ٣٢٤٢.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك، وقالوا: لا مانع من إهداء ثواب القرآن وغيره من الأعمال الصالحات، وقاسوا ذلك على الصدقة والدعاء للأموات وغيرهم، ولكن الصواب: هو القول الأول؛ للحديث المذكور وما جاء في معناه، ولو كان إهداء التلاوة مشروعاً لفعله السلف الصالح.

والعبادة لا يجوز فيها القياس؛ لأنها توقيفية لا تثبت إلا بنص من كلام الله - عز وجل - أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم للحديث السابق وما جاء في معناه.

أما الصدقة عن الأموات وغيرهم، والدعاء لهم، والحج عن الآخرين ممن قد حج عن نفسه، وهكذا العمرة عن الآخرين ممن قد اعتمر عن نفسه، وهكذا قضاء الصوم عمن مات وعليه صيام، فكل هذه العبادات قد صحت بها الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان المحجوج عنه والمعتمر عنه ميتاً، أو عاجزاً لهرم أو مرض لا يرجى برؤه. والله ولي التوفيق.

١٧٨- دعاء ختم القرآن لابن تيمية

س: هناك كتيب: "دعاء ختم القرآن" لابن تيمية، مكتوب عليه: تأليف شيخ الإسلام وقدوة الأنام / أحمد بن عبد الحليم... إلخ "قدس الله روحه ونور ضريحه - آمين –" ما حكم هذا القول؟[١]

ج: الدعاء المشار إليه مشهور عند العلماء أنه من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - أما أنا فلم أقف عليه في شيء من كتبه.

والدعاء المذكور لا أعلم به بأساً. والله ولي التوفيق.

١٧٩- حكم دعاء ختم القرآن

س: هل ورد دليل على تعيين دعاء معين لختم القرآن الكريم فيما يعلم سماحتكم؟[٢]

ج: يجوز للإنسان أن يدعو بما شاء، ويتخير من الأدعية النافعة؛ كطلب مغفرة الذنوب، والفوز بالجنة والنجاة من النار، والاستعاذة من

(١) من أسئلة مجلة (الدعوة)، أجاب عنه سماحته في ١٤١٩/٥/٢٧هـ.

(٢) نشر في جريدة (البلاد)، العدد: ١٥٥٣٢، في ١٤١٩/٩/٢٦هـ.

الفتن، وطلب التوفيق لفهم القرآن الكريم على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى والعمل به، وحفظه، ونحو ذلك .

وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن ويدعو، أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عنه شيء في ذلك.

١٨٠- استحباب دعاء المسلم عند ختم القرآن

س: هل من ختم القرآن يلزمه دعاء معين؟[١]

ج: يدعو بما تيسر، فليس فيه شيء معين، وإذا دعا بـ: ((اللهم إني عبدك وابن عبدك...))، فهو طيب؛ لأنه ورد في الحديث.

انتهى الجزء الرابع والعشرون، ويليه بمشيئة الله تعالى الجزء الخامس والعشرون وأوله: كتاب الحديث

(١) من أسئلة حج عام ١٤١٥هـ، الشريط رقم: ٤٩/٦.